كتاب
١٨٤٤

جلد ٥

كتاب الذريعة من مكارم الشريعة

١٨٤٤

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم الخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا مؤبدا طالع
وأسرمد وأبا وأسعد الله تعالى ملكه الأبد
حرره الفقير أحمد سيح زاده المفتش
بأوقاف الحرمين الشريفين
عفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نسأل الله بجوده الذي هو سبب الوجود ونورا

سبيلنا إلى الإقبال عليه ويسيل بنا إلى الاصغاء

اليه ويدلنا على حسن معاملته والفوز على نفاذ

في طاعته وان يجعلنا من جملة من ضمن ان يحرسهم من غوايل الشيطان

حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك

من الغاوين وجعلهم الشيطان مشوية اليمين حيث قال فبعزتك

لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين

قال الشيخ الامام الراغب الاصفهاني رحمه الله عليه

لما قد اثرت فيما امليته من كتاب تحقيق البيان في تاويل القرآن

الى الفرق بين احكام الشريعة ومكارمها وان المكارم المطلقة هي اسم

لما لا يختلف من وصف الباري تعالى بادراكها نحو الحكمة والعفو

وان كان وصفه تعالى يدل على حد اشرف مما يوصف به البشر

وان الاحكام تتناول ذلك والعبادات واسم باكتساب المكرمة

ينبغي للانسان ان يوصف بكونه خليفة الله والمعنى بقوله تعالى

اني جاعل في الارض خليفة وبقوله ويستخلفكم في الارض

وبقوله هو الذي جعلكم خلايف الارض واشرف ان خلافة

الله عز وجل لا تنفع الا بطهارة النفس كما ان اشرف العبادات

الابطان الجنة وقد استخرت الله تعالى الان وعملت في ذلك

كتابا يكون ذريعة الى مكارم الشريعة وبينت كيف يصل الانسان

الى منزلة العبودية التي جعلها الله شرفا للاتقياء وكيف يترقى عنها

اذا وصلها الى منزلة الخلافة التي جعلها الله شرفا للصديقين

والشهداء والجمع بين احكام الشرع ومكارمه علما وابرازهما عملا يكسب

العلي ويتم التقوى ويبلغ الى جنة المأوى ورغبني اياي الاخ القاضل

وفقك الله لرشدك واعاذك من شر نفسك في تصنيفه ما رأيت

من تشوفك بان زينها ولية الله من حسن خلقك وخلقك بما

يتولاه من تحسين اديك واكمال مروءتك فما اجدر رواك الصبح

ان يحصل وراءه الراي الصحيح شعر حتى تصادف ارجا

يطيب معاهما ونورا وطاب العود والورق

فما ابتغ بالمرء ان يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعرها بوم

وصرعة يرسها ذيب كما قال حكيم لجاهل صبح او جد

اما البيت فحسن واما ساكنه فردي وان يكون باعتبار بكرة

ماله وحسن اثاثه ثورا عليه جلي فقد نهى بعض الحكماء الاغنياء

الاغنياء بتوسا صوفها دران وحرجلا لها جبة ودخل حكيم

على رجل فراى دارا حسنة وفرشا مبسوطة ورأى صاحبها خلوا

من الفضيلة فبصق في وجهه فقال له ما هذا السفه ايها الحكيم

فقال بل هذا حكمة ان البصاق ليرمي الي اخس مكان في الدار

ولم ار في دارك اخس منك فنبهه على دناءة الجهل وان قبحه

لا يزول بادخار الغنيات فكن ايها الاخ عالما وبعلمك عاملا
تكن من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واحذر
الشيطان ان يسبك ويغويك باعراض الدنيا وزخارفها فيجعلك
من اوليائه ويخوفك بوساوسه كما قال عز وجل انما ذلكم
الشيطان يخوف اولياءه ٭٭ واعلم انه قبيح بذي العقل ان يكون
بهيمة وقد امكنه ان يكون انسانا وقد امكنه ان يكون
ملكا وان يرضى بقنية معاش وحيوة مترد ولان يتخذ
قنية مخلدة وحيوة مؤبدة شعر فلم يزني عيوب الناس
عيبك نقص القادرين على التمام

وان اردت ان تعرف بقاء العلماء بعد موتهم فاعتبر ما قاله امير المؤمنين
رضي الله عنه ما فقد من الاموال وهم احياء والعلماء باقون
ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة
فان اردت ان تشاهدهم في الجنة يتنعمون فانفقد حال
حان حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم اصبحت مؤمنا حقا
فقال عليه السلام ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال من جلبه
جوابه وكاني انظر الى عرش ربي بارزا واهل الجنة يتزاورون
فيها فصدقه عليه السلام وقال لزمت فالزم ٭٭ ولا
يخدعنك عن طلب ذلك وادراكه الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون فقد وصفهم

تعالى بالصمم والعمى اذ قال ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
ثم ذمهم بقوله اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ثم فرق بينهم وبين ما ضادهم فقال مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون
فاخبر تعالى انهم لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع القلب
وبصيرته الذين بها تنال حقائق المسموعات والمبصرات

ذكر الفضول وانواعها

الفصل الاول

في احوال الامام وقواه وفضيلته وخلافته

مثل اهل الدنيا ومثل شحوله مثابة الانسان وكيفية تركيبه في
قوى الانسان ٭٭ تعاون القوى الروحانية وكيفية ادراكها
بيان فضيلة الانسان على سائر الحيوانات مع بيان ما به يتفضل
الانسان كون الانسان نزيلا لهذه الدار لا لاجله اوجد الانسان

السياسة التي يستحق بها خلافة الله

الفرق بين مكارم الاربعة وسر العبادة وعمارة الارض ٭٭ كون
طهارة النفس شرطا في صحة خلافة الله وكمال عبادته فيما يفزع
اليه في طهارة النفس ٭٭ بيان منازعة الهوى للعقل ٭٭ الفرق
بين ما يشير به العقل وما يستوحيه الهوى في ذكر الخاطر الذي
يعرض من جهة العقل والهوى محصول الخلق المحمود بطهارة

النفس الفرق بين الخلق والخلق والطبع والعادة والهوى
امكان تغيير الخلق وضعوبة اصلاح الخلق المذمومة وما فيها
من المنفعة والمضرة ازدياد الانسان في الفضايل والرذايل
بتعاطيها الفرق بين ما يحمد ويذم من الخلق سبب اختلاف
الناس في اخلاقهم وجوب اكتساب الفضيلة المحمودة انواع
نعم الله الموهوبة والمكتسبة حاجة بعض هذه الفضايل
الى بعض الفضايل الجسمية الفضايل المتعلقة بالانسان
الفضايل التوفيقية ما يولد من الفضايل النفسية في ثلاثة
الفضايل النفسية بعضها بعضا البواعث على فعل الخير وتحري الفضايل
الموانع من تحري الفضايل الارتقاء في درجات الفضايل والانحدار
عنها الى اقصى الرذايل بيان عناية الله في تهذيب الذين تردوا
في الرذايل حتى فسدت احلامهم

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها

باب فضيلة العقل

انواع العقل المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي منازل
العقل واخلاق اسنامها بحسبها حلاة العقل وثمرة العلم الفرق
بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفة والديانة والحكمة توابع
العقل ثمرة العقل من معرفة الله الضرورية والمكتسبة وغاية ما

يبلغه الانسان من ذلك وجوب بعثة الانبياء عليهم السلام وقلة
الاستغناء عنهم ما يعرف به صحة النبوة وكون العقل
والرسل هادين للخلق الى الحق تعذر ادراك العلوم
النبوية على من لم يتهذب في العلوم العقلية الايمان والاسلام
والتقوى والبر والايمان في معنى الجزء الايمان بضع وسبعين
بابا في انواع الجهل حصر انواع المعلومات كون
العلم مركوزا في نفوس البشر ما يعرف به فضيلة العلوم
استحسان معرفة العلوم معا بعض الناس لبعض العلوم الحث
على تناول اليسير من كل علم والاقتصار عليه احوال الافات
في استيفاء العلم واقانته ما يجب على المتعلم ان يتحراه مع المعلم
ما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه وجوب منع الجملة عن
حقايق العلوم وجوب ضبط المتصدين للعلم ومضرة اهمال
ذلك ذكر من يصلح لوعظ العامة الحال التي يجب
ان يكون عليها الواعظ صفة المعيار الذي يعرف به حقايق
العلوم كراهية الجدال للعوام وذمه ما يجب ان يعامل
به الجدل المحمود الوجوه التي يقع من اجلها الشبه
والخلاف بيان اختلاف الناس في الاديان والمذاهب
النطق والصمت الصدق والكذب ومدحهما وذمهما ما
حسن من الصدق والكذب وقبح انواع الكذب والسبب

الداعي اليه الذكر الحسن من المدح والثنا الشكر
الغيبة والنميمة الكلام المستقبح المزاح واللغط والحلف

الفصل الثالث فيما

يتعلق بالقوى الشهوية

الحمية الوقار الكبر الهمة المأمون في النصح كتمان السر
التواضع والكبر الفخر العجب أنواع اللذات وتفاضلها
ما يحسن تعاطيه وتناوله من المطعم وما يقبح وما يحسن تعاطيه
من المنكح وما لا يحسن ذكر العفة القناعة والزهد الورع

الفصل الرابع فيما

يتعلق بالقوى الغضبية

ما نفع من القوة الغضبية أنواع الصبر ومدحه الشجاعة أنواع
الفزع والفرق بينها وبين ما يحمد منها وما يذم مداواة الغم وازالة
الخوف احوال الناس في محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة
به السرور والفرح العذر والتوبة الحلم والعفو وثوران
الغضب وفضل كظمه الغيرة والجوار الغبطة والمنافسة والحسد

الفصل الخامس

في العدالة والظلم والمحبة والبغض

ذكر العدالة وما يستعمل ذلك فيه ما يحسن ذلك العدالة فيه ذكر الظلم
والاسباب التي يحصل منها الاضرار ذكر المكر والكيد والخديعة

والحيلة ما به المحبة وانواعها فضيلة المحبة فضيلة الصداقة ذكر
المحب في الناس الحث على صحبة الاخيار ومجانبة الاشرار
فضيلة التفرد عن الناس ورذيلة العداوة

الفصل السادس فيما

يتعلق بالصناعة والمكاسبة والانفاق والجود والبخل

حاجة الناس الى اجتماعهم للتظالم تسخير الله بعضهم الناس
للصناعات كون الفقر وخوفه سببا لنظام الناس مناسبة الابدان
للصناعات المختلفة وعناية كل احد بما يتخيره وجوب الكسب مدح
السعي وذم الكسل تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على
بعض مدح المال وذمه ذكر المال والادب في اقتنائه
والوجوه التي منها يحصل سبب اخفاق العاقل وانجاح الجاهل
تحقيق كون المال في ايدي الناس تفاوت احوال المتناولين
كأعراض الدنيا في بيان ما ورد من الآيات المتفاوتة الظاهر
في شأن الدنيا احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والآخرة
بيان حال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له
ذلك ما ينال أرباب الدنيا من العقوبة الدنيوية ذكر الانفاق
المحمود والمذموم ذكر حقيقة السخاء والجود والشح والبخل فضيلة
الجود وذم البخل وانواع الجود والمحمود منه

الفصل السابع في ذكر الافعال

انواع الأفعال الفرق بين الفعل والعمل والصنع انواع الصناعات
الافعال الارادية وغير الارادية ما يسمى به من الافعال اللوم
وما يسمى به الاسباب التي يمكن بها التعاليها

الباب الأول الفصل الأول

باب مثل أهل الدنيا وما يشتغلون به

الانسان في هذه الدار كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه الناس
سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه سبيله سفره والآخرة
مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره فواسخه
وايامه امياله وانفاسه خطاه يسار به سيرا لسفينة راكبها
كما قال الشاعر رأيتها الدنيا وان كان حافظا اماسفر
ليرى به وهو لا يدري ٭٭ وقد دعي الى دار السلام كما قال
عز وجل لهم دار السلم عند ربهم وقوله والله يدعو الى دار
السلم ويوجه به الى اشرف النهرات والذ الثمرات جنات
تجري من تحتها الانهار بل الى جنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين لكن لما كان الطريق اليها مضلة مظلمة
قد استولى عليها اشرار ظلمة جعل الله لنا من العقل الذي وهبه
فينا وكتبه التي انزل علينا نورا ما ديا ومن عبادته التي امرنا بها
حصنا واقيا فقال في وصف نوره الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة

كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة الى قوله ويضرب
الله الامثال للناس فجعل المصباح مثلا للعقل والمشكاة مثلا
لصدر المؤمن والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة
للدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيها انها مصونة عن الافراط
والتفريط كما قال ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اي
والذي للقرآن وبين ان القرآن يهدي العقل كما ان الزيت للمصباح
وان يكاد زيتها يضيء ولو لم يمسسه العقل ثم قال
نور على نور اي نور القرآن ونور العقل وبين انه يختص بذلك من
يشاء وقال في وصف ما جعله الله لنا من الحصن ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان اي المتحصنين بعبادتي فمن لم يقم برعاية نوره
وحماية حصنه عمد دجاه وتكدر ما استغوى به عداه كما قال عز
وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن الى قوله انهم مهتدون فمن لم
يتزود من دنياه زاد كما امر الله تعالى بقوله وتزودوا فان
خير الزاد التقوى جاء في الحلية فينبغي ان يجتمع منه ما اعز من جده
وذات يده فيتحسر حين لا ينفعه تحسره ويقول يا ليتنا نرد ولا
نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ويقول هل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فحينئذ لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
وايضا فان الانسان من وجه في دنياه جائز وعامل آخرته

ودنياه عرضه وقليله وحصاده والآخرة بيدر والحصد
الامازرع ولا يكيل الا ما حصد ولهذا قال تعالى من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وكما ان في البيدر مكاييل وموازين وامناء وحفاظا
وشاهدين كذلك في الآخرة مثل ذلك كما قال عز وجل ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وقوله حاسبين
وقال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
وقال عز وجل وجئ بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وكما ان
في البيدر كما يقال تذرية وتمييز ابن القمح والحطام كذلك
في الآخرة تمييز بين الحسنى والآثام كما قال تعالى ليميز
الله الخبيث من الطيب الى قوله فنجعله في جهنم وقال في
عمل الكفار والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وقال
تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء من عمل الآخرة
بورك في كيله وورنه وجعل له مثنى زاد الاكيد كما قال ومن اراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
ومن عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله كما قال تعالى من
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا
يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما

صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فاعمال الدنيا كشجر الخلاف
بارض الدفلى والحنظل في الربيع يرى غض الاوراق حسن اذا جاء
حين الحصاد لم ينل طائلا واذا حصد بيدر لم يفد
نائلا ومثل اعمال الآخرة كشجر الكرم والنخل المستبصح المنظر
في الشتاء فاذا جاء وقت القطاف والاجتناء افاد كل زاد
واذخرت منه عتادا والى نحو هذا اشار تعالى بقوله ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض مالها من قرار ولما كانت ثمرات الدنيا ايها
الطاعم خبيثا الباطن نهى تعالى عن الاغترار بها فقال ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى

باب ماهية الانسان وكيفية تركيبه

الانسان مركب من جسم مدرك بالبصر وبقبس مدركة بالبصيرة
واليهما اشار بقوله تعالى اني خالق بشرا من صلصال فاذا سويته
الآية فالاشارة بالروح الى النفس واضافته تعالى الروح الى نفسه
تشريف له وعنى بها النفس المذكورة في قوله تعالى اخرجوا انفسكم
ووجود النفس في الانسان احتاج انه يدل عليه لوضوح امره

بل ينبت الحاجة لها والدليل عليها بانها هي التي يحصولها لها في
الجسم تحصل الحياة والحركة والحس والعلم والراي والتميز ويكون
الجسم متمكنا بها وحاملا ومستخدما ومستطيعا ومحبا وبفقدها
علم من الاشيا فيصير جيفة تحتاج الى عدة تحمله وهي محل للاعراض
الروحانية كالجسم في كونه محلا للاعراض الجسمانية وقد حث الله
تعالى على تدبر النفس والتفكر فيها وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته في
قوله وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال سنريهم ايتنا في الافاق وفي انفسهم افلا يبصرون
حتى يتبين لهم الحق وكان يعالج في الامم السالفة من أنكر الباري
رحم لكونه جاحدا ومن أنكر النفس رحم لكونه جاهلا وقيل
كان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعرفكم بربه اعلمكم
بنفسه بل قد قال عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
أنفسهم اولئك تنبيها انهم لما نسوه تعالى اهملوا نفسيانهم اما
عافسيانهم لها وقالت الحكما قد ركب الله تعالى الانسان م
تركبا محسوسا معقولا على هيئة العالم واوجد فيه كل ما هو موجود
في العالم حتى قيل الانسان هو عالم صغير ومختصر العالم الكبير
وذلك ليدل به على معرفة العالم فيتوصل بها الى معرفة صانعها فغاية
معرفة الانسان لباريه تعالى أن يعرف العالم فيعلم انه موجد وان

له موجدا ليس مثله تعالى الله

باب في قوى الانسان

قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدل على
وجودها فيه ما يظهر من تاثيراتها قوة المغذاوبها النشو والتربية
والزيادة وقوى الحس وبها الاحساس باللذة والالم وقوة
المخيلة وبها تصور اعيان الاشيا بعد غيبوبتها عن الحس وقوة
الترفع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضى والغضب
والايثار والكراهية وقوة المفكر وبها يكون النطق والعقل والعلم
والحكمة والرؤية والتدبر والمهنة والراي والمشورة فاما القوى
المدركة منها فخمس الحواس الحس والخيال والفكر والعقل والحفظ
فاما الحواس فلكل واحدة منها ادراك مخصوص فللمس عشر ادراكات
الحار والبارد والرطب واليابس واللين والخشونة والصلابة
والرخاوة والثقل والخفة والذوق سبع الحلاوة والمرارة
والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والنقة والشم اثنان
الطيب والنتن والسمع اثنان الصوت البسيط والكلام
المركب منه والبصر خمسة عشر النور والظلمة واللون والجسم
والشكل والوضع والبعد والحركة والسكنة والعلو والدون
هذه الادراكات اللمس ثم الذوق ثم الشم والنفس لا تكاد تستغني
الا فيما يعود نفعها الى صلاح الجسم وارفع الادراكات العقل ثم
الفكر ثم التخيل فان بدايتها بدرك الاشيا الروحانية فاما السمع

ما تسمه لعلم الحكم

والبصر متوسطان بينهما يأخذان من النفس والجسم فخذ منهما للنفس الكثير
الاشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر بين السمع والبصر
فيأخذ ما من العقل والفكر وذلك في حال اليقظة ويأخذ ما
من العقل والفكر ويسلمه الى السمع والبصر وذلك في حال النوم ولما
كان مبدأ تاثير هذه القوى من الدماغ قيل مسكن الفكر وسط
الدماغ ومسكن الخيال مقدمه ومسكن الحفظ والذكر مؤخره ولما كان
قوام الدماغ بل قوام الجسم كله من القلب الذي منه منشأ الحرارة الغريزية
صار في كلام الناس يعبر عن هذه القوى مرة بالدماغ فيقال
لفلان دماغ اذا قوي منه هذه المدركة وفلان خالي الدماغ اذا ضعف
منه هذه القوى ويعبر عنها تارة بالقلب والثاني اكثر وعلى ذلك
قال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولما كان ادراك
اكثر الحقايق بهذه القوى الثلاث القلب والسمع والبصر فلذا كانت
الفكر خادمة للقلب والتخيل خادما للعقل وللفكرية وللبصر تارة
خص الله تعالى بالذكر القلب ومواحد الطرفين والسمع والبصر وهو
الطرف الآخر ولذلك عظم الله تعالى المنة على الانسان باعطائه
اياهما وحمد من استعملهما وذم من لا ينتفع بهما فقال ولهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها وقال صم بكم عمي فهم
لا يعقلون اي لا يفهمون المعنى لانهم لا يسمعون الاصوات ولا يبصرون
الذوات وجعلهم بكما من حيث انهم لا يوردون معنى مستنبطا بالفكر

ومدركا بالعقل واعلم ان السمع والبصر كالخزين منه كل واحد منهما صالح
وفي ادراكه فضل بنوب السمع عن البصر في ابلاغ العلم ما يأخذه
عن اللفظ فيدرك في ساعة ما لا يدركه البصر في برهة وينوب
البصر عن السمع في ابلاغ القلب طالعة الكتب ما لا يدركه السمع في
مدة سيما اذا كان المخاطب ناقص العبارة او غير متثبت في
الكلام ودقيق المعنى وغامضه

باب تفاوت القوى الروحانية وكيفيات ادراكها

القوى الروحانية متفاوتات في ادراكهن رسوم المعلومات فان
الخيال يتصور عن المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فينتقش بها
كنقش الشمع بصور الخاتم ثم يأخذه الفكر فيميز بعضها عن بعض بنور
العقل فيبحث عن خواصها ومنافعها وعن اضدادها ثم يؤديه الى القوة
الحافظة فان اراد ابراز لفظا سلط عليه القوة الناطقة فيعبر
عنه باللسان وان اراد ابراز فعلا سلط عليه القوة الفاعلة
تتوصل اليه بالجوارح وقد ذكر بعض الحكماء مثلا لهذه القوى يكون منه
تقريب من تصور تأثيرها فقال ان القوة المفكرة ومسكنها وسط
الدماغ بمنزلة الملك يسكن وسط المملكة والخيالية مسكنها مقدم
الدماغ جارية مجرى صاحب البريد والحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ
جارية مجرى الخزائن وامناء الاخبار الصادقة اللهجات فيما يرفعونه
من الاخبار فيلقط كل واحد الاخبار من الصقع الذي وكل به

ووقع منه في غير اصاحب البريد وصاحب البريد يسقط منه ما يراه
حشوا ويرفع الباقي صافيا الى حضرة الملك فيميزه ويعرف منافعه
ومضارّه وينبّله الى خازنه الى الوقت الحاجة اليه فحينئذ يقدّم باخراجه
قالوا وكما ان للملك افعالا يستغني فيها بغيره وافعالا
يتفرّد بها مما ينبغي والافعال التي يتولاها سابقه اشرف مما يفوّضه
الى غيره كذلك للقوّة المفكرة افعال تفوّضها الى غيرها وافعال
تختصّ بها وهي الروية والفكر والاعتبار والتصوّر والقياس
والفراسة فبالروية يدبّر الامور وبالتفكّر استخراج المنافع
وبالاعتبار تحصيل العبرة وبالقياس استنباط المجهول بتوسّط
المعلوم وبالفراسة الاطلاع على الاسرار ونحو هذا المثل ما روي
عن كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان
عيناه دواته ولسانه قلمه ويداه جناحان ورجلاه
بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت ما كذا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب بيان فضيلة الانسان على سائر الحيوان

للانسان فضيلة على الحيوان كلها في نفسه وجسمه اما فضيلة
نفسه فبالقوّة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة والتدبير
والرأي فان البهائم وان كانت كلها تحس وبعضها يحيل فليس لها فكر
ولا روية ولا استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الاشياء
واسبابها وليس في قواها تعلّم الصناعات البتة وانما تعلّم
منها بعضها بعض الصناعات للتأديب واقواها في ذلك الفرس والفيل واما
فضله في جثته فبالعاملة واللسان الناطق وانصباب القامة
الدالّ على استيلائه على كلّ ما في هذا العالم وقد نبّه الله تعالى
على ذلك بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وبقوله
وصوّركم فأحسن صوركم ولم يعن الصور التخطيطية فقط بل عنى
والصور المعقولة ولذلك قال تعالى اياه بذلك قال ولقد كرّمنا بني
آدم وحملناهم في البرّ والبحر الى قوله تفضيلا ومن زعم
ان الانسان خلق خلقة ناقصة عن الحيوانات من حيث لم يكف
الملبس كما كفيه ولم يعط سلاحا كما اعطي كثير منها فنظره ناقص
اذ قد اعطي الانسان بدل اليمين الذي يمكنه ان يتخذ به كل ملبس
وكل سلاح حسب ما يريده فيتناول له متى اراد ويضعه متى احبّ ثم
لو اعطي الانسان بعض الاسلحة التي اعطيته لم يمكنه ان يستعمل
غيره كالوحشيات وايضا فلو اعطي ذلك لكان من الحق ان لا
يعطى اليمين لانه حينئذ كان يستغني عنه فتبطل فايدته وفعل
الله تعالى منزّه عن ذلك ان قيل فكيف قال عزّ وجلّ خلق الانسان
ضعيفا فاستضعفه قيل ضعفه بالاضافة الى الملأ الاعلى لما فيه
من الحاجات البدنية التي قد ذكرتها واعلم ان كلّ ما اوجد في هذا
العالم فانما اوجد لاجل الانسان اما لانتفاعه به كالخيل والبغال

أو كالأغذية كالبقول والفواكه والحبوب والثمار وأما الانتفاع بما
ينتفع به الانسان كالعشب والحيوانات وما لا يعرف الانسان نفعه
فليس يخرج من كونه نافعا وقد بين الحكماء نفع كلها وما لا
سبيل لبعضنا أو كلنا الى معرفة نفعه فليس جهلنا به قادحا في
حكمة الله تعالى في ايجاده فرب شيء جهلنا نفعه وقد سخر
لمعرفة بعض الحيوانات كالبغل الذي فيه الحسد بالقوة وما سخر لمعرفة
واستخراج الالبغل وما أليق من أنكر حكمة الله بجهله بأن ينسبه

وما على بأن لا تفهم البقر

باب بيان ما به يفضل الانسان

وان كان موجودا فانا افضل موجود فذلك شرط ان نرا عى
ما به صار انسانا وهو العلم الحق والعمل المحكم فيقدر وجود ذلك
المعنى فيه بفضله وهذا قيل الناس ابنا ما يحسنون واعدا ما ينكرون
اي ما يعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة يقال احسن فلان
اذا علم واذا عمل حسنا فالانسان من حيث ما يتغذى ويتنسل
نبات وما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث الصور التخطيطية
فكصورة في جدار واتما فضيلته بالنطق وهو لوازم مقتضاه ولهذا قيل
ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة او كصورة ممثلة
فالانسان يضارع الملك بقوة النطق والعلم والفهم ويضارع
البهيمة بقوة العذا والنكاح فمن صرف همته كلها الى تربية الفكر

بالعلم والعمل فحقيق بان يلحق بافق الملك فيسمى ملكا وربانيا
كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته
الى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل
الانعام فحقيق ان يلحق بافق البهائم فيصير اما عمرا كثور
واما شرها كالخنزير او ضريا كالكلب او حقودا كالجمل او
متكبرا كالنمر او ذا دغاء كالثعلب او يجمع ذلك كله فيصير
كشيطان مريد وعلى ذلك قوله عز وجل وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت ولكثير ممن صورته صورة انسان
وليس هو في الحقيقة الا كبعض الحيوان قال تعالى في الذين
لا يعقلون عن الله ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا
وقال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
وقال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
وقال تعالى مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء اي مثل واعظ الكافرين كناعق بالأنعام تنبيها
انهم فيما يقال لهم كالبهائم وبهذا النظر قال الشاعر
اللوم أكرم من بر ووالده واللوم أكرم من بر ووالد
ولم يقل من ولد تنبيها انه لا يسوغ ان يقال له من لكونه
بهيمة وعلى هذا قال الشاعر فحظي اذا جئت في استفهامها
بمن وما اذكرنا لم يكن من بعض هذه الانواع وبعضها لتفاوت

ما بين انسان ذات ناب فانك قد ترى واحدا كثيرا لابل واحدا
كمئة وعشرة اخرى هذه دون واحد كما قيل لامرأة في
مثلها العشرة هذه اجب اليك ام واحد كعشرة لانك ترى
واحدا كاملا والغاشل واحد كما قال ولم ار امثال
الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف بواحد
بل ترى واحدا كثيرا الا ترى عشرة الاف دون واحد كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ومواصدق قيل الناس كابل
مائة لا تجد فيها راحلة ثم والابل في تعارفهم اسم لمائة بعير
فمائة ابل مع عشرة الاف بعير بل لو قيل قد ترى واحدا كعالم وعالم
كواحد لجاز كما قال صلى الله عليه وسلم وازنت بامتي فرجحتهم وعلى هذا
كما قال ابو نواس ولبيت يستنكر ان يجعل العالم في
واحد

باب كون الانسان بين البهيمة والملك

الانسان لما ركب تركيبا بين بهيمة وملك فشبهه للبهائم بما فيه
من الشهوات البدنية من المأكل والمشرب والمنكح وشبهه بالملك
لما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والجود صار
واسطة بين جوهر رفيع ووضيع ولهذا قال تعالى وهديناه
النجدين فالنجدان من وجه العقل والهوى ومن وجه الاخرى
والاولى من وجه الضلال والهدى ومن وجه هواه الله وهوى الشيطان

المذكوران في قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور
الى الظلمات اولئك اصحاب النار ومن وجه النور والظلمة
المذكوران في هذه الآيات الفضيلة والنقيصة ومن وجه
الحياة والموت المذكوران في قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه
ومن رفعه الله للهدى واعطاه قوة بلوغ الهدى فواعا نفسه
وزكاها فقد افلح ومن حرمه التوفيق فاسمر نفسه ودساها فقد
خاب وخسر كما قال عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها

باب ما لاجله اوجد الانسان

الانسان من حيث ما هو انسان نكل واحد كالآخر فالارض
من تربة والناس من رجل واما يعرف بان يوجد كما لا
في الجنس الذي لاجله اوجد وبيان ذلك ان كل نوع اوجده
الله في هذا العالم او هدى بعض الخلق الى ايجاده وصنعته فانه
موجد لفعل يختص به ولولاه لما وجد وله غرض لاجله خص
باختص به كالبعير انما خص بذلك ليبلغنا واثقالنا الى بلد
لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس ليكون لنا خادما نطير
به والمنشار والمخيط لنصلح بهما الباب والسرير ونحو هما
والباب ليحرز به البيت فالفعل المختص بالانسان ثلثة اشياء
الارض المذكورة في قوله واستعمركم فيها وذلك بتحصيل ما به تزكية

المعاش لنفسه فقط أو لنفسه وغيره وعبادته المذكورة في
قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وذلك من
الامتثال للباري عز وجل في أوامره ونواهيه وخلافته المذكورة
في قوله عز وجل ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون
وغير هاتين الآيتين وذلك من الاقتداء بالباري عز وجل في قدر طاقة
البشر والسياسة باستعمال مكارم الشريعة ومكارم الشريعة هي الحكمة
والقيام بالعدالة بين الناس والحلم والإحسان والمقصد منهما أن
يبلغ بذلك إلى جنة المأوى وجوار رب العزة تعالى وكل ما أوجد
لفعل ما فرته لتمام وجود ذلك الفعل منه وغايته لفقدان ذلك
الفعل منه كالفرس للعدو والسيف للعمل به المخصص للقتال
ومتى لم يوجد فيه الغرض الذي لأجله أوجد كان ناقصا فإما أن يطرح
اطراحا أو يرد إلى منزلة النوع الذي هو دونه كالفرس إذا لم يصلح
للعدو واتخذ حمولة أو أعد لكد الطحن ولم يصلح لخلافة الله تعالى
والعبادة ولا لاستعمال أرضه فالبهيمة خير منه ولذلك قال عز
وجل في ذم الذين لهم هذه الفضيلة إن هم إلا كالأنعام بل هم
أضل سبيلا

باب السياسة التي

يستحق بها خلافة الله تعالى

قد تقدم أن الخلافة تستحق بالسياسة وذلك يجري مجرى المكارم الشريفة
والسياسة ضربان أحدهما سياسة الإنسان نفسه وبدنه وما يختص به
والثاني سياسة غيره من ذويه وبلده ولا تصلح لسياسة غيره
من لا يصلح لسياسة نفسه ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة
غيره فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه
فقال أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال تعالى
لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون
وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية
أي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم وبهذا النظر قيل تفقهوا
قبل أن تسودوا وتنبيها أنكم لا تصلحون للسياسة قبل معرفة
الفقه والسياسة العامة ولأن الناس يجري من المسوس مجرى
ذي الظل من الظل ومحال أن يعوج ذو الظل وسقيم ظله
ولذلك روي السلطان ظل الله في أرضه ومحال أن يهدى
المسوس مع كون السائس ضالا قال تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع الآية فخطوات
محال أن تكون مع اتباعه الشيطان بأمر الآباء فحسب

باب الفرق بين مكارم الشريعة

وبين العبادة وعمارة الأرض

أما مكارم الشرع فبدؤها طهارة النفس بالعلم واستعمال العفة
والبر والعدالة ونهايتها المختص بالحكمة والجود والحلم والإحسان
فبالعلم يتوصل إلى الحكمة ثم باستعمال الحكمة يتوصل إلى الجود

وباستعمال الصبر تدرك الشجاعة والحلم وباستعمال العدل تصح الافعال
فمن حصل له ذلك فقد تدرع الكرمة المعنية بقوله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقيكم وصلح بخلافة الله تعالى وصار من الربانيين
ومن الصديقين والشهداء واعلم ان العبادة اعم من المكرمة وان كل
مكرمة عبادة وليس كل عبادة مكرمة ومن الفرق بينهما ان للعبادات
فرايض معلومات وحدودا مرسومات وتاركها يصير ظالما معتديا
والمكارم بخلافها ولن يستكمل انسان مكارم الشرع ما لم يقم بوظايف
العبادات فتجري العبادات من باب العدل اي الفرض وتجري المكارم
من باب الاحسان اي الفعل ولا يقبل نفل ما لم يفرض ولا يتفضل
من ترك العدل ولا يصح تعاطي التفضل الا بعد العدل فان العدل
فعل ما يجب والتفضل الزيادة على ما يجب يصح تصور الزيادة على شيء
موجود حاصل في ذاته ولهذا قال لا يستطيع الوصول من
ضيع الاصول فمن شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن
شغله النفل عن الفرض فمغرور وقد اشار تعالى بقوله بالعدل
الى الاحكام وبالاحسان الى المكارم في قوله ان الله يامر بالعدل
والاحسان وقوله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ففعل الخير هو الزيادة على العبادة
واما عمارة الارض فالقيام بما فيه تزجية الحياة وصلاح
المعاش فالانسان الواحد من حيث لم يكف امر معاشه بانفراده ما كلفه

وطلبته ومكنه ولم يكن له سبيل الى نيله في الدنيا الا بما يمده
جوعته ويستر عورته ويقيه من الحر والبرد لم يكن له بد من تحصيل ذلك
من الوجه المباح له وذلك قال عز وجل ان لك ان لا تجوع فيها
ولا تعرى وحتى كان سعي العبد في ذلك على الوجه الذي يحب ويجب
يكون سعيه عبادة وجهادا في سبيل الله كما قال عليه السلام من
طلب رزقه على ما سن فهو في جهاد ومتى لم يكن على ذلك فسعيه
هباء منثورا كما قال تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكان فيما يتولاه خادما للناس
مسخرا بلا اراده منه لخدمتهم حتى كانه من جملة بهايمهم التي سخرها
الله تعالى لعباده فامتن عليهم بها في قوله عز وجل والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة

باب كون طهارة النفس شرطا في صحة خلافة الله تعالى

وكمال عبادته لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته
وعمارة ارضه الا من كان طاهر النفس قد ازيل رجسه وخبثه
فللنفس نجاسة كما ان للبدن نجاسة لكن نجاسة البدن قد تدرك
بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك الا بالبصيرة واياها قصد بقوله
عز وجل انما المشركون نجس وبقوله والرجز فاهجر وبقوله كذلك
يجعل الله الرجز على الذين لا يومنون وانما يصلح لخلافة
الله تعالى من كان طاهر النفس فان خلافته هو الامداد به على

قد رطاقه البشر في يجري الافعال الالهية ومن لم يكن طاهر النفس
لم يكن طاهر الفعل وكل اناء بالذي فيه يضح ولن يعجز مسك سوء
عن عرف سوء ولهذا قيل من طابت نفسه طاب عمله ومن
خبثت نفسه خبث عمله قال عليه السلام المؤمن اطيب من عمله
والكافر اخبث من عمله بل قد اشار تعالى الى ذلك بقوله الخبيثات
للخبيثين والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقوله
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا واجل انه لا يطيب عمل من خبثت نفسه قال تعالى
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال بعضهم في قوله عليه
السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب انه اشار بالبيت القلب
واشار بالكلب الى الحرص والحسد ونحوهما وفيه ان نور الله لا
يخله اذا كان فيه ذلك ودليل عليه ان الحرص يقال له الكلب
وانه يقال فلان احرص من كلب ويقوي ذلك ما روي التقوى
لا يكون الا قلبا نظيفا والى الطهارتين اشار تعالى بقوله عز
وجل وثيابك فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن البدن
كقول الشاعر ثياب بني عوف طهارى نقية م وقال عز وجل
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد
قال بعض الحكماء انما سمي الحواريون بذلك لانهم كانوا يطهرون

نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم من قوله حورته اي بيضته
وما روي انهم كانوا قصارين فاشارة الى هذا المعنى وان كان من
لم يتخصص بمعرفة الحقايق يتقزز من هذا التقدير المهنة المعروفة
بين العامة

باب ما يقرع اليه في طهارة النفس

الذي تطهر به النفس حتى تصح خلافة الله تعالى وتستحق بها ثوابه
هو العلم والعبادات الموظفة التي هي سبب الحياة الاخروية كما
ان الذي يطهر به البدن الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية ولذلك
سمى الماء الحياة وسمى ما انزله الله تعالى من كتابه الماء فقال
استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم فسمى العلم والعبادة
حياة من حيث ان النفس متى فقدتها هلكت هلاكا لا بد كما قال
عز وجل في صفة الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون
وقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال
ابن عباس رضي الله عنه عنى بالماء القرآن اذ كان به طهارة النفس
والاودية القلوب احتملته بحسبها وسعت قال بعض العلماء
في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقوله وينزل عليكم من
السماء ماء طهورا وقوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
انه القرآن كقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين واجدر بصحة قوله فان الماء المنزل من السماء المخصص

بالطهارة الذي لا يشد غيره من المياه مشده مما أعني كلام
رب العزة فأما المحقق بطهارة اليدين فقد يشد غيره مشده
في الطهارة لان الذي ينبغي من الأرض يعمل عمله والذي يلزم
تطهيره من النفس هو القوى الثلث قوة الفكر بتهذيبها حتى
يحصل الحكمة وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود وقوة
الحمية باستعمالها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم وتولد
من ذلك مجموع العدالة بجميع الرذايل تنبعث من فساد هذه
القوى اما من فساد الفكر فيتولد منها الجربزة والبله واما من
فساد القوة الشهوية فيتولد منها الشره او خمود الشهوة واما من
فساد الحمية فيتولد منها التهور او الجبن ومن حصول هذه الاشياء
او حصول بعضها يحصل اما الظلم او الانظلام بجميع رؤوس الفضايل
الخلقية اربعة وجميع رؤوس الرذايل الخلقية ثمانية

باب بيان منازعة الهوى للعقل

اعلم ان مثل نفس الانسان في بدنه كمثل والٍ في بلده وقواه
وجوارحه بمنزلة صناع وعملة والعقل كمشير عالم ناصح والشهوة
فيه كعبد سوء جالب للمضرة والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب
للمضرة حيث ما كان يميل للوالي بصور الناصحين وفي نصحه ذنب
العطب ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته
ومعارضته وكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبير امره

وزيره دون هذا العبد الخبيث وأدب صاحب شرطته وجعله تحت يمر
لوزيره وسلطه على هذا العبد وبالغ حتى يكون هذا العبد مسوسا
لانسانيا او مدبرا لامدبر استقام امر بلده فكذا النفس
متى استقامت بالعقل والتدبير وأديت الحمية وسلطته على
الشهوة وقواها استتب امرها والا فسدت ولهذا قد حذرنا
الله غاية الحذر من اتباع الهوى فقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال في ذم من اتبعه افرأيت من اتخذ
الهه هواه وقال تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع
هويه وقال تعالى في مدح من اطاعه واما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال
عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك اشار الى الهوى
والعقل وان كان اشرف القوى وبه صار الانسان خليفة
الله في العالم وليس دأبه الا الاشارة الى الصواب كطبيب
يشير الى المريض بما يراه فيه برؤه فان قبل منه المريض والا
سكت عنه ولذلك جعل له الحمية ليكون نايبه عنه في المدافعة
والممانعة ولهذا لا يتبين فضيلة العقل من لا حمية له وههنا النظر
قيل للحسين من لا سفيه له قال الشاعر تعدو الذياب على
من لا كلاب له وتتقي مربض المستأسد الحامي
وايضا مثل النفس في البلد مثل مجاهد بعث الى ثغر ليراعي

احواله وعقله خليفة مولاه ضم اليه ليسدده ويرشده ويشهد له
وعليه فيما يفعله اذا عاد الى حضرة مولاه وبدنه بمنزلة فرس
دفع اليه ليركبه وشهوته سايس حيث ضم اليه ليتفقد فرسه
ولا تؤيد السايس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب الله من مولاه
وقد ضمن كل ما يحتاج اليه عاجلا وآجلا كما وصفه الله تعالى
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وقوله
ما فرطنا في الكتاب من شيء والنبي رسول اتاه بالكتاب تبين له
ما يشكل عليه مما تقرؤه من الكتاب وقبح ان ينتهك هذا المولى مولاه
ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وينقضه ويعرفه كله الى

ومن وجه آخر

الانسان من حيث ما جعله الله عز وجل عالما
صغيرا وجعل بدنه كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من
الفكر والخيال والحواس كجنده واعوانه والاعضاء كرعيته والشهوة
كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته صار
بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد اعداءه
قهرهم او اسرهم او قهرهم على ما يجب وكما يجب حمد عاقبة اذا
عاد الى حضرة كما ضمنه تعالى حيث يقول فضل الله المجاهدين
باموالهم الآية فدفاع الهوى اعظم جهاد كما قال صلى الله عليه وسلم
وقد سئل اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك وان

ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره اذا عاد اليه كما قال صلى الله عليه
وسلم كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته ان الله تعالى يقول
للكافر هوم العصيمة ما دعاك الى سوء فعلك اللحم وشربت اللبن ولم
تؤد الضالة ولم تجبر الكسير فاليوم انتقم منك وايضا مثل
العقل مثل فارس مؤيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى
كان الفارس حاذقا فرسه مروضا وكلبه معلما فهو قمين بادراك
حاجته من الصيد ومتى كان هو احمق وفرسه جموحا او حرونا
وكلبه عقورا فلا فرسه ينتفع بتحمله ولا كلبه يسلس معه
مطيعا فهو قمين ان يعطب فضلا عن ان يدرك ما طلب وللانسان
مع موبقاته احوال الاول ان تغلبه الهوى فتملكه كما قال
تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه والثانية ان تغالبه فيقهرها
مرة وتقهره مرة واياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي صلى
الله عليه وسلم جاهدوا اموالكم كما تجاهدون اعداءكم والثالث
ان يغلب موبقاته كثير من الانبياء وبعض صفوة الاولياء وهذا المعنى
قصد النبي صلى الله عليه وسلم بما من احدا الا وله شيطان وفي
شيطان واحد نصرني الله عليه حتى ملكته فان الشيطان يتسلط
على الانسان بحسب الهوى فمنه

باب الفرق بين ما يشير به العقل وما يشير به الهوى

من شان العقل ان نهى وتحذر ابدا الافضل والاصلح في العواقب

وان كان على النفس في المبدأ مؤونة ومشقة والهوى على الضد من
ذلك فانه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت وان كان يعقب مضرة
من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرشيد الذي يؤثر اكل الحلاوات
واللعب في الشمس على اكل الاهليلج وعلى الحجامة ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وايضا فالعقل يرى صاحبه ما له وعليه والهوى يريه ما عليه دون ما
له ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
حبك الشيء يعمي ويصم ولذلك ينبغي للعاقل ان يتهم رايه ابدا
في الامور التي هي له او عليه ويظن انه هوى لا عقل ويلزمه ان
يستقصي النظر فيه قبل امضاء العزيمة وحتى يتبين اذا عرض
له امران فلم يدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فان كثيرا
الخير في الكراهة قال الله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وقال عز وجل عسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا وايضا فان راي العقل ينوى اذا فزع
فيه الى الله عز وجل بالاستخارة وتساعد عليه العقول الصحيحة
اذا فزع اليها بالاستشارة وينشرح له الصدر اذا استبين فيه
بالعيان وما يشبه الهوى ضد ذلك وايضا فالعقل يرى
ما يراي بنجحته وعذر والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل وربما ان
يتشبث الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة وحجة مموهة

كالعاشق اذا سئل عن عشقه والمتناول لطعام رديء اذا سئل
عن فعله قال بعض الحكماء اذا مال العقل فهو مولم جميل
والهوى يخط قبيح فمتى غالبت عرضتها متحاكما الى العقل المدبر
بادر نور الله الى نصرة العقل ووساوس الشيطان الى نصرة الهوى
كما قال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى
الظلمات فمتى كان العقل المدبر من اولياء الشيطان والمجيبة
لم تزل الحق فعميت عن نفع الاجل واغترت بلذة العاجل
فجنحت الى الهوى كما قال عز وجل افرايت من اتخذ الهه
هويه واضله الله على علم ومتى كانت من حزب الله واوليائه اعدت
بنون فاستهانت بلذة العاجل وطلبت سعادة الاجل كما قال
عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية ومما ينبه على
فساد الهوى قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن اي لو اعطى كل انسان ما
يهوى مع ان كل واحد يهوى ان يكون اغنى الناس واعلاهم منزلة
وان ينال في الدنيا الخير الابدي بلا مزاولة ولا تعلم لكان في
ذلك فساد العالم وقيل في قوله عز وجل الم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء انه ضرب الشجرة الطيبة مثلا للعقل والخبيثة للهوى

ففرع الطيبة الامور والاسلام وفرع الخبثة الكفر والضلال
فان قيل ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل الشهوة ضربان محمودة
ومذمومة فالمحمودة من فعل الله سبحانه وهي قوة جعلت
في الانسان لتنبعث بها النفس لنيل ما نطق أن فيه صلاح البدن
والمذمومة من فعل البشر وهي انجذاب النفس لما فيه لذتها
البدنية والهوى هو هذه الشهوة اذا غلبت واستتبعت الفكر
وذاك أن الفكر بين العقل والشهوة فالعقل فوقها والشهوة تحتها
فمتى ارتفعت الفكر وصارت نحو العقل صارت رفيعة فولدت
المحاسن واذا اتضعت وصارت نحو الهوى والشهوة صارت
وضيعة وولدت المعايب والنفس قد ترتدع عارة بسوء العقل
تارة وعنف الهوى تارة وهذا قد يسمى الهوى ارادة

باب في ذكر الخاطر

الذي يعرض من جهة العقل والهوى

اول ما يعرض من جهة العقل الهوى الساذج ثم الخاطر والى ذلك
أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان للشيطان لمة وللملك
لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق واما لمة
الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية ثم من بعد الارادة
ثم العزم ثم العمل فالساذج علة الخاطر والخاطر علة الارادة
والارادة وهي اللمة علة العزم والساذج والخاطر يعتبر
عنهما بالهاجس والواجس يتجاذب عنهما فاما لم يصير ارادة وعزما
فحق الانسان اذا خطر له خاطر ان فيسير عاجلا فان وجد
خيرا اربا حتى يجعله فعلا وان وجد شرا بادر الى
قمعه وقلعه قبل ان يصير ارادة ويطهر منه قلبه تطهيرا رضيه
من جنبتي البناء وهذا المعنى اراد الحسن البصري رحمه
الله بقوله رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى
والا كف فان بعض الحكماء ان تدارك الخاطر اضمحلت
والا صارت شهوة وان تدارك الشهوة والا صارت طلبا
وان تدارك الطلب والا صار عملا قال بعض الحكماء ان
لله تعالى اذا أراد لمة الشيطان انزع لذلك ورأى بصيرة
ظلمة ووجد روعة فاذا اراد لمة الرحمن عز وجل انشرح
صدره واوليا الشيطان بخلافه لقوله تعالى واذا ذكر الله
وحيد اشمأزت الآية

باب حصول الخلق المحمود بطهارة النفس

قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلاث فاصلاح
الفكرة بالعلم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد وبين
الصدق والكذب في المقال وبين الجميل والقبيح في الفعال
واصلاح الشهوة بالعفة حتى يسلس للجود والسخاء المحمود بقدر

الطاقة واصلاح الحمية باسلاسها حتى يحصل الحلم ومتى كف
النفس عن قضاء وطر الغضب وتحصل الشجاعة ومتى كف النفس
عن الخوف وعن اطراح المذمومين باصلاح القوى الثلث تحصل
للنفس العدالة والاحسان وهي جماع المكارم وطهارة النفس
وحسن الخلق الممدوح بقول النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين
ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله ويعني باللطافة بالاهل تخدمهم
وتاديبهم المشار اليه بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم والممدوح ايضا بقوله صلى الله عليه احبكم الي احاسنكم
اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقيل جماع
المكارم في قوله عز وجل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
الآية وذلك انه بالايمان يحصل العلم والحكمة وذلك باصلاح القوة
والمجاهدة فالاموال والنفس تحصل العفة والجود اللذان هما تابعان
لاصلاح الحمية وعلى ذلك قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير ذلك
امر ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن
ظلمك نهاية الجود ووصل من قطعك نهاية الاحسان

باب الفرق بين الطبع والسجية والخلق والعادة

الطبع اصله من طبع السيف وهو ايجاد الصور المخصوصة في الحديد وكذلك

الطبيعة

الطبيعة الصورة اعتبارا بالسيف والسجية اعتبارا بالنفس
والخلق الحسن والغريزة اعتبارا بما غرز عليه كل ذلك امر للملق الى
الاشياء الحسنة والشيمة امر لها بالحالة التي عليها الغريزة اعتبارا
بالشام التي في اصل الخلقة والسجية امر لما يسجى عليه الانسان
من قولهم عنى ساجيه اي ساكنه خلقه والكرم يستعمل ذلك كله فيما لا
يكون تغييره واما الخلق ففي الاصل كالخلق كقولهم الثوب والشرب
والصرم والصرم لكن الخلق يقال في القوى المدركة بالبصيرة
والخلق في الهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر وجعل الخلق
تارة للقوى الغريزية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فرغ الله من
الخلق والخلق والرزق والاجل وتارة يجعل اسما للحالة المكتسبة
التي يصير الانسان بها خليقا ان يفعل شيئا دون شيء كمن متى
خلي بالغضب شد مزاجه ولهذا خص كل حيوان بخلق في
اصل خلقته كالشجاعة في الاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب
ويجعل الخلق تارة من الخلافة الى الملاسنة فكانه اشبه لما مر من
عليه الانسان من قواه بالعادة وقد روي افضل الاعمال الخلق الحسن
وروي ما اعطى الله احدا افضل من خلق حسن فجعل الخلق مرة
للهيئة الموجودة في النفس التي عنها يصدر الفعل بلا فكر وجعل
مرة اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك اسماء انواعها نحو العفة
والعدالة ونحو الشجاعة فان ذلك يقال للهيئة والفعل جميعا وربما

سميت الهيئة باسمها والفعل الصادر عنها باسمها كالسخاء والجود فان
السخاء اسم للهيئة التي عليها الانسان والجود اسم للفعل الصادر
عنها وان كان قد يسمى كل واحد منهما باسم الآخر واما العادة فاسم
لتكرير الفعل او الانفعال مرة بعد اخرى وهو بهذا يكمل الخلق وليس للعادة
بفعل الا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الانسان الى الفعل فاما
ان تجذب الهيئة الى خلاف ما خلقت فمحال والهيئة اسم لفعل
الخالق والعادة فعل للمخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق
لكن ربما تقوى العادة قوة محكمة حتى تعد هيئة وهذا النظر
قبل طبيعة ثانية

باب امكان تغيير الخلق

اختلف الناس في الخلق فقال بعضهم هو من جنس الخلقة ولا يستطيع
احد تغييره عما جبل عليه ان خيرا وان شرا كما قال بعضهم
وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنها محمود ومنها مذموم
ولن يستطيع الادمي تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرم
ويعلل ايضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم من اتاه الله وجها حسنا
وخلقا حسنا فليشكر الله وما روي فرغ الله من الخلق والخلق
الحسن وقال محال ان يعذر المخلوق على تغيير ذلك فاستدل
بما فلو لم يمكن لما امر قال وان الله عز وجل خلق الاشياء
عاريين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والارض والهيئة
والثاني خلقه خلقه ما وجعل فيه قوة يتمكن الانسان لاكماله وتغيير

جاهلا وان لم يرتحه ليغير ذاته كالمعنى الذي جعل فيه قوة النخل وسهل
للانسان سبيلا الى ان يحمله بعون الله نخلا وان يفسده افسادا
قال والخلق من الانسان يجري هذا المجرى وانه لا سبيل للانسان
الى تغيير القوة التي هي الهيئة وجعل له سبيلا الى اسلامها وهذا
قال عز وجل وقد خاب من دساها ولو لم يكن كذلك لبطل
فايدة المواعظ فلا وصايا ولا وعد ولا وعيد ولا امر ولا نهي ولما جوز
العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا
في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا فالوحش قد
ينقل بالعادة الى الانس والجامح الى الذلة لكن الناس في
غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريعة القبول وبعضهم جبل
جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل ما يفقد من اثر قبول
وان قل دل على ان المرء ممنوع من تغيير الخلق فانا اعتبر القوة نقصا
وهذا صحيح فانا المنهي محال ان ثبت منه الانسان تفاحا
ومن اجاز تغيره اعتبر امكان ما في القوة الى الوجود وافساده بما له
نحو المنوي في انه يمكن ان يتفقد فيصير نخلا فان يترك
مهملا حتى يعفن وهذا صحيح ايضا فاذا اختلفا على حسب اختلاف
نظرهما

باب اصلاح القوة

القوة الشهوية وما في هذه القوة من المنفعة والمضرة
اصعب هذه القوى الثلاث مداواة مع قبح الشهوة انها اقدم القوى

وجودا في الانسان واشدها به تشبثا واكرهها منه تركا فانها تولد
معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه بل في النبات الذي هو
جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية ثم آخرا توجد فيه قوة الفكر
والنطق والتميز ولا يصير الانسان خارجا من جملة البهايم وانما هو
بالامانة الشهوات البهيمية اي بقهرها وقمعها ان لم يمكنه اماتتها
اياها هي التي تضره وتغره عن طريق الآخرة وتثبطه وبقمعه
او اماتته صار الانسان حرا تقيا بل بصيرا عالما ربانيا فتقل
حاجاته ويصير غنيا عما في ايدي الناس ومحبوبا بما في يده ومحسنا
في معاملاته فان قيل فاذا كانت الشهوة بهذه المثابة في الاضرار
فاي حكمة اقتضت ان تبلى بها قيل الشهوة انما تكون مذمومة اذا كانت
مفرطة واهملها صاحبها حتى ملكت القوى فاما اذا ادبت فهي المبلغة
الى السعادة وجوار رب العزة حتى لو صورت مرتفعة لما امكن
الوصول الى الآخرة وذلك ان الوصول الى الآخرة بالعيان لا
بالحياة الدنيوية ولا سبيل الى الحياة الدنيوية الا بحفظ البدن
ولا سبيل الى حفظه الا باعادة ما يتحلل منه ولا يمكن تناول الاغذية
الا بالقوة الشهوية فاذا ان الشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها
وبقتضى الحكمة الالهية ايجادها وتربيتها كما قال عز وجل
زين للناس حب الشهوات من النساء الى بقية الآية لكن مثلها
مثل عدو تخشى مضرته من وجه ويرجى منفعته من وجه ومع عداوته

لا يستغني عن الاستعانة به فحق العاقل ان يأخذ نفعه ولا يكن
اليه ولا يعتمد عليه الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق قول المتنبي في
ذلك اذا تطوق في وصف الشهوة وان قصر فما اجود ما اراد ما
شعر ومن يك الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد
وايضا فهذه الشهوة المشوقة لعامة الناس الى لذات
الجنة من المأكل والمشرب والمنكح اذ ليس كل الناس يعرف اللذات
المعقولة ولو تيقنا ما مرتفعة لما استوقوا الى ما وعدوا به وقوله عليه
السلام فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

باب ازدياد الانسان في الفضايل والرذايل بتعاطيها

كل متعاط لفعل من الافعال النفسية فانه يقوى فيه بحسب
الازدياد منه ان خيرا وان شرا فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال
كبارها وباحتمال كبارها يستحق الحمد هذا قال امير المؤمنين
رضي الله عنه الايمان عبد ونكتة بيضاء في القلب كلما ازداد الايمان
ازداد ذلك البياض واذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب
كله وان النفاق يبدو لمظة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد
ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فالانسان بكمل
في الفضيلة باربع رجاء اثنتين في الاعتقاد وان يعتقد
الجميل الحق ويجعل اعتقاده عزيمة بينة واضحة وادلة قاطعة لا عن

شبهات واهية واقناعات مدّاعية وتسكين في الفعل وتمام
ان يترك العادات السيّئة فيجعلها بحيث يعفها فيتجنب الرذيلة
ويتوصّل الى الفضيلة وان يتعوّد العادات الحسنة فيجعلها بحيث
يؤثرها وتنعم بها كما قال عليه السلم وجعلت قرّة عيني في الصلوة
وكما انّ كمال اربع درجات فانّه يمكن اربع درجات دون حيث
في الاعتقاد وهو ان لا يعتقد شيئاً من العلوم الحقيقيّة فيسعى
منها عقلاً وان يعتقد غير تعليل اعتقاداً فاسداً فيلطخ به ودون حيث
في العمل وهو ان لا يتعوّد العادة الجميلة راساً وان يتعوّد العادة
القبيحة فمن صار في الفضيلة الى الدرجة الرابعة فهو ممّن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه ومن صار في الرذيلة
الى الدرجة الرابعة فهو من الذين وصفهم الله اولئك الذين لعنهم الله
فاصمّهم واعمى ابصارهم ثم قال افلا يتدبّرون القرآن ام
على قلوب اقفالها وقيل لحكيم الا تعظ فلاناً فقال داء
قلبه ثقل صناع بفتاحه فلا سبيل الى معالجته وللانسان
مع كلّ فضيلة ورذيلة ثلثة احوال اما ان يكون في ابتدآئها
يقال هو عبدها وابنها ولهذا قال بعضهم من لم يجنه العلم لم يزدجر
والثاني ان يتوسّطها فيقال هو اخوها وصاحبها والثالث ان ينتهي فيها
بعد وشبع ويتصرّف فيها كما اراد فيقال هو ربّها وسيّدها
ومتعبّدها فلان ربّاني في العلم فانّ رب الشيء هو الذي يربّه

وسيّده هو الذي يملك سواسه اي جمعه وغاية الفاضل في الفضيلة
ان تنتفع منه الفضايل ابداً من غير فكر ولا روية لغلبة قواها
عليه وبعد ما بنا فيها منه كالصانع الحاذق في صنعته وغاية الرذل
في الرذيلة ان تنتفع منه الرذايل لغلبة قواها عليه ولهذا حدّ الخلق
بانّه حال للانسان داعية الى الفعل من غير فكر ولا روية

باب الفرق بين ما يحمد ويذمّ

الفرق بين الخلق والخلق بعد استعمال الكتاب يحتاج الى
بحث وتنشيط من خارج والخلق بعد استخفاف وارتياح ولا يحتاج
الى بحث من خارج والخلق والتسبّب بالافاعيل صنفان محمود ومذموم
فالمحمود ما كان على سبيل الارتياض والمذموم ما كان على سبيل الآراء صاحبه
شرّاً وجهراً على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي وايّاه
فضل الشاعر بقوله ولن يستطيع الخلق من تخلّق
بل قال صلّى الله عليه وسلّم ما العلم الا بالتعلّم وما الحلم الا بالتحلّم
والمذموم ما كان على سبيل الآراء فلا يخلّ صاحبه
الا حيث يقصد ان يذكر به ويسمّى ذلك رآءً وتصنّعاً وتسبّعاً
ولا يمنعك صاحبه من اضطراب يدلّ على تسبّعه كما قال كليلة
الطبع المتكلّف كلما زدته تثقيفاً زاد ذلك تعقيفاً وعلى ذلك
قول الشاعر وانزع مفعول فعلت تغيّر اتكلّف
شيء في طباعك ضدّه وايّاه قصد عمر رضي الله

بقوله من تخلق للناس بغير ما في نفسه فضحه الله وحال المتشبع
كالجرح يدمل على فساد فلا بد ان ينبعث وان كان يمر حتى
قال ابو الطيب فان الجرح ينغض بعد حين اذا كان البناء على
فساد ❁ وكما ان العضو المعلوج لا يطاوع صاحبه في تحريكه
وان جاهده فمتى حركه الى اليمين تحرك نحو الشمال وكذا ايضا الشره
والظلوم والمتهور وان جاهدوا نفوسهم في اخفائها فان قوائم تاتي
مطاوعتهم وقد ذم عليه السلم ذلك فقال المتشبع بما ليس عنده
كلابس ثوبي زور ينتهيها الله كاذب في قوله وفعله فيتضاعف
وزره على ذلك حمل قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
واياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الرياء في امتي اخفى من
دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وافتح الرياء النفاق في
الرزق وافتح النفاق ما كان في اصل الاعتقاد وهو اظهار الايمان
مع استبطان الكفر ولذلك جعل تعالى عقابهم اعظم فقال
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار

باب سبب اختلاف الناس في اخلاقهم

جميع الفضايل النفسية ضربان نظري وعلمي وكل نوع منها
يحصل على وجهين احدهما بتعلم بشري يحتاج فيه الى زمان وتدرب
وممارسة ويقوى الانسان فيه درجة درجة وان كان فيهم
من يكفيه ادنى ممارسة ومدارسة وفيهم من يحتاج الى زيادة ممارسة
وذلك بحسب اختلاف الطبايع في الذكاء والبلادة والمانع يحصل بفيض
الهي بخوان يولد انسان فيصير من غير معلم من البشر كعيسى بن
مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلم وغيرهما من الانبيا الذين حصل
لهم المعارف من غير ممارسة بشر فلم يحصل للحكم وذكر بعضهم
ان ذلك قد يحصل لغير الانبيا ايضا في الفينة بعد الفينة
وكل ما كان بتدرب فقد يكون بالطبع كصبي يجد صادقا
اللهجة وسخيا وجريا وآخر على عكس ذلك فقد يكون بالتعلم
والعادة فمن صار فاضلا طبعا وعادة وتعلما فهو كامل الفضيلة
ومن كان رذلا بلادتها فهو كامل الرذيلة

باب وجود اكتساب الفضيلة المحمودة

حث الانسان في كل فضيلة ان يكتسبها خلقا ويجعل نفسه ذات
هيئة مستعدة لذلك سواء امكنه ان يزاول ذلك فعلا او
لم يمكنه وذلك ان يكون على هيئة الاسخيا والشجعان والكرماء
والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام يظهر فيه
نجدته ولا معاملة يسدد فيها من غير ان يزاول فيها عدالة وقد قيل
لبعض الحكما هل من وجود يعم به البلوى قال نعم ان تحسن خلقك
وتسوي لكل احد خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لن تسعوا الناس
باموالكم فسعوهم باخلاقكم واعلم ان كل فعل يحتاج فيه الى
ايجاد وتحريك وتربية دنيويا كان او اخرويا لكن منه

كان اخرويا يحاج فيه مع ذلك الى امور لا تتم ولا تكمل الا بها ومن
اذ يجب ان يعاطاها قصدا الى الكرامة والالم يعتد بها كما قال
تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم اى تحريا لخلوص النية كما قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين وان لا يقصد بها جر منفعة دنيوية او دفع مضرة
فانه يكون بعد ذلك باجرا ويجب عند بعض المحققين ان لا يطلب
به منفعة اخروية ايضا فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم
ومن فعل ذلك بانشراح صدر فهو اولى من بغية بمجاهدة نفس
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان تعمل لله في الرضا
واليقين فافعل والا ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقولهم
الحق مر فهو باعتبار من لم تهذب نفسه ولم يزل مرضه
ومن به ذوق فهم مرة بحد ذاته الا لالام فاما من
كمل فانه يستطيب الحق وان كان ثقيلا كما قال صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن اصلح خلقه وهذب نفسه فهو
اعظم الملكين فمن ملك نفسه وقوامها وهذبها وزكاها فقد اطلع
بذلك على ملكوت السموات والارض وملك طوع جيش لا عطاء يا
تلزمه وقد نبه عز وجل على ذلك بقوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا فجعل النبوة مخصوصة فيهم وجعل الملك عاما لهم تنبيها على
الحي الذي ذكرت وعلى ذلك قوله عز وجل ام يحسدون الناس على

باب انواع نعم الله تعالى الموهوبة والمكتسبة

نعم الله تعالى وان كانت لا تحصى بفصله كما قال تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها فانها بالقول المجمل منحصرة في انواع الاول ومنها علاها واشرفها
السعادة الاخروية وبها اشار تعالى بقوله واما الذين سعدوا
ففي الجنة الى قوله غير مجذوذ وذلك هو الخير المحض والفضيلة
الصرف وهو اربعة اشياء بقاء بلا فناء وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وعز لا يمازجه ذل الا بانسلاب الفضائل
النفسية ثم استعمالها كما قال عز وجل وزاد الاخرة وسعى لها
سعيها واصول ذلك بعد اشياء الصحة وكمالها العلم والعفة
وكمالها الورع والشجاعة وكمالها الجهاد والعدالة وكمالها الانصاف
وهي المعبر عنها بالدينية وكل ذلك بالفضائل البدنية وهي
اربعة اشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل اللطيفة
بالانسان وهي اربعة اشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة
والسبيل الى تحصيل كل ذلك الا بتوفيق الله عز وجل وذلك باربعة
اشياء بهدايته ورشده وتسديده وتأييده فجميع ذلك خمسة
انواع هي عشرون نصرا ليس للانسان مدخل في اكثرها الا فيما
من نفسي فقط واعلم ان الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية
هي الحيوان الاخروية وما عداها فتسمية بذلك اما لكونه معاونا في

بلوغ ذلك او نافعا فيه فكل ما اعان على خير وسعادة فهو خير
وسعادة وهذه الاشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة
الاخروية متفاوتة الاحوال فمنها ما هو نافع في جميع الاحوال
وعلى كل وجه ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه
دون وجه ورب ما يكون ضره اكثر من نفعه فحق الانسان ان يعرفها
بحقايقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الواضح على الرافع
وتقديمه الخسيس على النفيس فالناس في هذا بحر بها طالب الخير وهارب
من شر كما قال كل يحاول حيله حتى بها دفع المضره
واجتلاب المنفعه والمرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار
البعاد على الدعه لان قد يحسب الشر في طي سحه ورحمه
ويقدر في الشي انه رزق نافع وهو سم ناقع فلذلك يحتاج العاقل
العاقل ان يجلي بصيرته ويعرف مايطلب حقيقة كيلا يكون كمن
يريد حبلا ينتطق به فوافى حية فظنها مسبغاه فاخذها بغضته
وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات ثلث موثره لذاتها
وموثره لغيرها وموثره تاره لذاتها وتاره لغيرها فالموثره لذاتها
الاخروية والنفسيه والموثره لغيرها الدراهم والدنانير فانا لو تصورنا
ارتفاع الضرورات التي تندفع بها لكانت هي والحصى سواء واما
الموثره تاره لذاتها وتاره لغيرها كصحة الجسم فمعلوم ان الرجل
وان اريد للمشي والافتراش يريد صحة الرجل وان استغنى عن المشي

ويقال ايضا الخيرات ثلث نافع وجميل ولذيذ والشر ثلثه
ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من ذلك ضربان احدهما مطلق وهو
الذي يجمع الاوصاف الثلث في الخير كالحكمة فانها نافعة في جملة
والذيذ وفي الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم والثاني في
مقيد وهو الذي جمع شيئا من اوصاف الخيرات وشيئا من اوصاف
الشرور فوب نافع مؤد لجدع قصير انفه وان نفعه في
ادراك الثار فقد اذاه ودب نافع قبيح كالحمى فانه وان
نفع من حيث ما قيل استراح من لا عقل له فهو حد قبيح ودب نافع
من وجه ضار من وجه كمن في سفينة فخاف الغرق فالقى متاعه
في الماء فتخلصت السفينة وكل ما نفعه ولذته وجماله اطول امدا
واعم عايدة فهو افضل فحق العاقل ان يرغب الى الله عز وجل في
ان يعطيه ما فيه مصلحته مما لا سبيل بنفسه الى اقتنائه وان يبذل
جهده مستعينا بالله تعالى في اقتنائه كسبه وبلوغ الاعلى
فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف ومن ضيع انفس المقتنيات
مع التمكن من تحصيله فهو دنى الهمة رأض بخسيس الحال واشرفها ما
اذا حصل لم يغصب ولم يحتج في حفظه الى اعوان وحفظه وكان
نافعا عاجلا وآجلا ومطلقا في كل حال وزمان ومكان وذلك
هو الفضايل النفسيه ولا سيما العقل والعلم واما الغنيات الحاليه
من الجاه والمال فانها يقال لها الخيرات الموسطه لانها تجذب
الى الفضيلة مرة والى الرذيلة مرة لانها سبب للخيرات اذا كانت

مع العقل وسبب للشرور اذا كانت مع الجهل وقد نبه الله عز وجل
على كون ذلك سببا للشرور بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة وقوله
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله الآية ولذلك قيد
السعيد بالخير العاقل غنيا كان او فقيرا قويا كان او
ضعيفا ان قيل ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع وهل بينها
فرق قيل اما الخير المطلق فهو المختار من اجل نفسه والمختار لغيره
لاجله وهو الذي تشتهيه كل عاقل بل قد قيل هو الذي تشتهيه الكل
بالاشتهاء فان الكل يطلب بالحقيقة الخير وان كان يعتقد في الشر
انه خير فيخطأ فمقصده الخير ويضاده الشر وهو المجوي من
اجل نفسه والمجوي لغيره من اجله قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا خير في خير بعده النار ولا شر في شر بعده الجنة فجعل الخير
المطلق الجنة وجعل الشر المطلق النار كما تراه وقد يقال لكل ما
يوصل به الى الخير خير ولهذا قد يسمى الله عز وجل المال خيرا
في قوله تعالى ان ترك خيرا لكن المال والجاه في الحقيقة
قد يكونان خيرا لبعض وشرا لبعض معلوم انه ان كان شرا
لمن قال فيه الله تعالى يجب ان يعامله اخلاقه واما السعادة المطلقة
فحسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها من البقاء
بلا فناء والقدرة بلا عجز والعلم بلا جهل والغنى بلا فقر وقد يقال
لما يتوصل به الى هذه السعادة الاربع سعادة وهي الى ستة عشر

المتقدمة ويضادها الشقاوة واما الفضيلة فاسم لما يحصل به
للرجل مزية على غيره وهو اسم لما يتوصل به الى السعادة ويضادها
الرذيلة واما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير
والنافع في الشيء ضربان ضروري وهو ما لم يكن الوصول اليه المطلوب
الا به كالعلم والعمل الصالح المكلفين في البلوغ الى النعيم الدائم
وغير ضروري وهو الذي قد يفيد غيره مسدة كالسكنجبين في
كونه نافعا للصفراوي فانه قد يفيد غيره مسدة وكل نافع قد يسمى فضيلة
وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك توصلا اليه

باب حاجة هذه الفضائل بعضها الى بعض

الفضائل خمسة انواع اعرضية ونفسية وبدنية وخارجة وتوفيقية
يجب ان تعلم ان بعض ذلك يحتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث
لو لم توجد لاختل حاله الآخر وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية
لا سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضائل النفسية ولذلك
قال الله عز وجل في اثناء الآية فنبه انه لا مطمع
لمن اراد الوصول اليها الا باستعمال الفضائل النفسية
الا بصحة البدن وقوته ولا انه غنى لاكمال الفضائل النفسية والبدنية
من الفضائل الخارجة فانه ان امكن حصوله لمن لا اهل له ولا مال
ولغيره فانه لا يحمل الانهماك

باب الفضائل

المطيفة بالإنسان مر تقدم ان ذلك بحول الله
اربعة اشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة وان من هذه الاشياء
نافعة في بلوغ الفضيلة الحقيقية والسعادة الاخروية وجاهية
تجري الحاجة المبلغ وان لم تكن الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية
واما المال فصاحبه يتمكن من فضايل اذا فقد وتكل بلوغها معلوم
أن كثيرا انما تقرب كالزكوة والحج تكلف الفقير والفقير
في تجري المكارم كساع الى الهيجا بغير سلاح وكباز متصيد بلا
جناح وفضله معظمي كمال تحت الارض وزيارة كامنة في العز وما
اصدق ما قال الشاعر والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصة
وذل وقال الاخر فالمال في الدنيا لم يزل محمودا ولا
يحمد في الدنيا لمن قل ماله وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفة والغنى وقال
صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال واما الاهل فنعم
العون على بلوغ السعادة فمن كان اهله وخاصته كان له بهم عيون
واذان وايد وقال تعالى حاكيا عن لوط عليه السلام لو ان
لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قال الشاعر الم تر
ان جمع الهوم تجتبى وان عزام واحدهم مساح وقال صلى الله
عليه وسلم في تبع لولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث
صدقة دائمة وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له وقال

صلى الله عليه وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال عليه السلام نعم
العون على الدين المراة الصالحة فالمراة من زوجها الرجل قيضها الله
تعالى ليزرع فيها موعده كما قال تعالى نساؤكم حرث لكم
وقال تعالى ابناؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
واما العزة فانها تابى عن تحمل الذل ومن لا عزة له لا يمكنه ان يدفع
عن حريمه ولذلك قيل الدين والسلطان اخوان توأمان وقرينان
مؤتلفان ومن ديان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل
الدين اسس والسلطان حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس
له فضايع وسمى الله تعالى الحجج سلطانا لقهرها اولي البصاير
وقال عز وجل لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
واما كرم العشيرة فانه تعالى له الحسب والشرف والشرف اخص
بمآثر الاباء والعشيرة ولذلك العلوية اشراف وفي الناس مزلا
يعد شرف الاهل فضيلة وقال المرء بنفسه واستدل بقول
امير المؤمنين رضي الله عنه الناس ابنا ما يحسنون وقوله فيه
كل امرئ ما يحسنه وانشد كن ابن من شئت واكتسب ادبا
يغنيك محمود عن النسب
وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس ذلك
كما ظن لان كرم الاعمام والاخوال يخيله كرم المرء مظنة له
فالفرع وان كان قد يفسد احيانا معلوم ان اصله يورث الفضيلة

والرذيلة فانه لا يكون من النخل الحنظل ومن الحنظل النخل ولذلك
قال الشاعر ومايك من خير اتوه فانما توارثه آبا آبائهم
تنبل وهل ينبت الخطي الا وشيجه ويغرس الا في
منابتها النخل ٭ وقيل وان الزرع اذا نزى أشرا هما ع
وبين ذلك ان الاخلاق تناج الامر جه ومزاج الاب كثيرا
ما يتأدى الى الابن كالالوان والخلق والصور ومن اجل تأديها
اليه قال صلى الله عليه تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن
وما ذكر من قول امير المؤمنين رضي الله عنه الناس ابناء ما يحسنون
فحث الناس على اقتباس العلم ونهى عن الاقتصار على مأثرة الاباء
وان المأثرة الموروثة قليلة الغناء سريعة الفناء لم يضامها
الفضيلة النفس ان ذلك انما عهد لكي يوجد الفرع مثله ومتى اخلف الفرع وتخلف
فكانه يخبر بشيئين اما بتكذيب من يدعي الشرف بعنصره او بسلبه
في انتسابه الى ذلك العنصر وما فيه ما يحظ المختار والمحمود ان
يكون الاصل في الفضل اسخا والفرع شامخا كما قال الشاعر
وانو قد هم بحسن حديثهم وكرم اخلاق بحسن خصال
ومن لم يجمع له الامران فلا يكون شريف النفس دني الاصل اجمل
من ان يكون ذا نفس شريفة الاصل قال الشاعر نما الحسب الموروث
لا در در بمحتسب الا باخر مكتسب اذا العضم لم يثمر وان كان
شعبة من الثمرات اعدها الناس في الحطب ومن كان عنصره في

الحقيقة سيئا ومن في نفسه دنئ فذلك اما من ايتمامه لنفسه وشومها
واما لقرنه في العادات القبيحة وصحبة الاشرار وغير ذلك من العوارض
المفسدة للعناصر فليس سبب الرذيلة سببا واحدا

باب الفضايل الجسمية

قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء ان يكون صحيح البدن
بريا من الامراض الشاغلة عن تجري الفضايل العقلية وليس كذلك
فان البدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللذان بهما
صار صانعا وربانا وجمع اجزاء البدن بالقول المجمل اربعة العظام
التي تجري للبدن كالالواح للسفينة والعصب الرابط الذي شد به
الالواح واللحم الحشو للرباط والجلد الغشاء لجميعها فاذا اعتدلت
من الاربعة بان تعتدل فيها الاربع القوى وهي الجاذبة والممسكة
والهاضمة والدافعة سمي ذلك لصحة ولو لا صحة البدن لما صح
الانتفاع به واما القوى فهي جون انتفاع تركيب هذه الاركان
الاربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما تبعها وبها يصلح
البدن للسعي والتصرف في امور الدنيا والآخرة واما الجمال فنوعان
احدهما امتداد القامة الذي يكون من الحران لغرزه فان الحرارة
اذا حصلت رفعت اجزاء الجسد الى العلو كالنبات اذا نجم
كلما كان اطلب للعلو في منبته كان اشرف في جنسه وللاعتبار
بذلك استعمل في كل ما جاد في جنسه العالي والفايق وكثر المدح بطول

القامة نحو قول الشاعر كان ذروة البطرية علمت على ابيتها
منه بجذع مقوم وقال آخر اشم طويل الساعدين كانما يناط
بجاد اسيغه بلواء
والثاني من الجمال ان يكون معتدلا قوي العصب طويل الاطراف ممتدها
رحب الذراع غير مشقل بالشحم واللحم قال فتى قد قد السيف
كامتضايل ولا رهل لبانة ذا باجلده ولا معتم بالحمال
فهذا ما يتعلق بالشهوة من الرجال والنساء فذلك انه شبه وانما يعني
به الهيئة التي لا تنبو الطباع عن النظر اليها وهو ادل شيء على فضيلة
النفس لان نورها اذا اشرق تأدى الى البدن لشرفها وكل شخص
فله حكمان احدهما من قبل جنسه وهو منظره والآخر من قبل نفسه وهو
مخبره وكثيرا ما يدلان معا ولذلك فزع اصحاب الفراسة في معرفة
احوال النفس اولا الى الهيئات البدنية حتى قال بعض الحكماء قل
صور حسنة تتبعها نفس رديئة نفس الخواتيم مقرونة الطيش
وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس وليس في الارض قبح الا
وجهه احسن ما فيه وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحاجات
الى الوجوه الحسان وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا
فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم فالوجه اول ما يعبر منها آثار
النفس وكالمرآة لها تشتمل بما عليها وكذلك يظهر فيها اثر سرور
النفس وحزنها ورضاها وسخطها ولذلك عبر بالوجه عن الجملة
ومن

وعن رئيس القوم ايضا فيقال فلان وجه القوم وعينهم وحتى قال
عز وجل كل شيء هالك الا وجهه وكون الوجه المقبول في
دلالته على فضيلة النفس وازلم يكن حكما لازما فهو على الاعم
الاكثر وحكى ان المأمون استعرض جيشا فمر به رجل قبيح الوجه
فاستنطقه فوجده الكن فأمر باسقاطه وقال ان الروح اذا كانت
طاهرة كانت صباحة واذا كانت باطنة كانت فضاحة واراه
كالظاهر لهو كالباطن وكفاك من الباب ما فضل كمال الاسم قوله
تعالى ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
وقال تعالى وزادكم في الخلق بسطة واما طول العمر فلولاه
لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي تنالها لما نيل
السعادات الاخروية **باب الفضائل التوفيقية**
التوفيق موافقة اراده من الانسان وفعله قضاء الله وقدره وهو
وان كان موضوعا في الاصل على وجه يصح استعماله في
السعادة وفي الشقاوة فقد صار متعارفا في السعادة فقط
والاتفاق مطاوعة التوفيق لكن قد يستعمل في السعادة والشقاوة
جميعا فيقال اتفاق حسن واتفاق ردي والتوفيق مما لا يستغني
عنه الانسان في كل حال كما قيل الحلم ما الذي لا يستغني عنه احد في
كل حال فمن نال التوفيق بشعر اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر
ما يجني عليه اجتهاده والسعادة التوفيقية على الهداية والرشد

والتسديد والتأييد فيجب ان يعلم ان لا سبيل لاحد الى شئ من
المصالح الا بهداية الله تعالى فهي مبدأ الخيرات ومنتهاها كما قال
اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وخاطب عز وجل الناس فقال
ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي بهدايته ما زكى منكم من احد
ابدا الآية وقال صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد يدخل الجنة الا
برحمة الله اي بهداه قيل ولا انت قال ولا انا بنبيها انه
ولو تمت رحمته ونعمه ابدا وانتهاها ما كان لنا سبيل الى ذلك
وللهداية ثلثة منازل في الدنيا واولها بتعرف طرق الخير والشر الجاد
اليها بقوله وهديناه النجدين وقد خول الله تعالى الهدى كل
متكلف بعضه بالعقل وبعضه بالسنة واياه عنى بقوله تعالى واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثاني ما يمد به العبد حالا
فحالا لتحببه استزادته من العلم والعمل الصالح واياه عنى بقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى واولئك نوال ولايته التي في
اثرها النبوة واياه عنى بقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى
فجعله الهدى المطلق وبقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا اي نورا تفرقون به بين الحق والباطل وكل
ذلك يسمى النور والحياة نحو او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به الآية وقال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه ويجري هذه المنازل الثلاث يتوصل الى

الهداية للجنة المذكورة في قوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والرشد غاية الهدى
يعني للانسان عند توجهه في امور فيتوصل على ما فيه صلاحه
ويفوز عما فيه فساده واكرم ما يكون ذلك من الباطن في قوله
عز وجل لقد آتينا ابراهيم رشده الآية ولكثير ما يكون ذلك
بعد الهداية العزم او بفتحه والتوجه نحوه قوله عز وجل واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه والتسديد ان تقوم ارادته وحركاته
نحو الغرض المطلوب فيهجم عليه في اسرع مدة يمكن الوصول فيها
اليها وهو المسؤول بقوله اهدنا الصراط المستقيم والنصر من الله
تعالى معونة الانبياء والاولياء وصالحي العباد بما يؤدي الى
صلاحهم عاجلا وآجلا وذلك يكون تارة من خارج بما يفيضه
الله فيعينه وتارة من داخل بان يقوي قلوب الاولياء او يلقي
رعبا في قلوب الاعداء وعلى ذلك قوله عز وجل انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا في الحياة الدنيا وقوله عز وجل ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون واما ما يحقق بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة
فيقال له الدولة والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام
نداولها بين الناس وقوله عز وجل في وصف الفتح كيلا يكون دولة
بين الاغنياء منكم والتأييد يقوي ارم من داخل بالنصرة ومن

خارج بقوة البطش وللاول قال تعالى اذ ايدتك بروح القدس
والعصمة فيض الهي يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر
حتى يصير كما يقع له من باطنه وان لم يكن منعا محسوسا واياه عنى بقوله
ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقد روى ان يوسف
عليه السلم رأى صورة يعقوب صلى الله عليه وهو عاض على اصبعه
فانجم وليس ذلك بمانع بيانى الكليت كما تصور بعض المتكلمين
فان ذلك كان تصورا وتذكرا لما كان جذره وعلى هذا قال كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء وزعمه تعالى ان يكره الوعيد عا
مزيد عصمته كيلا يتقتل شاعة عن مراعاة نفسه كما قال تعالى
لنبيه عليه السلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية واعلم ان
رشده تعالى للعبد وتسديده وعصمته ونصرته يحوز بما يخول من
القوة الناطقة والسمع الواعي والقلب المراعي وتعبيطا العلم الناصح
لذا الرفق الموافق واما ذم المال بما يبعد عن مقتضاه قلة
والاشتغال عنه كرة وفي العسير والعزما يصونه عن سفاسف الشفاء
وعن بعض منه من جهد الاغنياء وان يخلو من كبر الهمة وقوة الغيرة ما
يحفظه عن التشخف للدنية والتأخر عن بلوغ المرتبة العلية

باب ما يتولد من الفضايل النفسية

امهات الفضايل النفسية وان كثرت اربعا فالحكمة بنات فكر امهات
لفضايل الاخر وبيان ذلك ان العقل متى قوى تولد من حسن نظره جودة

الفكر وجودة الذكر ومن حسن فعله الفطنة وجزالة الراي فيتولد
من اجتماع اربعتها جودة الحفظ وجودة الفهم والشجاعة متى تقوت
تولد منها الجود في حال الغنى والصبر في حال المحنة والصبر يزيد
الجرح ويورث الشهامة المختصة بالرجولية كما قال الشاعر
خلقان جلا للبصير واياني وبذلك العوان للبكا والمأتم
والعفة اذا تقوت ولدت القناعة والقناعة تمنع من الطمع
في مال غيره فتتولد الامانة والعدالة اذا تقوت تولدا لرحمة
هي الاشفاق من ان يفوت ذا حق حقه فمتى تولد الحلم في الحلم يعني
العفو وانانية تجمع هذه الفضايل وذلك ان الافانية
هي الفضايل النفسية المختصة بالانسان وبقدر ما يكتسبه الانسان
يستحقها وفيها تفاضل لما تقدم في الفرق بين الافان والافانية
فمنهم من قد ارتفع حتى الحق بالملك فلو تصور ناطقا جسمانيا لكان
اياه لارتفاعه عن الافانية الا بالصور التخطيطية وعلى هذا قوله
عز وجل ان هذا الا ملك كريم ومنهم من انحط حتى صار في افق
البهايم فلو تصور ناطقا او حمارا استصعب لقامه لكان هو اياه لانحطاطه
عن الافانية الا بالصور التخطيطية ان هم الا كالانعام
بل هم اضل سبيلا ومنهم من هو في اوساط هذين في درجة من درجات
لها كثيرة ولهذا صح ان يقال فلان اكره افانية من فلان وما يحقق
به لفظ الافانية هو الاخلاق والافعال المحمودة فاما الملموسات من

الأخلاق فيشارك الإنسان فيها البهائم وأشياطينهم **أما**
المروءة فلها اشتقاقان فمن أصلها يقتضي أن تكون
من الإنسانية متقاربين ومعان تجمعهما الطعام وامرأة إذا
تخصص بالمرء لموافقة الطبع فكأنها اسم للأخلاق والأفعال التي
يقبلها القوي السليمة فعلى هذا تكون اسما للأفعال المستحسنة
كالإنسانية والثاني أن يكون عن المرء فتجعل اسما للمحاسن
التي يختص بها الرجل دون المرأة فيكون كالرجولية وذلك أخص
من الإنسانية إذ الإنسانية يشترك فيها الرجال والنساء والمروءة
أخص فكثيرا ما يكون فضيلة للمرأة يكون رذيلة للرجل كالبذل والخفر
والبخل والجبن لهذا قيل أفضل أخلاق الرجال أرذل أخلاق النساء
فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهن وقيل لمعوية رضي الله عنه ما
المروءة قال إطعام الطعام وضرب الهام وقيل للأحنف فقال أن لا
تفعل في السر ما تستحي منه في العلانية وقيل آخر فقال جماعها
في قول الله عز وجل إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
الآية **وأما الكرم فاسم لجماعة الأخلاق**
والأفعال المحمودة إذا ظهرت بالفعل والحرية مثله لكن يقال ذلك
في الأفعال المتعدية المطامع والأعراض الدنيوية وذكر بعض الحكماء
أن الحرية تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ومن تنفق مالا
في تجهيز جيش في سبيل الله إلى تحمل حالة يرثى لها يدوم قبيله بكل كرم

ربه وليس كذلك حرية كرما وأيضا فالحرية يقال للطف عن الأخذ والكرم
يقال في الإنفاق كثر والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ويضاد
الكرم اللوم والحرية العبودية يعني المذكورة في قوله شعر
العبد لا يطلبا لعلا ولا يعطيك شيئا إلا إذا رهبا وكما
أن الكرم أعم من الجود فاللوم أعم من البخل ويدخل في الحرية والكرم
النساء فإنهن مستعبدات ولذلك دعي لوامر الله مخلوقا بعباده
مخلوق لأمر النساء بعباد أزواجهن إن قيد بحقيقة قول الله
عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل لما كان الكرم اسما للأفعال
المحمودة التي تقدم ذكرها وهذه الأفعال إنما تكون فاضلة إذا كانت
عن علم قصد بها أثرنا لوجه الله وجه الله تعالى وذلك هو
التقوى المحمودة فإذا كل من كان أتقى كان أكرم والعزيز الذي يأبى
تحمل المذلة واشتقاقه من العزاز كالمطلق في الامتناع من تناول
الشهوات المذلة وأصله من العطف أي الأرض الصلبة ونوق بعض
الحكماء بين العزيز والكريم فقال الكريم يأبى أن يقضى له والعزيز
يأبى أن يقضى عليه الظرف اسم يجمع عامة الفضائل النفسية
والبدنية والخارجة تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء ولذلك قال
أعرابي فلان ظرف يعني شرف ومقر الفضل ولكونه واقعا على
كل ذلك قيل لمن حصله علم وشجاعة ظريف ولمن حسنت
لباسه وأثاثه وريا شيه ظريف فالظرف أعم من الحرية والكرم ع

وأما العفو فاكارم فانها اشهرها يختص به الفقر من الفضايل
الانسانية لكنه يبالرجولية اشبه وقد استعارت الصوفية
لفظ العفو للمتصوف لكونها مشاركة له في جميع أفعالها الا في
الغرض فان غرض العفيات استجلاب محمدة من الانسان وغرض المتصوفة
استجلاب محمدة من الرحمن بل مجرد مرضاة تعالى واما الحسب فيقال
فيما يختص به الانسان فيعده من ما أثره وقد يقال فيما يؤثر عن آبائه
والشرف نحو لكن اكرم ما يقال فيما يؤثر عن الآباء

باب في تلازم الفضايل

العقل والعفة والشجاعة والجود والعدالة وسايل الفضايل تلازم
فان العقل اذا أشرق عقل صاحبه عن الاقدام على ما يؤديه ويورثه
مذمة ويحمله على الاقدام على المحاوف التي تورثه المحمدة وعلى أن يسمح
بفضلات ما في يده لمن يحتاج اليه وان يبذل الكل ذي حق حقه
وذلك هو العفة والشجاعة والعدالة وكذا اذا كان عدالا حمله عدله
على ان يترك تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ولا يخاف الفقر فيبخل
وان لا يحجم عما يلزمه الاقدام عليه وان لا يبخل بفضلات ما في يده واذا
كان شجاعا لا تغلبه شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره
ولا يخاف الفقر فيبخل بهذا النظر جعل بعض الشعراء السماحة شجاعة
والشجاعة سماحة فقال أبيت أن الجود منه سماحة بدمي

وان من السماحة جودا وجعل النبي صلى الله عليه وسلم دفع المهور جهادا
فقال جهاد كل قوم بحسبه وجعلت العفة جودا فقيل الجود جودان
جود في يدك منيرعا وجود مما في يد غيرك متورعا ومواعظها هذه
الفضايل اذا حصلت حصل بها الامانة والحرية والكرم وعنها يتولد
الاسلام والايمان مع التقوى والاخلاص

باب البواعث على فعل الخير وتحري الفضايل

البواعث على تحري الخيرات الدنيوية ثلاث اذ ناها الرغبة والرهبة
ممن يخشى ضره ويرجى نفعه والثانية رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد
بحمده وذمه والثالث تحري الخير وطلب الفضيلة فالاول يرتفع بالتنزه
وذلك من فعل المعاندة والثاني يرتفع بالتنزه وذلك من فعل العامة
وكبار اتباع الانبياء والثالث من مقتضى العقل وذلك من فعل الحكماء وهذه
المنازل قيل خير ما اعطي الانسان عقل يردعه فان لم يكن فحياء يمنعه
فان لم يكن فخوف يقمعه فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقة
تحرقه تريح منه العباد والبلاد وكذلك البواعث على فعل الخيرات
الاخروية ثلاث الاولى الرغبة في ثواب الله تعالى والمخافة
من عقابه وذلك منزلة المعاندة والثانية رجاء حمده والمخافة من ذمه وذلك
منزلة الصالحين والثالث طلب مرضاة الله تعالى والمحبة له وذلك منزلة
النبيين والصديقين الى الشهداء وهي أعزها وجودا ولذلك قال بعضهم

افضل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل ان يعلم انه لا يريد من الدنيا
والآخرة غيره قال الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم الآية قيل لبعضهم الا تسأل الله الجنة ودعا يك فقال
الجار قبل الدار وبهذا اللفظ قال بعضهم عن عبد الله بعوض فوق
ليم وقال بعضهم هذه المنازل للذات منازل الطالب والمقتصد
والسابق واجدر ان تكون منازل سواء الثلثة ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء
وقد قال بعضهم مسائلة العلماء تزيدك من الله في ثوابه وتخوفك من
عقابه ومخالطة الحكماء تزيدك من الحلم وتبعدك من الذم ومجالسة
الكبراء توقفك فيما عدا فضل الباري تعالى

باب الموانع من جري الفضائل

وذلك ضربان قصور وتقصير فاما القصور فانه لا يكون له آلة
وقدرة على الكتابة او يكون له ذلك ولكن يعوقه عن استعماله عائق
من مرض او شغل ضروري يعوقه لحاجة الى السعي فيما يسد به
جوعته وستره عورته وما عدا هذا لم يشمله المذكور في قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد امرنا بالفزع الى الله تعالى
والتضرع اليه بان يجبر تقصيره بتمام جوده وسعة رحمته واما التقصير

فاربعة اشياء الاول ان يكون فاقدا لما يعرف الحق

من الباطل والجميل من القبيح بنقي غفلا وداء سهلا وهو التعليم

الصايب والثاني ان يكون قد عرف ذلك لكن لم يعود فعل
الصالح وزين له سوء عمله فرآه حسنا فتعاطاه وامره اصعب من
الاول لكن يمكن ان يقهر على العادة الجميلة حتى يعودها وان كان
قد قيل ترك العادة شديد والمالك ان يعتقد في الباطل انه الحق
في القبيح انه الجميل وترتيبي على ذلك ومداواته صعب جدا فقد
صار ممن طبع على قلبه اذ قد تنقش بنقش خسيس كما غلب به
ما يؤدي حذقه الى خرقه وفساده والرابع ان يكون مع جهله وزيه
عن فساد الاعتقاد شريرا في نفسه يهوى الخلاعة وقهر الناس فضيلة
وذلك اصعب الوجوه والى نحوه قصد من قال من العذب تأديبا لتذب
ليهذب وغسل الملح ليبيض والاول من هؤلاء الاربعة يقال له
الجاهل والثاني الجاهل والفاسق والثالث الجاهل الفاسق الضال

والشرير باب الارتقاء في درجات الفضايل

والانحدار عنها الى رذايل الرذا يل

ان الانسان في منازل الفضايل مرتقى صعب ومنحدر سهل وعلى
الارتقاء فيها حث دينا بقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم
وبقوله فاستبقوا الخيرات ومدح قوما بقوله اولئك يسارعون في
الخيرات وذم لها سابقون وعن الانحدار نهى بقوله تعالى ولا ترتدوا
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين وبقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها
وذم قوما بقوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم

الهدى لن يضر الله شيئا ويحبط اعمالهم وبقوله ومثلهم فمن يرد
الى أرذل العمر الآية يقتضي هذا المعنى وان كان ظاهرها يدل على
الجهل الذي يورثه الهرم **فالخيرات** ترتقي فيها الى اشرف
الفضايل باربع درجات وينحدر عنها تبلغ الى أرذل الرذايل باربع
درجات فاما درجات الارتقاء فأولها ان يرتدع الانسان عن الاثم
ويحزها ويندم عليها ويعزم على تركها وعدها وذلك اول درجات
التايبين المطيعين لله ولرسوله وثانيها أن يقوم بالعبادات المفروضة
عليه ويشارع فيها بنفله وشغفه وذلك درجة الصالحين وثالثها
أن يتحرى بعلمه الحقيق تعاطي الحسنات من غير تلفت منه الى
المحظورات بمجاهدة مولاه واماته شهواته وذلك منزلة الشهداء
ورابعها ان يكون مع هذه الاحوال المقدم ذكرها رضيا
ظاهرا وباطنا بقضاء الله وقدره فلا يزعزع تحت حكمه ولا يتسخط
شيئا من احكامه ويعلم ان الله تعالى اولى به من نفسه وذلك درجة
الصديقين وهذه المنازل الاربع هي المرادة بها في قوله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واحد ان تكون هي المنازل الاربع
المأمور بها في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون **واعلم** ان منزلة الرضا هي
أشرف المنازل بعد النبوة فمن رضي عن الله فقد رضي الله عنه لقوله

عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد الرضاين مقرونا بالآخر
فمن بلغ هذه المنزلة فقد عرف خساسة الدنيا واطلع على جنة المأوى
وخطب مون الملأ الاعلى وحظي بتحيتهم المعنية بقوله عز وجل
والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلم عليكم وأما
درجات الانحدار والارتداد فاولها الكسل عن تحري الخيرات
فيورثه ذلك التزيغ المعني بقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وثانيها العجز وهو تركها لتطرق بعض العلل فيورثه ذلك رينا
على قلبه كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وثالثها الوقاحة وهي ان يركب الباطل ويراه في صورة الحق ويذب
عنه فيورثه ذلك قساوة القلب كما قال تعالى ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ورابعها الانهماك في
الباطل وهو ان يحبه ويحبب فيورثه ذلك ختما
على القلب وأقفالا كما قال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فالكسل
سبب العجز والعجز سبب الوقاحة والوقاحة سبب الانهماك
في الباطل كما ان الزيغ ان جاز ان يزيد الى حد القساوة
والقساوة توجب الختم والاقفال فحق الانسان ان يراعي نفسه
في الارتقاء ولا يرخص لنفسه في الصغاير فيؤديه الى ارتكاب
الكباير شعر ان الامور دقيقها مما يهيج لذا ابتطاما
وقد قال الله عز وجل فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك

للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم
بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين فدل أن قعودهم أول مرة الذي بهم إلى أن
صار محكوما عليهم أن لا يتأتى لهم الخروج معه أبدا بوجه

باب بيان عادة الله في تهذيب

الذين ترد عليهم الرذايل حتى قد تحدث أخلاقهم
الناس متحدة كونها على الاحسان والافضال وتجافي الاعتداء
فيما بينهم فلا يأتونها لا خلقا ولا تخلقا ولا رياء ولا سمعة
ولا رغبة ولا رهبة فصاروا في تعاطي الشر سواسية كأسنان
الحمار لعدم فهمهم الفضيلة كما قال صلى الله عليه وسلم لن يزال
الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا فحينئذ ان بقي
في نفوسهم أثر القبول للخير فإن الله تعالى فيهم من بعد بهم بالسنة
والسيف المحق كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم في العرب لما بقي
فيهم من أثر الخير بعظم الشرائع وابتداء الوفاء بالذمام وان
قل فيهم قبول الخير سلط عليهم سيفا جائرا كما قال تعالى
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى ينتصف من أوليائه بأوليائه ومن أعدائه بأعدائه وعاملهم بما
عامل به بخت نصر وان علم فيهم أثر القبول بعث عليهم عذابا
يفنيهم اما طوفانا واما جائحة اي نارا تحرقهم او ريحا فيها
عذاب أليم او الجراد او القمل والضفادع والدم فيطهر منهم

البلاد ويريح العباد كما صنع الله بعاد وثمود وقوم لوط وقوم
نوح وذلك كالارض اذا استولى عليها الدغل فلا بد من نسفها
واجرائها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء

باب أصناف الناس

الناس ضربان خاص وعام فالخاص من تخصص من المعارف
بالحقايق دون التقليدات ومن الاعمال بما تبلغ به الجنة الماوى
دون ما يقتصر به على جاه الدنيا والعام اذا اعتبرت ذلك فالذين
يرضون من المعارف بالتقليدات ومن الاعمال بما يتبلغ به
الى منفعة دنياوية واذا اعتبرا بامور الدنيا فالخاص من زاول الدنيا
بما يرجح بانتفاء احدى السياسات المدنية والعام من لا يجزم
بانتفاء شئ من ذلك وهم من وجه آخر ثلثة اضرب خاصة
وعامة وأوساط فالاوساط هم المشتون في كلام العرب بالسوقة
والخاص هو الذي يسوس والياس والعام من يسوس والياسوس
والوسط الذي يسوسه من فوقه ويسوس من دونه ومن وجه آخر
ثلثة اضرب اصحاب الشهوات وهمهم الجد والبسار والاكل
والشرب والبعال واصحاب الكرامة والرياسة وهمهم المدح
واجلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم
يستعظم من هو من جنسه ولهذا احتاج السلطان أن يتخصص
بكل ذلك في نفسه وبيوته ليكون معظما عند كل ضرب من

الناس فمنهم اصحاب الحكمة واصحاب الكرامة وايوما
لو ياسنة واصحاب الشهوات لما لدوكره فتناتد ومزوجه آخر
ملك اضرب ملكي وشيطاني وانسي فالملكي يستعمل القوة
العاقلة بقدر جهده ومنهم المؤمنون حقا والشيطاني الذي يستعمل
القوة الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل والانسي الذي
خلط عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم المذكورون في قوله عز
وجل فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
الى قوله وتصلية جحيم ومنهم المؤمن السابق الى الفاسق ومنهم
المذكورون في قوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون
السابقون اولئك المقربون ومنهم آخرون مرجون
مصطفى ومنهم ذلك الى المصطفى تلثة اضرب ظالم لنفسه ومقتصد
وسابق ومنهم المذكورون في قوله عز وجل ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات ومنهم ايضا اعني المصطفين تلثة اضرب انبياء
للمشاهدة والهداية لقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
وانزلنا معهم الكتاب والميزان الآية وحكماء وهم الاولياء للمراقبة
والرعاية لقوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وعوام للمجاهدة والكفاية

ومنهم المذكورون في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ومنهم ايضا اعني الناس ضربان عبد بالطبع وان كان ملكا
وملكيا بالطبع وان كان عبدا مسترقا والملك من حمل الفضائل
النفسية التي بها يصير الانسان بحيث يصح بان يوصف بانه
ربانى والهى وملكى ويصح ان يكون خليفة الله في ارضه والعبد من
قال النبي عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس
ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش وقال بعض الحكماء ما من
انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات في
الكون الانسان مشاركا لهما في الجنسية وان كان مباينا لهما في
النوعية فمن الناس غشوم كالاسد وعاشك كالارنب وخب كالثعلب
وشره كالخنزير وجامع كالنمل وآنف كالاسد وغيور كالديك
وهادر كالحمام ومنهم حسن المنظر والمخبر كالاترج ومنهم بخلاف
ذلك كالعنصل والبلوط ومنهم قبح المنظر حسن المخبر كالجوز
واللوز ومنهم حسن المنظر قبح المخبر كالحنظل والبلوط والمؤلف
الخيرين في الحيوانات كالنحل ياخذ لطايب الاشجار فلا يقطف
ثمرا ولا يكسر شجرا ولا يؤذي بشرا ثم يعطي الناس ما يكون نفعه
يحلو طعمه ويطيب ريحه وهو كالاترج في الاشجار يطيب حملا
ونورا وعودا وورقا والمالف الشريرين في الحيوانات كالنمل والارضة
وفي الاشجار مثل الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا ثمر

ويفسد الثمار ويبس الاشجار كالسهرة التي قل وردها وكثر شوكها
وصعب مرتقاها **الفصل الثاني**

في العقل والعلم واللغو وما يتعلق بها وما يضادها

باب فضيلة العقل

العقل اول جوهر اوجده الله تعالى واشرفه بدلالة ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم
قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي
منك بك آخذ وبك اعطي ولك الثواب وعليك العقاب وكان على ما توهمه قوم انه عرض لما صح ان
يحمد اول مخلوق لانه محال وجود شيء من الاعراض خاليا عن جوهر يحمله
وقال صلى الله عليه وسلم لا دين لمن لا عقل له وقال عليه السلم لا يعجبكم اسلام
امرئ حتى تعرفوا عقله عقله ومن هذا للوجه الذي اشار النبي صلى
الله عليه وسلم اليه وقد قالت الحكماء من لم يكن عقله اغلب خلاله الخير
عليه كان حتفه في اغلب خصاله الخير عليه والعقل صار انسانا
خليفة الله تعالى ولو توهم مرتفعا لارتفعت الفضايل من العالم فضلا
عن الانسان وبما غرسه الله تعالى منه في الانسان اهدى من وفقه
الله الى تزكية نفسه المذكورة في قوله عز وجل قد افلح من زكاها
وقد خاب من دسّاها وحصل به حرث الآخرة المذكور في قوله
عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الى قوله
من نصيب وحرث الآخرة على التفضيل سبعمائة ضعف بقاء ابدا وقدره

بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا حاجة وامن بلا خوف وراحة
بلا شغل وعز بلا ذل والى العقل اشار بقوله تعالى الله نور السموات
والارض الآية يعني نور السماوات والارض اي منور السماوات
والارض اي منورهما وقد تقدم وجه ضرب هذا المثل والعقل يعال
على ضربين احدهما بغير اضافة الى احاد الناس فيقال عقل فلان
وهو من الاول بمنزلة الضوء من الشمس

باب توابع العقل

العقل عقلان غريزي وهو القوة التهيئية لقبول
العلم ويكون في الطفل كوجود النحل من الهواء والسنبلة في الحبة
ومستفاد وهو الذي يتوصل به تلك القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب
يحصل للانسان حالا فحالا بلا احتياز منه فلا يعرف كيف حصل
ويقال لهذا العقل الضروري وحصوله بعد احتياز في تحصيله وتكميل العقل
غريزيا ومستفادا قال امير المؤمنين رضي الله عنه العقل عقلان
مطبوع ومسموع فلا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس
وضوء العين ممنوع ولا يصح احدهما الا بالآخر والى الاول اشار بقوله
عليه السلم اول ما خلق الله العقل الخبر والى الثاني اشار بقوله عليه
السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه
بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله
في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ما اكتسب احد شيئا افضل من
عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى والاختلاف النظر قال قوم

العقل مبدع وقيل مكتسب وكلى القولين صحيح من وجه وخطء
والعقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد بمنزلة النور
فكما ان البدن متى لم يكن له بصر فهو اعمى كذلك النفس متى لم يكن لها
بصيرة اى عقل غريزي فهي عمية وكما ان البصر متى لم يكن له نور
من اخر فانه لم يحد بصره كذلك العقل اذا لم يكن له نور من العلم مستفاد
لم يحد بصيرته ولذلك قال عز وجل ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور وقد جعل للعقل نظر وادراك ورؤية وجعل له اضداد من العمي
وغيره فقال عز وجل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
وقال عز وجل ما كذب الفؤاد ما راى وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السماوات والارض ولما كان فقدان البصر اشنع من فقدان
البصر لان بارتفاع البصيرة ترتفع النفع بالبصر قال عز وجل
فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور فنبه
بفقدان البصيرة شبيها ان فقدانها احتباري يأذمو به كهم
استفاده العلم واكثر فقدان البصر ضروري وقال تعالى
الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري فلولا ان العين اريد
بها البصيرة كما قال عن ذكري ان الذكر لا يدرك بجاسة
العين وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعم نبي بفقدان البصر
انما نصاب بنو في ابصارنا وانتم تصابون في بصائركم وكيف لا
يكون فقدان البصيرة اعظم ضررا من فقدان البصر وقد تقدم ان
البدن

البدن بمنزلة فرس والنفس اكبر وضرر عمى الراكب بقية اشد عليه من
ضرر عمي فرسه

باب المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي

المكتسب ضربان احدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة والثاني
العلوم الاخروية والمعارف الالهية وطريقا هما متنافيان وقد ضرب
امير المؤمنين علي عليه السلم لذلك ثلثة امثال قال ان مثل
الدنيا والاخرة كمثل المشرق والمغرب وكالمشرق والمغرب
كل قرب من احديهما بعد من الاخرى ولذلك نهى قوما اكياسا
امور الدنيا وتدبيرها وسياستها بها في امور الاخرة وقوما اكياسا
في امور الاخرة بها في امور الدنيا حتى قال صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال لمن نسب بعض
الصالحين الى البله اكثر اهل الجنة البله واخلاف طريقتهما قال
الحسن رضي الله عنه ادركنا اقواما لو ابتيتموهم لعلمتم بجانين
ولو ادركوكم لقالوا شياطين ولذلك اعتاد بالمعارف الدنيوية
قال لوصل صفة لصرانيا بالعقل انما العاقل من وحد الله
وعمل بطاعته وقال عز وجل حكاية عن اهل النار لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ومن تصور اختلاف الطريقين
اعني طريق الدنيا والاخرة لم تعرض له الشبهة التي عرضت لقوم

منهم قالوا ان ههنا حقا لما جهله الذين لم يلحق شأوهم في تدبير
الدنيا ودقايق الصناعات وواضعوا الحكم والسياسات وذلك
كما انه من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما لا يوجد الا
في الغرب او ان يظفر سالك طريق الغرب بما لا يوجد الا في
طريق الشرق كذلك من المحال ان يظفر سالك طريق معارف الدنيا
بمعارف طريق الآخرة وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله ان الذين
لا يرجون لقاءنا الآية وبقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ظاهر الآية والايجاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا والآخرة
على التحقيق والتصديق الامر زنخهم الله تعالى للهذيان الناس
في امر معاشهم ومعادهم جميعا كالانبياء وبعض الحكماء
ولما كان العقل هو الذي يرتدع الانسان عن الذنب واكتسابه على التمام
والكمال في الورع عن لم يتفك احد من ذنب يتكبه ولذلك
قال صلى الله عليه ما من نبي الا اذنب او هم

باب منازل العقل واختلاف اساميها

فمنها العقل اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما كان
غريزيا ومكتسبا وهو في اللغة تقييد البعير لئلا يند وسمي
هذا الجوهر به تشبيها على عادتهم في استعارة اسماء المحسوسات
للمعقولات وخص بها المصدر به لما كان يستعمل مرة للحرف ومرة
للفاعل نحو عدل وصوم تمن ورود مرة للمفعول نحو خلق وامر لكن يتصور

منه كونه سببا لتقييد الانسان به وكونه مقيدا الدرع ما على
ما يحمل به وكونه مفيدا من من الحيوان والنهي في الاصل جمع نهية
وهو اسم مقدر نحو جعل وصرد ووصف بذو دليل منع وسايق
حطم وجعل اسما للعقل الذي انتهى من المحسوسات الى معرفة ما فيه من
المعقولات ولهذا احيل ارباب على تدبر معاني المحسوسات في نحو
قوله عز وجل افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون
في مساكنهم وقال عز وجل وانزلنا من السماء ماء فاخرجنا به
ازواجا من نبات شتى الى قوله ان في ذلك لآيات لاولي النهى
والحجر اصله من الحجراى المنع وهو اسم لما يلزمه الانسان من خطر الشرع
والدخول في احكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر
وسمي حجى من حجاه اي قطعه ومنه الاحجية لكونه سببا
قاطعا للانسان عما يقبح واما اللب فهو الذي قد خلص من عوارض
الشبهة ورشح لاستفاده الحقايق من دون المترع الى الحواس
ولذلك علق الله تعالى في كل موضع ذكر الحقايق المعقولات دون
المحسوسات نحو قوله عز وجل ان في خلق السماوات والارض ونحو قوله
بهدايته الله تعالى اياهم وقد سمى الله تعالى العلم نورا والجهل
ظلمة فقال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور وسماه روحا فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا وسماه حياة والجهل موتا فقال عز وجل او من كان ميتا

فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها وقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير الى قوله
تعالى ان انت الا نذير وسماه امرا بقوله تعالى انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها والايمان زيد العقل والعلم لذلك
قال تعالى في مواضع ان في ذلك لآيات لقوم يوقنون يعقلون
به ما خلق به وسمي العقل لقلب وذلك انه لما كان القلب مبدأ
تأثير الروحانيات والفضايل سمي به وذلك عظم الله
تعالى امره لاختصاصه بما قدر وجد اجله وقال عز وجل يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال عز وجل
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
فنبه ان القلب في الحقيقة كنز قلبا اذا كان مختصا بما قدر
اوجد لاجله وما قدر ان خلق لاجله من المعارف الحقيقية وقال صلى
الله عليه وسلم ان في البدن مضغة اذا استقامت استقام البدن
واذا اعوجت اعوج البدن الا وهي القلب ولما كان اشرف
المعارف هو ما يختص به القلب قال تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك فخصه بالذكر

باب جلالة العقل وشرف العلم

العقل محيط بها وجد كان محسنا حتى ان الحيوان اذا رأت انسانا
احتشمته بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار وبذلك تتفاضل

للراعي وكذلك جميع الرعاة اذا رأوا منهم من كان اوفر عقلا واغزر
فضلا فيما هم بصدده انقادوا له طوعا وابجلوه اذا لم يعاندوا وانقادوا
ضرورة لاكرمهم علما وافضلهم نفسا واوفرهم عقلا ولا ينكر فضله
الا كل متدنس بالمعايب مطلب لرياسة حافظ على عرض دنيوي
قد جعل عقله خادما لشهوته فالمحفظ على رياسته ينكر فضل الفاضل
وفضيلة العقل لو اوكان كثير ممن كانوا يعاندون النبي صلى الله عليه
وسلم قصدوه ليقبلوه فما كان الا ان وقع طرفهم عليه فرأى لهم نور
الله معربا عن نفسه بالتي في قلوبهم منه روعة فنابوه فمن مدع له طاعة
وخبيث لا ينكره بعد الا جاحد ولهذا المعنى قال الشاعر

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغني عن النظر

وقد تقدم ان الانسان لم يتميز عن الحيوانات والبهايم الا بالعقل
ولم يشرف الا بالعلم ومن شرف العلم ان كل حياة انفكت منه فهو
غير معتد بها بل الميت في حكم الموجودات فان الحياة الحيوانية
لا تحصل ما لم يقارنها الاحساس فلذلك بما يوافقه ويطلبه ويتألم
مما يخالفه فيهرب منه وذلك اخس المعارف فمقتضى الحياة الانسانية
انها اذا تعرت عن المعارف المختصة بها أن لا يعتد بها ولهذا سمى
الله تعالى الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال تعالى
او من كان ميتا فاحييناه وقال اجل ان الحياة تقارن العلم سمى الله
تعالى العلم روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقد ذكرنا

ان حاجة الانسان الى العلم اكثر من حاجته الى المال لان العلم نافع
لا محالة وينفعه دائما في الدنيا والآخرة والمال قد ينفع وقد يضر
فاذا نفع فنفعه منقطع فمن استفاد علما تم ضبطه او تمكن من
استفادته فكأنما قد خبئ خزانا لا يبلى كما قال عز وجل واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية

باب الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفة والدراية والحكمة

العلم ادراك الشيء بحقيقته وموضوعات اصل ما يحصل صور المعلومات
في النفس والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له او موجود او نفي
شيء عنه او عن موجود له نحو الحكم على زيد بانه جارح او ليس بجارح
فالاول هو الذي يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد
وفي النحو المعرفة ويتعدى الى مفعول واحد والثاني يسمى العلم
العقل ويتعدى الى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على واحد منهما من حيث
ان المقصود اذا قيل علمت زيدا مطلقا اثباتا للعلم بانطلاق
زيد دون العلم بزيد واعلم ان العقد والعلم بقياس احدهما الى
الآخر على ثلثة اوجه احدها عقل ليس بعلم وهو العقل الغريزي
الثاني علم ليس بعقل وهو المتعدي الى مفعولين والثالث عقل
هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي يقال
له المعرفة ويصح ان يعدى العقل الى مفعولين فيقال عقلت زيدا
منطلقا كما يقال علمت لكون العقل موضوعا للعلم البسيط دون

المركب وسمي عقلا من حيث انه مانع لصاحبه ان يقع افعاله
على غير نظام وسمي علما من حيث انه علامة على الشيء وهذا
اذا اعتبر حقيقته مما يبين به شرف اللغة العربية واما الفرق
بين العلم البسيط المتعدي الى مفعول واحد وبين المعرفة فهو ان
المعرفة قد يقال فيما يدرك اما آنا وان لم تدرك ذاته والعلم لا يقال
الا فيما ادرك ذاته ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم
الله لما كان معرفة تعالى ليست الا معرفة اثاره دون معرفة ذاته
وايضا فالمعرفة يقال فيما لا يعرف الا كونه موجودا فقط والعلم
اصله ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفيته وعلته
ولهذا يقال الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف لما كان المعرفة
تستعمل في العلم القاصر وايضا فالمعرفة يقال فيما يتوصل
اليه بتفكر وتدبر والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره
ويضاد المعرفة الانكار والعلم الجهل واما الدراية فالمعرفة المدركة
بضرب من الحيل وهو تقدم المعرفة واجالة الخاطر واستعمال الروية
واصله من دريت الصيد والدرية لما يتعلم عليه الطعن والمناقة
التي يستتر بها الصائد ليتمكن من الصيد بها فيرمي من وراء ستر والمدري
يقال لما يصلح به الشعر والقرن الشاة ولا يصح ان يوصف الباري بذلك
لانه يعني الحيل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع فيتبع وقول الشاعر
لاهم لا ادري وانت الداري ... فمن تعرف اكفك الاعسر

وأمّا الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو ما يعلم
العملي اختص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم
وان كان العمل لا يكون محكما بمزدوج العلم به وهنا قيد احكم العمل
احكاما واعلم بكذا احكما والحكمة من الله تعالى اظهار الفضايل
المعقولة والمحسوسة من العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر وقيل حدّ
الحكمة بالفاظ مختلفة فقيل هي معرفة الاشيا الموجودة وتبعين كليات
الاشيا فاما جزئياتها فلا سبيل للبشر الى الاحاطة بها وهنا الحدّ
يحسب اعتبارها بالعلم وقيل هي املاك النفوس على ما يجب وهذا
الحدّ بحسب اعتبارها بالعمل فيما هو غاية المراد من الانسان وقيل هو
الاهتدا بالخالق في السياسة وبقدر طاقة البشر وذلك بان يجتهد
بان يتزيّن علما عن الجهل وعدلا عن الجور وجودا عن البخل وحلما عن
الشهوة ونحو هذا الفعل يقرب العبد من خالقه سبحانه في الدنيا
وتشبه العلوم الى الحكمة من وجه كتشبه الاعضا الى البدن
في كونها ابعاضا لها ومن وجه كتشبه المروءة الى الرئيس في
كونها مستولية عليها ومن وجه كتشبه الاولاد الى الام لا في كونها
مولدة لها وهي في تعارف الشرع اسم للعلوم العقلية اي المدركة
بالعقل وقد افرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب
اسما للايدرك الا من جهة النبوات والحكم اما تدرك من جهة العقل
وجعلهما متزايلين وان كان انالها قد يكون مختلفين وجمع بينهما في

الذكر لحاجة كل واحد منهما الى الآخر فقيل لولا الكتاب لاصبح
العقل حايرا ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل الكتاب بمنزلة اليد
والحكمة بمنزلة الميزان والايوقف لمقادير الامها ولذلك عبّر عن الحكمة
بالميزان في قوله عزوجل الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
وما يبلغ الحكمة الا احد رجلين اما مهذب في فهمه موفق في فعله
يساعده معلمه ناصح وكفاية وعمر واما الهي اصطفيه الله
فيفيض عليه ابواب الحكمة بفيض الهي ويلقي اليه مقاليد خزوم فيبلغه
ذروة السعادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

باب توابع العقل

العقل المركوز في الانسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة
وقد تقدم ذكرهن ويحصل عنه ايضا الذكا والذهن والفطنة وجودة
الخاطر وجودة الوهم والتخيل والبديهة والكيس والخبر واصابة
الظن والفراسة والكهانة والكهانة والعرافة ودقة النظر والرأي
والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة
والفصاحة فاما الذكا فالمضا في الامور وسرعة القطع بالحق واصله
من ذكت النار وذكيت الريح وشاة مذكاة مدرك ذبحها بحدة السكين
وذكي الرجل تم فيه قوة الذكا لكن لما كان اكثر ما يوجد ذلك في
من تمت سنه ثم صار يعبر به عن تمام السن ومنه قيل جري
المذكيات غلاب واما الذهن فقريب من الذكا لكن يقال

في ادراك ما وقع فيه النزاع واما الفكر فهو اعداد ما يتوصل
ولهذا يكثر في استنباط الحاجي والرهوي واما الفهم فمعتدل
فمن لا يعرف معنى الشيء فهما لم يحقق عقلا وقد يسمى الفهم عقلا
وان كان مرتبة دون مرتبة العقل فقوة الفهم ان تدرك الاشياء
الجزئية والعقل يدرك كليا تها ومعنى ذلك ان العقل يعرف ان العدالة
حسنة والظلم قبيح والفهم يميز ويبين كل واحد من العقل مثل
موعدك كاذب وظالم وقد يوصف بالفهم من لا يوصف بالعقل كالحاذق
في لعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فانه يوصف بالفهم واما
الخاطر فهو كالفهم في الشيء يقال خطر الشيء ببالي ولم يقل خطر
بالي بالشيء فيجوز ان يكون ذلك من المقلوب كقولهم عيشة ناصبة
وقد قيل في قولهم عقلت الشيء واحسست انهما انما من المقلوب
والشيء هو المؤثر في الحاسة والعقل انما فيه واما الوهم
فانقياد النفس لقبول اثر ما يرد عليها من قولهم حمدوهم وطريق وهمي
والفرق بينه وبين الخاطر ان الخاطر يقال فيما لا يقبله النفس والوهم
لا يقال الا فيما يقبله واما الخيال فنحو الوهم لكن يقال
اعتبارا بما يكون من جهة الحاسة وفيما له صورة ومنه سمي الطيف
الوارد من صور المحبوب خيالا والخيال قد يقال للقوة الصورية
في المنام ولليقظة والطيف لا يقال الا فيما كان في حال النوم
ولهذا ينسب الطيف الى الخيال لما كان ذلك من جهة ما قال الشاعر

ثم فما زال يركب الخيال ويركز بالفكر ذرات طيف الخيال
واما البديهة فمعرفة ثابتة بحتى بلا فكر واقصد فالبديهة في المعرفة
كالبديهة في العقل واما الرؤية فما كان من المعرفة بعد فكر كثير
وتمويه مزور واما الكيس فالعقل على جودة استنباط ما هو اصلح
في بلوغ الخير وبهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث انه اخير يصيل اليه الانسان
افضل مما بعد الموت وقول العرب الكيس من فشه لتصورها بصورة
الكيس لا انها ذات كيس في الحقيقة وكاس في مشيه اي
اظهر الكيس في مشيه برفع احدى رجليه وتسميتهم الغادر
كيسان اما على طريق التهكم او تنبيها ان الغادر بعد ذلك
في الاصل انه غادر ثم سمي كل غادر كيسان لتسميتهم كل حداد
حدادا نكيا واما الخبر فمعرفة يتوصل اليها من قولهم خبر فلان اي اصبت
خبره وقيل هو من قولهم ناقة خبرة غزيرة فكان الخبر هو غزارة
المعرفة ويجوز ان يكون قولهم ناقة خبرة هي المجربة عن غزارتها
كقولهم ناقة تاجرة ناقة تاجرة كانها من حسنها تبيع نفسها
والجمع التواجر واما الظن فاصابة المطلوب بضرب من الامارة
ولما كانت الامارات مترددة بين يقين وشك فتقرب تارة من
طرف اليقين وتارة من طرف الشك صار يشترك اهل اللغة
بهما فمتى كان من طرف اليقين اوقب استعملوه ان المثقلة والمخففة

منها في قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وظنوا انه واقع بهم
ومتى كان في طرف الشك او رجحانه استعمل ان التي للمعدومين من
الفعل نحو ظننت ان تخرج وان خرجت وانما استعمل الظن بمعنى
العلم في قوله الذين يظنون ان من احد هما تنبيه ان علما كثيرا
الذي في الدنيا بالاضافة الى علم الآخرة كالظن في
جنب العلم والثاني ان العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل الا
للنبيين والصديقين المعنى بقوله تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا والظن متى كان عن امارة قوية فانه يدعو صاحبه متى كان
عن تخمين لم يعتد ذم به كما قال عز وجل ان بعض الظن اثم
واما الفراسة فانها استدلال بهيئات الانسان واشكاله
واقواله واحواله على اخلاقه وقضاياه ورذايله وربما قيل هي
صناعة صياد لمعرفة اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله
تعالى على صدقها بقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعرفهم
بسيماهم وقوله ولتعرفنهم في لحن القول ولحن الشيء من قولهم
لحنت اليه اذا قصدت اليه فكان الفراسة اختلاس المعاني والمعارف
وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف سببه وذلك
ضرب من الالهام بضرب من الوحي وايا ه عنى النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله المؤمن ينظر بنور الله والذي يسمى صاحب المرقع
والمحدث قال عليه السلم ان يكن في هذه الامة محدث فهو

عمر رضي الله عنه وقيل في قوله عز وجل ما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب ان ما كان وحيا نبوة بل لقاية في الروح
وذلك يكون للانبياء كما قال تعالى نزل به الروح الامين على
قلبك وقد يكون بالهام في حال اليقظة وقد يكون في حال المنام
واجل ذلك وال عليه السلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة والضرب الثاني من الفراسة يكون بصناعة متعلمة
وهي معرفة ما بين الالوان والاشكال وما بين الامراض والاخلاق
والشمائل الطبيعية ومن عرف ذلك وكان ذا فهم ثاقب قوي الفراسة
وقد عمل في ذلك كتب ومن تتبع الصحيح منها اطلع منه على صدق
ما ممثل والفراسة ضرب من الظن وسئل بعض محصلة الصوفية
عن الفرق بينهما فقال الظن بقلب الكلب والفراسة بنور الرب
تعالى وقال من قوي فيه نور الروح المذكور في قوله عز وجل
ونفخت فيه من روحي كان ممن وصفه الله بقوله تعالى افمن
كان على بينة من ربه الآية وكان ذلك الذي شاهد امنه اصاب
فيما حكم به ومن الفراسة قال صلى الله عليه في الملهمين ان يكن
لبين لو لا يحكم الله ومن الفراسة علم الرؤيا وقد عظم الله تعالى
امرها في جميع كتبه المنزلة وقال تعالى لنبيه وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الآية وقد عظم الله تعالى امرها بقوله تعالى
اذ يريكهم الله في منامك قليلا الآية وقال في قصة ابرهيم

عليه السلم يا بني اني اري في المنام اني اذبحك الآية وقال حكاية
عن يوسف يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر الآية
والرؤيا هي فعل النفس الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد
هذه القوة في الانسان فائدة والله تعالى عن الباطل وهي
ضربان ضرب وهو الاكثر امتعاث احلام واحاديث النفس من
الخواطر الردية لكون النفس في تلك الحال كالمرآة الممتوح الذي لا
يقبل صورا وضرب وهو الاقل صحيح وذلك بسمات قسم
لا يحتاج الى تأويل وقسم يحتاج الى تأويل ولهذا احتاج المعبر
الى مهارة للفرق بين الاضغاث وغيرها وليميز بين الكلمات الجسمانية
والروحانية ويفرق بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا يصح
له رؤيا وفيهم من يصح رؤياه ثم من يصح له ذلك منهم من يرى
ان يلقى اليد في الطعام الاشياء العظيمة ومنهم من لا يرى لذلك
ولهذا قال اليونانيون يجب للمعبر ان يشتغل بعبارة رؤيا الملوك
والحكماء دون الطغام وذلك لانه لا حظ من النبوة وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة وهذا علم يحتاج الى مناسبة بينه وبين معبر به
فرب حكيم لا يرزق حظا فيه ورب ناقص الحظ من الحكمة وسائر
العلوم يوجد له فوق عجيبة واما الكهانة فضرب من الفراسة وهي
معرفة فعل باطن تفعل ظاهرا وضرب من التوهم وقد كنتم ان تكنت

والقيافة ضرب من الكهانة الا انها ادق وهي ضربان احدهما يتبع اثر
الاقدام والاستدلال به على ان السالك هو المالي والاستدلال بهيئة
الانسان وشكله على نسبه وخص بالقيافة من العرب بنو مدلج وبنو
لهب وقيل ان ذلك بمناسبة طبيعية لا بتعلم وهي محكوم بها في
الشرع قال بعض الحكماء انما خص الله تعالى العرب بذلك ليكون
سببا لابداع في آبائهم مما يورث شوب نسبهم وخشن حسبهم
وفساد بدوهم وزروعهم وصيانة للنسبة النبوية ليكون ذلك
شرفا للنبي عليه السلم والاجل حفظه تعالى نسبهم قال وجعلناكم شعوبا
وقبايل لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا بعرف اصله واما الكهانة
والمعرفة فان الكهانة مختصة بالامور المستقبلة والمعرفة مختصة
بالامور الماضية وكان ذلك في العرب كثيرا واخر فرد
وروي عنه الاخبار المعجبة سطيح وسواد ابن قارب وقد كان وجود
ذلك في العرب احد اسباب معجزات النبي عليه السلم لما كان يخبر به
ويحث على اتباعه وينهى ذلك عنهم بعد النبوة حتى روي لا كهانة بعد
النبوة وقال عليه السلم من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما اتى به
فقد كفر بما انزل على محمد تنبيها على انه قد رفع ومما يجري مجرى ما
الطير والتأم بشيء يعيج تحت الناظر والمسامع مما تنفر منه النفس مما
ليس بطبيعي فاما نفارها مما هو طبيعي في الانسان كنفار من مرير
الجديد وصوت الحمار فلا يعد في هذا واستقامة من الطير واصله في

زجر الطير وما سواه فلحق به على ذلك دول الشاعر وما أنا ممن يزجر
الطير حوله أصايح غراب أم تعرض طائر

ثم كرر في غير حق قال الله تعالى حكاية قالوا اطيرنا بك وبمن معك
قال طائركم عند الله أي السبب الذي يسعدكم ويشقيكم عند الله وقال
عز وجل وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وسمى عمل الإنسان
الذي يعاقب عليه طائرا فقال عز وجل وكل انسان ألزمناه طائره في
عنقه والنظر إجالة الخاطر فيما لم يدرك البصر إياه فللقلب عين
كما أن للبدن عينا فمن صحت عين قلبه لعناية الله به اطلع على حقائق
الأشياء على العالم العلوي والسفلي في الدنيا فيرى ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكون الاطلاع عليه قال علي
رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا والرأي إجالة الخاطر
في رؤية ما ترتاد وقد يقال للقضية التي تنبعث عن الرأي رأي والرأي
للفكرة كالآلة للصانع التي لا يستغني عنها ولا تكون إلا في الأمور الممكنة
دون الواجبة في الممتنعة وتكون من جملة الممكنات فيما يكون إما كالطبيب
لا يخيل إليه في نفس المريض أنه يخيله في كيفية الوصول إليه ويحتاج
الرأي إلى أربعة أشياء أحدها من رجحه الزمان في القديم والحادث أحدهما
أن يعيد النظر فيما رتبه ولا يعجل إمضاء حتى يغب فقد قيل إياك
والرأي العطير دعه رأيك يغب واكرم مستعمل ذلك ذو النفوس
الشهمة والهمم الجادة والثاني أن لا يدافع به بعد أحكامه فقد قيل رد

يحزم فإذا استوضح فأعزم وقيل أحزم الناس من إذا وضح له الأمر ضرع
فيه وقال تعالى فإذا عزمت فتوكل على الله واكرم من انقاد بذلك ذو
النفوس الحميدة والأمر حمار المادة وإثنان مزجه الناس أحدهما ترك الاستبداد
بالرأي فالاستبداد بالرأي من فعل العجب نفسه وقد قيل الحمق
من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة والثاني
أن يغتر من يحمد مساوئه شعر فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فحق له من
طاعة بنصيب ومن دخل في أمر بعد الاحتراز من هذه الثلاثة بعقله
فقد أحكم تدبيره فإن لم يخل عمله من لحقه مذمة فقد قال علي هذا لمن تطعه
من الشعر فما في ركوب الرأي حظ لمخوق سوى أنه بعض من اللوم راكبه
وكما في اجتناب الرأي عذر للمخ وإن أسرف عما يحب عواقبه
ومن تاك بالتيقظ خطأ فإنه وإن حسنت عقباه فالعقل عابه
سلامة موقفا فإنك بالغ به كلما عزت عليك مطالبه
فالآخر من رأي إذا لم يكن له من القدر الجاري بخاج يصاحبه
وكما أن طاشت بها كلمة دونه إذا كان رجحانها من الرأي ثاقبه
وأما التدبير نحو الرأي لكن يقال إذا استعمل في
النظر في عواقب الأمور واستعقابه يقتضي ذلك لأنه تأمل وتدبر الأمور وعليه
حث الشاعر بقوله ومن تركا عواقبهما ندم وأيس منه أبدا
بوادره وأما الفكر فنوع مطرقة للعلم إلى المعلوم وهو تخيل عقلي

موجود في الانسان والتفكر جولان تلك القوة بين تلك المعاني بحسب نظر العقل
وقد يقال للتفكر الفكر وربما فضل الفكر فخطأ فضلال الدابة وخطأه
والتفكر لا يكون الا فيما له مادة ممكن يصح ان يحصل له صور وفي القلب معانيها
ولاجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في
الله وقال عز وجل اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض
وقال تعالى يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة وسئل بعض الحكماء عن الفكر واجبره فقال الفكر ان يحصل
الغايب حاضرا والعبرة ان يحصل الحاضر غايبا واما الذكر فوجود الشيء في
القلب او في اللسان وذلك ان الشيء له اربع وجودات وجود في ذاته
ووجوده في قلب الانسان ووجوده في كتابه
فوجوده في ذاته موسبب لوجوده في قلب الانسان ووجوده في قلبه
سبب لوجوده في لسانه ولوجوده في كتابه ويقال للوجودين
اي للوجود في القلب والوجود في اللسان الذكر ولاعتداد بذكر
اللسان فلم يكن عن ذكر القلب بل لا يكون ذلك والذكر بالقلب ضربان
احدهما استعادة ما قد استبنته القلب والنحي عنه بنسيان او غفلة
وهذا موجود في الحيوانات المذكور والثاني ثبات وجود الشيء في القلب من
غير نسيان او غفلة وذكر الله تعالى على نحو الاول غير مرتضى عند
العلماء فانما يحمد اذا كان على النحو الثاني واعلم ان ذكر الله تعالى يكون
تارة لعظمة فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة لقدرته فيتولد منه الخوف
وتارة لفضله وكرمه فيتولد منه الرجاء وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر
ولذلك قيل ذكر النعم شكر وتارة لافعاله الباهرة فيتولد منه العبرة
فحق المؤمن ان لا ينفك ابدا من ذكر على احد هذه الاوجه وعليها دل
قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لآيات لاولي الالباب الآية اي يذكرون الله في كل حال ان
الانسان لا ينفك في هذه الاوجه الثلثة ان قيل ما حقيقة ذكر الله
تعالى عند ابتداء الاعمال قيل قال صلى الله عليه وسلم كل امر لا يبتدأ فيه
بحمد الله فهو ابتر قيل نبه بذلك ان الامور كلها يجب ان يقصد بها وجه
الله تعالى وان كل امر لا يقصد فيه ذلك فهو ناقص وشرع ذكر باللسان
ليكون سببا لتذكر فيتحرى بفعله وجه الله ولا يعلم ما في قلب احد
وعلى ذلك قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي اذا عرض لك نسيان
لما يلزمك فاذكر ربك سيذكرك انه مطلع عليك ولهذا قال صلى الله عليه
اعمل كانك تراه فان لم تراه فانه يراك واما الحفظ فالمحافظة على مراعاة
الشيء وقلة الغفلة عنه ومنه محافظة الحرم حتى قيل للغضب المنقضي
لذلك حفيظ ويقال لثبات صورة الشيء في القلب حفظ ويقال
للقوة الحافظة لها حفظ وفلان جيد الحفظ اي للقوة الحافظة
والحفظ للنفس من وجه يجري مجرى الخزانة للملك يصنع فيها الذخاير
الى وقت الحاجة ومن وجه جار مجرى الكتاب الذي كتب فيه الشيء ليرجع
اليه فيتذكره والناس متفاوتون بحسب اختلاف قواهم فمنهم من قوي

الله تعالى منه ذلك كما جعله تعالى لنبيه عليه السلم فلذلك كان
امّيا لم يقرأ له اذ كان له من الحفظ ما يغنيه عن الكتابة بالكتابة
ولهذا قال الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرآنه فضمن ان يحفظه عليه بما جعل له من القوة الالهية وروى انه
لما نزل قوله عز وجل وتعيها اذن واعية قال صلى الله عليه وسلم
سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي فلم ينس علي عليه السلم بعد ذلك
شيئا الا حفظه ووعاه ومن الناس من يسرع اليه النسيان
فما يسمعه يكون كالخط يكتب على بسيط الماء واما البلاغة
فاجادة اختيار الالفاظ والاصابة في تاليفها وقدر ما من معناها
وتجري الصدق فيها ولا يكون فيها الكلام تام البلاغة ما لم
تجمع هذه المعاني فانه متى قبح اللفظ او ثقل التاليف او كانت
الكثرة مما يجب او اقل او لم يطابق اللفظ المعنى اما حقيقة او
استعارة او كان المعنى كذبا او محالا اخرج الكلام بقدر ما
اختل منه عن باب البلاغة وقد وصفت البلاغة باوصاف مختلفة
بحسب انظار فقال بعضهم البلاغة هي ايجاز من غير عجز
واطناب من غير خطل وقيل ما فهمته العامة ووصفته الخاصة
وقيل ما اختصر فاداك الغرض ذلك من الاوصاف واما الفصاحة
فاشتقاقها من فصح اللبن اي خلص من اللبأ وهي الاصابة في
اللفظ وفي الائتلاف دون اعتبار الصدق وصواب المعنى وكل كلام

جزل اللفظ حسن التركيب فهو موصوف بالفصاحة صدقا كان او
كذبا فالبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون
المعنى

باب ثمرة العقل من معرفة الله

الضرورية والمكتسبة وغاية ما يبلغه الانسان من ذلك ثم
اشرف ثمرة العقل معرفة الله وحسن طاعته والكف عن معصيته وعلى
ذلك دل قوله صلى الله عليه وسلم العقل ثلثة اجزاء فمن عرف الله
تعالى وعمل بطاعته فذلك الكامل ومن عرف الله واطاعه وعصاه
فذلك الناقص ومن عرف الله ولم يطعه ولم يعصه فذلك الهالك
وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وماله العقل
وثمرته العلم فمعرفة الله تعالى ضرورية مركوزة في النفوس وهي معرفة كل
احد انه مفعول وان له فاعلا فعله ونقله في الاحوال المختلفة
واليه اشار بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقوله
عز وجل صبغة الله وقوله واذ اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذرياتهم الآية فهذا القدر من المعرفة في نفس كل احد
وتنبيه الغافل عنه اذا انبه عليه عرفه كما يعرف ان الاثنين مثل
لغيره فذلك الغير مساو له ومن هذا الوجه قال عز وجل ولئن
سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله وقال في
مخاطبة المؤمنين والكافرين اذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
وقال بعد ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
واما معرفة الله تعالى المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته وما يجب

أن يثبت له من الصفات وما يجب أن ينفي عنه وهذه المعرفة التي
دعت اليها الانبياء عليهم السلام وحثوا عليها ولهذا قال كلهم قولوا
لا اله الا الله ولم يدع احد الى معرفة الله بل دعا الى توحيد وهذه
المعرفة اعني المكتسبة على ثلثة اضرب ضرب لا يكاد يوجد كذلك
الا في نبي وصديق وشهيد ومن ذرى انامهم وذلك معرفة بالنور
الالهي من حيث لا يعتري فيه شك يوجد كما قال تعالى
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية
وضرب يدرك بغلبة الظن الذي يتيسر لاهل اللغة باليقين
كما قال عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
وضرب يدرك بحيا الاقاويل وتقليدات وايل عن بعوله
تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فالاول بحر
مجرى ادراك الشيء من قرب ولهذا قال عز وجل في وصفهم ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب الآية والثاني بجرى مجرى ادراك الشيء
من بعيد وقد يعتريه فيه شبهة لكن يزول بادنى تامل كما قال تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
والثالث يجرى مجرى من يرى الشيء من وراء ستر من بعيد فلا ينفك
من شبهات كما اخبر تعالى عن هذه حاله بقوله ان نظن الا ظنا
وما نحن بمستيقنين والجل صعوبة معرفة الله تعالى على الحقيقة حتى تخلص
الانسان من آفات الشرك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون وقال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
وقال قل بل الله اعبد مخلصا له ديني وقال النبي عليه السلام من قاله
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وغايه معرفة الانسان ربه ان يعرف
اجناس الموجودات جواهرها واعراضها المحسوسات والمعقولات ويعرف
ان الصنعة فيها وانها محدثة وان محدثها ليس اياها ولا مثلا
لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه تعالى ولا يصح بقاؤه
وارتفاعه تعالى وهذا النظر قال ابو بكر رضي الله عنه سبحان
من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته بل هذا قال
صلى الله عليه تفكروا في الا الله ولا تفكروا في الله ولما كان معرفة
العالم كله يصعب على الانسان لو اجل لعصور افهام بعضهم عنها
واستعمال بعضهم بالفرار التي تعوقهم منها جعل الله تعالى لكل
انسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا ان جد فيه مثال ما هو
موجود في العالم الكبير ليرى ذلك من العالم مجرى مختصر عن
كتاب بسيط يكون مع كل احد يستخبره فيما ملها في الحضر والسفر
وبالليل وبالنهار فان فسح وتفرغ للتوسع في العلم نظر في
الكتاب الكبير الذي هو العالم الكبير فيطلع منه على الملكوت ليعزز
علمه ويتسع فهمه والا فله فيما يقتنع بالمختصر الذي معه ولهذا قال
تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ولشرف مسالي ذلك قال
تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من

شيء وقال تعالى ان في خلق السماوات والارض الآية فنبه بذلك
حيث قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا انهم عرفوا ان الغرض المقصود بخلقه
وذلك هو آخر الابحاث ان الابحاث اربعة بحث عن وجود الشيء
بهل هو وبحث عن جنسه بما هو وبحث عما يباين به غيره
باي شيء هو وبحث عن العرض بلم هو وهذه الابحاث بنتي بعضها
على بعض فلا يصح معرفة الثاني الا بمعرفة الاول والمعرفة الثالث الا بالثاني
والمعرفة الرابع الا بالثالث وقولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا يقتضي
انهم عرفوا الابحاث الاربعة والا شهد وبما لم يحقق فقد شهد بما
لم يحقق كذب وان كان ما شهد به على ما اخبر الا ترى ان الله
تعالى كذب المنافقين حيث قالوا انك لرسول الله وان كان هو
رسوله فدلت هذه الآية على ان البحث الذي يؤدي الى معرفة حقائق
الموجودات التي تتضمن معرفة الباري هو من العلوم الرفيعة بخلاف
قوله الصم البكم العمي الذين لم يجعل الله لهم نورا حيث يدعون من
استقل بمعرفة ذلك

باب وجوب بعثة الانبياء وقلة الاستغناء عنهم

بعثة الانبياء الى الناس من الضروريات التي لا بد منها وذلك ان جل الناس
نقص عن معرفة المنافع منافعهم ومضارهم الاخروية جزئياتها وكلياتها
وبعضهم وان كان له سبيل الى معرفة كليات ذلك على سبيل الجملة
فلا سبيل لهم الى معرفة جزئياتها ولا يمكنهم ان يعرفوا كيف تجب وفي

اي وقت يجب وكم يجب فلما كان كذلك من الله عز وجل على عباده
خاصهم وعامهم برسل بعثهم فيهم من انفسهم يتلون عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكن اذا اشتكى به صلح
لهم معادهم ومعاشهم وتسهل عليهم ادراكهم ولهذا اراح الله تعالى
عليهم ببعثة الانبياء فقال عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا

باب ما يعرف به صحة النبوة

لكل نبي آيات اخص بما عقليه يعرفها اولو البصائر من اهل العقل
والشهداء من ذوي مجراهم والمائتة حسية يدركها اولو الابصار
من العامة فاولى ما لهم من اصولهم لزكية وصورهم المرضية وعلومهم
الباهرة ودلائلهم المعقدة عليهم والمستصحبة لهم وانوارهم الساطعة
الى الاخفى على اولي البصائر كما قال الشاعر يدع النبي صلى
الله عليه وسلم لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بداهته
تغني عن النظر وذلك ان حق النبي ان يكون من اكرم تربة
في العالم وحقه ان يكون نقل آبائها وامهاته ولهذا لم يبعث نبي من
الاطراف التي تضعف عقولها ويجب ان يكون من عنصر كريم من بيت
الفضل ولهذا قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
على العالمين فنبه تعالى بعوله بعضها من بعض انه جعلت النبوة في
اهل بيت واحد فلا تخرج عنهم لكونهم اشرف ويجب ان يكون عليه انوار
تروق من رزانتها واخلاق تتملك من ابتلائها كما قال عز وجل والله

عليك محبة منه وقال لنبيه عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم وجب
ان يكون كلامه ذا حجة وبيان يشفي سامعه اذ كان متخصصا بنون
العقل قال عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
الى آخر السورة وهذه الاحوال اذا حصلت احتاج ذو البصيرة معها
الى معجزة ولا يطلبها كما ان طلب الايمان من الملك فيما يخبرهم
به حجة ولهذا لما عرض النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي
الله عنه الاسلام تلقاه بالقبول حتى قال ما احد عرضت عليه الاسلام
الا كان له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم فهذا امارة الايمان
وذلك يطلبه احد طريقين وهي المعجزة التي تدركها الحواس من الانبياء
فيطلبها اما ناقص عن المعرفة بين الكلام الالهي والكلام البشري
وعن ادراك سائر ما تقدم ذكره فيحتاج الى ان يدرك حسه لقصوره
عن ادراك ذلك واما ناقص مع نقصه من معاند فقصده بما يطلبه
العناد كما قال تعالى حكاية عن الكفار وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية الى قوله بشرا رسولا

باب كون العقل والرسل هاديين للخلق الى الحق

لله عز وجل رسولان الى خلقه احدهما من الباطن وهو العقل والثاني
من الظاهر وهو الرسول وكلا سبيل الى الانتفاع بالرسول الظاهر
ما لم يقدم الانتفاع الباطن فما الباطن يعرف صحة دعوى الظاهر
ولولاه لما كان يلزم الحجة بقوله ولهذا احال الله عز وجل من
يشكك في وحدانيته وصحة نبوة انبيائه على العقل وامرهم بان
يفزعوا اليه في معرفة صحتها فالعقل قايد والدين مسدد ولو لم
يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين اصبح العقل حايرا
واحتاجا كما قال عز وجل نور على نور

باب تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب في العلوم العقلية

المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري مجرى الاغذية الحافظة للصحة
وكما ان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع قط بالاغذية بل ينتفع بها
كذلك من كان مريض النفس كما قال تعالى في قلوبهم مرض لم ينتفع
بسماع القرآن الذي هو موضوع هذه الشرعيات بل صار ذلك ضارا
له مضرة الغذاء للمريض قال الله تعالى واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الآية وايضا فالعقل بمنزلة
مزرعة للمعتقدات والاعتقاد بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا
وكلام الله بمنزلة المطر الذي يسقيه ولذلك سماه الله تعالى ماء على ما تقدم ذكره
فكما ان الماء اذا سقى الارض يختلف نباته بحسب اختلاف بذوره
كذلك القرآن اذا ورد على تلك الاعتقادات الراسخة في القلوب
تختلف تاثيراته قال تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات

من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
وقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث
لا يخرج الا نكدا فاضاف الجهل بالمعقولات جارى مجرى سترة
مرخى على البصر وغشاء على القلب ووقر فى الاذن والقرآن
لا تدرك حقايقه الا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وازيل وقره
قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا واضاف المعقولات كالحياة التى بها الابصار
والسماع والقرآن كالمدرك بالبصر والسمع فكما انه من المحال ان
يسمع الميت قبل ان يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر
كذلك من المحال ان يدرك من لم يحصل المعقولات حقايق الشرعيات
ولهذا قال تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم الى قوله انهم مسلمون
يعنى آيات السموات والارض وغيرهما

باب الايمان والاسلام والتقوى والبر

الايمان هو الاذعان للحق على سبيل التصديق له بالتيقن ولهذا
وصف الله تعالى العلم والايمان بوصف واحد فقال انما
يخشى الله من عباده العلماء وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم ووجل القلب هو الخشية للحق على سبيل التصديق

له بالتيقن هذا اصل الايمان لكن صار اسما لشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم كالاسلام وصح ان يطلق على من يظهر ذلك وان لم يكن
يختص به اعتقادا عن يقين وتلج صدر كما يهودى فى ان اصله
منسوب الى يهودا والنصرانى فى ان اصله المنسوب الى نصران
وهى قرية ثم صار اسمين للمختصين بالشريعتين على ان استحقاق
الايمان لا يمنع من ان يطلق على من يظهره فان معنى المؤمن
مؤمن ضار ذا امره باظهار الشهادتين بامن الانسان من ان
يراق دمه او يباح ماله فى الحكم ولهذا قال عليه السلام امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى
دماءهم واموالهم الا بحقها وروى شعار ان لا اله الا الله كلمة
جعلها الله بيننا فمن قالها من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه
ولم يكن فى قلبه كان له ما لنا وعليه ما علينا وحسابه على الله وذلك
انه لا يطلع على القلوب الا الخالق عز وجل والشريعة واردة ان
يطلق اسم الايمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير بحث عن قائله
ولا يحاشى من اطلاق ذلك عليه مع ظهوره منه ما بنى فى الايمان بخلاف
ما ادعاه بعض المعتزلة انه لا يصح اطلاق اسم المؤمن على الانسان
ما لم يختبره فى الاصول الخمسة ويوقف منه على حقيقة ما عنده فى الاسلام
من الاستسلام لما يدعو اليه الشرع من فعل ما يقتضى فعله والله
التوفيق الى الطاعة والدين الانقياد له وهما بالدار والله

لكن الدين هو الطاعة فيقال اعتبارا بفعل المذعن في انقياده
الى الطاعة والملة من أمليت الكتاب فيقال اعتبارا بفعل
الداعي اليه والشارع لها ولكونهما بالذات واحدا قال تعالى دينا
قيما ملة ابراهيم فابدل الملة من الدين والدين أعم من الاسلام
اذ هو يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في
الحق قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والاحسان يجري الحسنى
في الايمان والاسلام ولهذا قال صلى الله عليه لما قيل له ما
الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه والتقوى جعل النفس
في وقاية والبر السعة في العلم اي علم الحق وفعل الخير مشتق
من البر اي السعة من الارض وهو المعبر عنه بانشراح الصدر
واطمينان القلب وقال عليه السلم البر ما سكنت اليه نفسك
واطمأن اليه قلبك والاثم ما جال في نفسك وتردد في صدرك
وقال البر طمانينة والاثم ريبة ومن البر الجاد ومن اجله جعل
من الايمان فالله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للايمان ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا والاخلاص
ان يقصد الانسان بما يفعله وجه الله تعالى منزها عن الاغراض
الغيرية ولذلك قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين لعلة وجود ذلك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله

الا وهم مشركون ولما كان الايمان يقال باعتبار العلم ومتعلقه
متعلقا بالقلب والاسلام بفعل الجوارح والتقوى بمنع الهوى قال
عليه السلم الاسلام علانية والايمان في القلب والتقوى ههنا واشار
الى الصدر لما كان الصدر مقر قوى الانسان من العلم والشهوة
والغضبية ثم قال ولا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا
يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال عليه السلم الايمان قايد
والعمل سايق والنفس حرون فان اتى قايدها استقام سايقها
وان ابى سايقها لم تطع قايدها ولما كان الاسلام والايمان والتقوى
متلازمة قال تعالى في الجنة اعدت للمتقين وفي مواضع اخر
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا وقال
تعالى ومن يسلم وجهه الى الله الآية

باب في الايمان

اختلف في الايمان هل هو الاعتقاد المجرد فنظر منه الى اشتقاق
اللفظ والى انه قد فصل بينهما في عامة القرآن فعطف بالعمل
عليه كقوله عز وجل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وان النبي صلى
الله عليه قرن بينهما في خبر جبرئيل صلى الله عليه وسلم حين سأله
عن الاسلام وعن الايمان تفسير الاول بالاعمال والثاني بالاعتقاد
ومن قال هو الاعتقاد والعمل فلقوله عليه السلم الايمان معرفة
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ولذلك اختلق هل يكون

في الايمان زيادة ونقصان فقال نعم قال فما جوز فيه ذلك فقوله عز
وجل فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وقوله عز وجل واذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايمانا وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومن خالفهم
قال الشيء انما يزداد بغلبة على ضده وينقص بغلبة ضده عليه
قالوا والايمان لا يحصل الا بعد ان يكون غالبا على الكفر فلا يضاده
حتى يقال انه يغلب عليه ولذلك اختلفوا في جواز اطلاق اسم
الايمان على من اقر بالشهادتين فقال بعضهم يجوز ذلك نظرا منه الى
قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية التي سألها عن الله فاشارت نحو
السماء عن النبوة فاشارت اليه فقال اعتقها فانها مؤمنة ولان الايمان
ليس بمزيل له واجبة ومن قال لا يجوز فنظرا منه الى قوله تعالى انما المؤ
منون الذين اذا ذكر الله الآية ولما روي عنه صلى الله عليه وسلم من
قال انا مؤمن فهو فاسق ومن قال انا العالم فهو الجاهل فان قيل
لمعنى قول النبي صلى الله عليه لان في الزاني حين يزني وهو مؤمن
ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وقيل الايمان ذو منازل
كما وصفه صلى الله عليه وسلم وانما يكون الانسان مؤمنا اذا استوعب
منازله فمتى ما ترى من جمع الشوب ويخص بجميع الخيرات على قدر طاقة البشر
ومتى اخل ببعض ذلك خرج من عموم قولهم عشرة في كونه اسما لعدد
مخصوص اذا اسقط بعضه سقط ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان
الكامل ان لا يكون زانيا ولا سارقا

باب معرفة قوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا

ثبت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان
بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق وهذه لفظة مزأ لمها وعرف حقيقتها
علم ان الايمان بالواجب والمستحب وسبعة درج لا يصح ان يكون
اكثرها ولا اقل ولا يوجد من الايمان ما هو خارج عنها بوجه وانه
عليه السلم انما اورده كما وصفه الله تعالى بقوله وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى وبيان ذلك ان الايمان شيئان
اعتقاد وعمل فالاعتقاد على ثلثة منازل يقيني لا يعتريه شبهة
بوجه كما قال عز وجل الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وضدي وذلك ما كان عن امارة توجب غلبة الظن هنا ما ينشر
اهل اللغة بالتيقن نحو قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وتقليدي وذلك ما يعتقد عن راي اهل البصائر ما وصف الله تعالى
بقوله ولو ردوه الى الرسول والاعمال ثلثة عمارة الارض المعينة
بقوله تعالى واستعمركم فيها وعبادة الله المعينة بقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وخلافة المعينة بقوله تعالى واستخلفكم في الارض
وقوله اني جاعل في الارض خليفة وذلك خير اي عمارة الشريعة فهذه ستة
وكل واحد من هذه اما ان يجزاه الانسان عن رغبة او رهبة كما قال

عزّ وجلّ ويدعونا رغبا ورهبا اي يتحرّاه عن الاخلاص بطوع واهزاز
من النفس كما قال عزّ وجلّ واخلصوديهم لله فهذه اثنى عشر منزلة
وكلّ واحدة منها اما ان يكون للانسان في مبداها او في وسطها او
في منتهاها لان كلّ فضيلة ورذيلة لا تنفكّ الانسان فيها من هذه
الاحوال الثلاث ولهذا قال تعالى في الفضيلة ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وقال في الرذيلة ان الذين
آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا الآية فجعل منازل الايمان ومنازل
التقوى ثلثة كما ترى فهذه اثنى عشر في ثلثة تكون ستّة وثلاثون
وكلّ واحدة من هذه الستّة والاثنين اما ان يوصل الانسان اليه من
طريق الاجتباء او من طريق الهداية فالاجتباء للانبياء ومن يليهم من
الاولياء ومعناه ان الله تعالى يبغض عباده بغيض الهي يأتيهم عند الحكمة
بلا سعي منهم وعلى هذا قوله عزّ وجلّ وكذلك يجتبيك ربّك ويعلّمك
من تأويل الاحاديث وقوله ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء
والاهتداء للحكماء والعلماء وموفّقي الله للعبد ليطلب بسعيه وجهده
الحكمة فيحصل له فيما بعد ما يحتمل من المشقّة واياهما عنى بقوله تعالى
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله عزّ وجلّ ومن هديّنا
واجتبينا فهذه اثنتان وسبعون درجة لا تنفكّ ولا يزيد الزيادة
عليها ولا النقصان منها وكلّ ما ورد من الاخبار ليس بخارج منها والله
الموفّق فمما منّ من جملة العباده قوله صلّى الله عليه وسلّم الوضوء نصف

الايمان وقوله الايمان الصلوة مزدوج لها قلبه واقامها بحدودها
ووقتها وسننها ومأمور مكارم الشريعة قوله عليه السلام الحياء من الايمان
وقال خصلتان لا يجتمعان في منافق الشحّ والايمان وقوله ثلاث من
جمعن جمع الايمان الانفاق من الاقتار وانصاف المؤمن من نفسه وبذل
السلام وقوله اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقوله عليه السلام
لقوم من اصحابه ما الايمان قالوا الصبر على البلاء والشكر في الرخاء
ورضى بالقضاء فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة

باب في انواع الجهل

الانسان في الجهل على اربعة منازل الاول من لا يعتقد اعتقادا الا صالحا
ولا طالحا وأمره في ارشاده سهل اذ كان له طبع فانّ كلوح ابيض
لم تجعله نفسه ابدا وكارض بيضاء لم تكن فيها بزر ويقال له باعتبار
العلم الظاهر عقد وباعتبار العلم العملي غمر ويقال له سليم
الصدر والثاني معتقد لرأي فاسد لكنّه لم يتشاغل به ولم يترتّب
عليه فاستزالته عنه سهل وان كان اصعب من الاول فانّه كلوح
محتاج الى حذف وكتابة وارض تحتاج الى قلع وزراعة ويقال
له غاو وضالّ والثالث معتقد لرأي فاسد قد دان ذلك رأت
له صحبة فركبها جهله وصعّده في تحريه فهو ممن وصفه الله عزّ
وجلّ بقوله انّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون
فهذا ذو داء عياء يا طبا فاكلّ وداله داء لا سبيل الى هدايته

وتنبيهه كما قيل لحكيم يعظ شيخا جاهلا ما تصنع قال اغسل حشاها
لعله يبيض والرابع يعتقد اعتقادا فاسدا عرف فساده او
متمكن من معرفته لكنه اكتسب دينية لرياسته وكرسيا لرياسته
فهو يجادل عليها فيجادل بالباطل ليدحض به الحق ويذم اهل العلم
ليجر الى نفسه الخلق ويقال له فاسق ومنافق ومن الموصوفين
بالاستكبار والتكبر في نحو قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم الآية وقوله تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون فنبه تعالى انهم يستكبرون مما يقولونه ويعتقدونه
لمعرفتهم ببطلانه لكي يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال
ابليس فيما دعي اليه من السجود لآدم عليه السلام **الجنون**
هو عارض يغمر العقل والحمق قلة التهيؤ لاتباع الحق وكلاهما يكون
خلقة تارة وعارضا تارة وقد عظم الحمق حتى عظم الجنون وقد صدق
الشاعر في قوله لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت
من يداويها وقد حكيت حكاية مبدان لم ينصح نافع
ذكرها وهو ان عيسى عليه السلام اتى بامي ليداويه فقال اعياني
مداواة الاحمق ولم يعيني مداواة الاكمه والابرص ومما يفرق بينهما ان
للمجنون كون غرضه الذي يريده ويعتقده فاسدا وسلوكه الى غرضه
صوابا والاحمق يكون غرضه الذي يريده صحيحا وسلوكه اليه خطأ
وبهذا يعرف المجنون اذا رأيت ارادته قبل سلوكه الى مراده والاحمق
لا يعرف بمراده بل يعرف بسلوكه ولهذا صح ارادة المجنون
فعله حتى يعجب كثيرا من فلتات صوابه والاحمق لا يكاد يصيب
شيء من مسالكه فاما البله فغلبة التنبيه على الامور الدنيوية
وبصلاة الكيس وقد تقدم ان البله والكيس يعتبران تارة باعتبار الامور
الدنيوية وتارة يكون بالامور الاخروية فمن كان في احديهما كيسا كان
في الاخرى ابلها قال ابو بكر رضي الله عنه اكيس الكيسين التقي
واحمق الحمقى المغرور واما الرفيع فالذي يليق بعقله كل محال
كان رفع بذلك والارعن الذي يأتي بما يخرج به عن الصواب تشبيها
برعن الخيل وهو الجيد منه والاحمق الناقص العقل من قولهم اتحمقت
السوق اي نفقت والغمر قلة التجربة في الامور العملية مع تخيل
سليم وقد يكون الانسان غمرا في شيء غير غمر في آخر والخرق يقال
في الجاهل بالعلوم العملية وذلك باب يغفل اكثر الناس او اكثرهم وعلى غير
النظام المحمود وفساد كل عمل لا يعد وهذه الوجوه الثلثة وبضادة
الحذق والنهى اتباع الهوى وترك ما يقتضيه العدل والعقل والضلال
ان يقصد لاعتقاد الحق او قول الصدق او فعل الجميل فظن لتقصير
وشوب يشوبه فيما كان باطلا انه حق فاعتقده او فيما كان كذبا
انه صدق فقاله او فيما كان قبيحا انه جميل ففعله والجهل عام
في كل ذلك واخص استعمال الاولين في الامور الدنيوية صغيرها
وكبيرها والجهل مثله لكن يقال فيما يفيت الارباح الدنيوية والاولين

مثل ذلك لكن يعارك في الامور العظام اذا أدرك غاياتها وهذا قال
الله تعالى في الاسلام أربعة فذكر المتوحشين في الاحتيالات الدنيئة
التي تبلغ بها امورا كبارا ومن الجهل الكفر وهو عناد الانسان للحق عا
سبيلا للتكذيب للحق لا يقين واصله ستر وجعله الله للانسان بفطرة
وصبغة من المعارف بما يستعمله ويتجراه من عناد الحق ومن ترك النظر
والاخلال بالتزكية للنفس لهذه بقوله تعالى قد افلح المؤمنون
قد افلح من زكاها

باب كون العلم مركوزا في نفوس البشر

نفس الانسان مبدأ الحكمة والعلوم وهو مركوز فيها بالفطرة مجعولة
لها بالخلق كالنار في الجمر والنخل في النواة والذهب في الحجارة
وكالماء تحت الارض لكن كما ان الماء يجري من غير فعل بشر
ومنه ما يعاين تحت الارض لكن لا يتوصل اليه الا بدلي ورشاء ومنه
ما هو كامن يحتاج في استنباطه الى حفر وتعب شديد فان بعض
يجاد رك والاكثر بقي غير منتفع به وكذا العلم في نفوس البشر منه ما يوجد
من غير تعلم بشري وذلك كعلم الانبياء فانه تفيض عليهم المعارف
من جهة الملأ الاعلى ومنه ما يوجد بادنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده
كحال عوام الناس ولكن العلم مركوز في الفطرة قال تعالى واذ
اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية وقوله المبطلون فنبه
انهم اقروا ان الله هو الذي يربيهم ويعذبهم ويرزقهم ويكفيهم من الطفولية

فهذا اقرارتهم كلهم بما ذكرته في عقولهم واما الاقرار باللسان
فلم يحصل في كلهم وكذلك الذي بقوله عز وجل ولئن سألتهم من
خلقهم ليقولن الله اي لئن اعبرت احوالهم لكانت نفوسهم وجوارحهم
تنطق بذلك وعلى هذا قوله فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي
فطر الناس عليها فبين ان الدين الحنيف وهو المستقيم قد فطر الناس
عليه اي خلقهم عالمين به وان من المعاندين وان قصد وتبديله وازالة
الناس عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله عز وجل صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة وقال عز وجل في مرقاة منه الفطرة والصبغة
اولئك كتب في قلوبهم الايمان فسمى ذلك كتابا وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على فطرة الاسلام هذه الشهادة الماخوذ عليهم الناس
فيها ضربان ضرب اجابوا فكرهم وخواطرهم حتى ادركوا حقايقها فصاروا
كمن حمل شيئا فنسيها ثم تذكرها ولذلك قال في غير موضع
لعلكم تذكرون وليتذكر اولوا الالباب وضرب امكنوا انفسهم ولم يشتغلوا
بتذكرها كما قال واذا ذكروا لا يذكرون فهم في الجهالة سيكونون
وعلى الذكر حثنا الله تعالى بقوله واذكروا نعمة الله عليكم الآية
وقال عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر اي يسرنا القرآن
ليكون سببا ان يتوصلوا به الى تذكر ما سبق من عهدهم والتذكر
على ضربين الاول ان يكون باللسان عن صور ما حصل في القلب
الثاني ان يكون بالقلب كصور ما حصل عن شيء معهود اما بالبصر او

بالبصيرة او غيره والثالث ان يكون عن صورة مضمنة
بالنظر في الانسان وهو المشار اليه بهذه الآية ومن هذا الوجه
قال الحكماء انّ العلم لا يجلب الى الانسان شيأ من خارج
في الحقيقة وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس فيبرز به جلاء
مثله كمثل الكنوز المستنبطة للمآء من تحت الارض والصيقل الذي يبرز الجلاء
في المرآة وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله

باب حصر انواع المعلومات

انواع المعلومات ثلثة نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق باللفظ والمعنى
ونوع يتعلق بالمعنى دون اللفظ فاما المتعلق باللفظ فهو ما يقصد به
تحصيل الالفاظ بوساطة المعاني وذلك ضربان احدهما حكم ذوات الالفاظ
وهو علم اللغة والثاني حكم نواحي الالفاظ وذلك شيآن شيء يشترك
فيه النثر والنظم وهو علم الاشتقاق وعلم النحو وعلم التصريف
وشيء يختص به النظم وهو علم العروض وعلم القوافي واما النوع المتعلق
باللفظ والمعنى فخمسة اضرب علم البراهين وعلم الجدل وعلم الخطابة
وعلم البلاغة وعلم الشعر فاما النوع المتعلق بالمعنى فضربان
علمي وعملي فالعلمي ما القصد منه ان يعلم فقط وذلك معرفة الباري
عز اسمه ومعرفة النبوة ومعرفة الملئكة ويوم القيمة ومعرفة العقل
ومعرفة النفس ومعرفة مبادي الامور ومعرفة الاركان ومعرفة الآثار العلوية
من الفلك والبرزخ والنجوم ومعرفة طبايع النبات ويتآل له علم

الفلاحة ومعرفة طبايع الحيوانات ومعرفة طبايع الانسان ويتآل
له علم الطب واما العملي فهو ما يحتاج ان يعلم ثم يعمل فان سمي التدبر
والسياسات وتدبير الشريعة وتدبير احكام الشرع ومكارمه وذلك حكم
العبادات وحكم المعاملات وحكم المطاعم وحكم المناكح وحكم المزاجر
والطرق التي تستفاد بها العلوم الضرب الاول المستفاد من
بديهة العقل ومصادمة الحس وذلك يحصل لكل من لم يكن موسوم
الآلة وان اختلف احوالهم في ذلك الثاني المستفاد من جهة
النظر اما بمقدمات عقلية اي بمقدمات محسوسة الثالث المستفاد
عن الناس اما بسماع من افواههم او بالقراءة من كتبهم ولا يكون
الخبر علما الا ما كان الفظه عن مخبره مرتفعة الرابع ما كان من
غير الوحي اما بلسان ملك مربي كما قال عز وجل نزل به الروح الامين
على قلبك واما بسماع كلام من غير مصادفة عين كحال موسى صلى الله عليه
واما بالقاء في الروع في حال اليقظة كما قال صلى الله عليه وسلم ان
يكن في هذه الامة محدث فمن عمر رضي الله عنه واما بالمنام وهو
الذي بقوله عليه السلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة ويطلق على ذلك قوله عز وجل ما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشآء

باب ما يعرف به فضيلة العلوم

فضيلة العلم تعرف بشيئين احدهما شرف ثمرته والآخر وثاقة دلالته

وذلك كشرف علم الدين على علم الطب فان ثمرة علم الدين الوصول
الى الحياة الابدية غير المنقطعة وعلم الطب ثمرته الوصول الى الحياة الدنيوية
المنقطعة ثم ان علوم الدين ماخوذة عن الوحي واصول الطب اكثرها ماخوذة
عن التجارب وشرف علم يوثق به على غيره بامر اوجبي ذلك الغير
يوثق عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب فللطب شرف لثمرة اذ
هو يفيد الصحة صحة البدن وللحساب وثاقة الدلالة اذا كان العلم
به ضروريا غير مفتقر الى النظر وليس يجب ان يحكم بفساد علم لخطأ وقع
من بعض اربابه كصنيع العامة اذا وجدوا من اخطأ في مسالة حكموا
على صناعته بالفساد واذا راوا من اصاب في مسالة حكموا لصحة صناعته
وذلك عادتهم في الطب والتنجيم فيعتبرون الصناعة بالصانع خلافا لما
قال امير المؤمنين رضي الله عنه يا حسان لا يلبس عليك الحق لانه يعرف بالحق
اعرف الحق تعرف اهله وليس يدرون ان الصناعة مبنية على شيء وحاكمة
والمتعاطي لها يباشرها بحسبه وطبع بعضهما المخرق من خليق بوقوع
الخطأ منه ثم الانسان قد يتعمل ما لا يحسنه ويتدرع بدعوى
ما لم يحز الله ثم كثير ممن يختص بصناعة يدعي لصناعته ما ليس في
طبعها كثير من المنجمين المدعين ما لا يوجد في التنجيم فاذا لا
اعتبار بدعاوي الناس

باب استحسان معرفة انواع العلوم

حتى الانسان انا يترك شيئا من العلوم امكنه النظر فيه واسع له المجمر

فيه الا وتخبر بشيء عرفه وبذوقه طبه ثم ان ساعده القدر على التعدي
بعد التزود منه فيها ونعمت والا لم يصبر جملة نجلة وغباوة عن منفعته
معاديا له بطبعه ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
ومن جهل شيئا عاداه الناس فالناس ابناء ما يحسنون واعداء ما يجهلون
بل قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقد
حكي عن بعض قضاة القضاة انه ندم بعد ما طعن في السن
على تعلم اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال رايته علما نافعا
فكرهت ان اكون جاهلا له معاديا له ولا ينبغي للعاقل ان يستهين
بشيء من العلوم بل يجب ان يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه ومنزله
الذي يستوجبه وشكر من هدية بعضه وصار سببا لعلم نفع حكي عن
بعض الحكماء انه قال يجب ان نشكر آباء الدين ولدوا لنا الشكوك اذ كانوا
سببا لمزجر كل خاطرنا للنظر في العلم فضلا عن شكر من افادنا
طرفا من العلم ولو لا امكان نكرر ما تقدم لاصبح المتاخرون حيارى
قاصرين عن معرفة مصالح الدنيا فضلا عن مصالح الآخرة فمن تامل
جعله الله تعالى في اقل آله يستعملها الناس كالمعراض حيث جمع بين
تكثير ركبا على وجه يوافي حدا منها على نمط واحد للعرض اكثر
تعظم الله وشكره ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

باب معاداة بعض الناس بعض العلوم

العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله بكل منزل منها حفظة

لحفظه الرباطات والثغور في طرق الحج والغزو في مثل زلة معرفة
اللغة التي مبنى الشرع واللفظ عليها ثم حفظ كلام رب العزة ثم
سماع الاحاديث النبوية ثم الفقه والمسايل والمعاملات وما يزيد ذلك
من الوسايط من معرفة الراهين الاصولية والادلة ثم علم الورع واخلاق
الذي هو علم التصوف والمشايخ ولهذا قال عز وجل يرفع الله الذين
وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار رتبته ومنزلته وقي حق
ما هو بصدده فنوى في جهاد يستوجب من الله تعالى حفظ مكانه ثوابا
على قدر علمه لكن قل ما يتفق كل منزل منها من شر يزين في ذاته وشر في
مكتسبه وطالب لرياسته وجاهل معجب بنفسه بصيرة لاجل تنفيق سلعته
صار قاعدا عن المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعاينا له فهذا ترى كثيرا
ممن حصل في منزل من منازل العلوم دون الغاية عاينا لما فوقه وصار قاعدا عنه
من رأسه فان قدر ان يصرف الناس عنه بشبهة مزخرفة والا نفرهم عنه
بعلل من قال الله تعالى فيهم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون وما أرى من هذا صنيعة الا من الذين
وصفهم الله تعالى بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة
الى قوله بعد ذكر الوعيد الذي من الملائكة وقال اذا كان من تقطع على
الناس طريق مكاسبهم الدنيئة يستحق ما ذكر الله عز وجل في قوله
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية فما الظن فيمن يقطعه من

العقوبة من يقطع الطريق على الذين يريدون الله وجهه عن عيسى عليه السلام
انه قال يا علماء السوء تقدمون على باب الجنة فلم تدخلوها ولم تدعوا غيركم
يدخلها متلكم كمثل الدرفلي زفر حسن وثمر يقتل من أكله

باب الحث على تناول البلغة من كل علم

والاقتصار عليها من كان قصده الوصول الى الله تعالى ويتوجه
نحوه كما قال عز وجل ففروا الى الله كما اشار عليه السلام سابقون وتعشى
فحقه ان يجعل انواع العلوم كزاد موضوع في منازل الطريق يتناول
منه في كل منزل قدر البلغة ولا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه
فيقضي الانسان نوعا واحدا من العلوم فيقضي عمره اما اعمار اثم لا
بد ان يقع وكا يسوغون وقد بهتنا الله تعالى على ان نفعل ذلك
بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك هديهم الله
فبهديهم اقتده وقال امير المؤمنين علي عليه السلام العلم كثير
فخذوا من كل شيء احسنه وقال الشاعر قالوا خذ العين من
كل مفلت لهم للعين فضل ولكن ناظر العين وقيل حل طبعك
بالعيون والغمر فالشجرة لا يشبهها قلة الجمار اذا كانت ثمرتها نافعة
وبجب ان يخوض الانسان في فن حتى يتناول من القن الذي قبله
على الرتب بلغة وتقضي منه حاجة فان زحام العلوم في النوع مضلة
للفهم وعلى هذا قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
اي لا يتجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وبجب ان يقدم الاهم

فالأهم من غير اخلال بالترتيب وكثيرون الناس تكلوا الوصول بتركهم
الاصول حقه ان يكون قصده من علم يتحراه التبلغ به الى ما فوقه
حتى يبلغ الغاية والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة
والمصدوقة فالعلوم كلها خدم لها وهي حرم وروي انه وجد صوت
حكيم من الحكماء المتألهين في بعض مساجدهم وفي يده كتاب فقلت
فيها ان احسنت كل شيء فلا تظن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى
وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل
ان عرفت الله اشرب واطلم حتى اذا عرفته رويت بلا شرب بل قد قال
الله عز وجل ما قل اشاريه الى ما من ابلغ من حكمة كل حكيم قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون اي اعرفه حتى لم تعرفه ولم يقصد بذلك ان يقول ذلك
قولا باللسان الملحي فذلك قليل الغناء ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة
حقيقية وعلى ذلك قوله عليه السلام من قال لا اله الا الله
مخلصا دخل الجنة وجب ان لا يتعرى علم من مراعاة العمل فبلغ الا
ترى انه ما اجلى ذكر الايمان في عامة القرآن من ذكر العمل الصالح
نحو قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات والى ذلك اشار بقوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل كل من العمل
من غير العلم مادة الذنوب وقيل العلم اس والعمل بناء والا اس
بلا بناء باطل وقال حكيم لرجل مستكثر من العلم دون العمل يا
هذا افنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تريد ان تقاتل شعر

فعلم ان لم استغفر يا صاحبي اجيد عمل سلاحي

باب احوال الناس في استفادة العلم وافادته

كما ان للانسان في مقتنياته اربعة احوال حال استفاده فيكون
مكتسبا او حال ادخاره لما اكتسبه فيكون به غنيا عن المسألة
وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال افادته غيره
فيصير به سخيا كذلك ايضا له في العلم اربعة احوال حال استفاده
وحال تحصيله وحال تعليمه وحال استبصاره ومن
اصاب مالا فانتفع به ونفع غيره من مستحقيه كان كالمسك الذي
هي مضيئة والمسك الذي يطيب وهو طيب وهذا اشرف المنازل
ثم بعده من استفاد علما فاستبصر به فاما من افاد علما غيره ولم
ينتفع هو به فكالدفتر يفيد غيره الحكمة وهو عادمها وكالمسن يشحذ
ولا يقطع وكالمغزل يكسو ولا يكتسي وكذبالة المصباح يضيء للناس
وهي تحترق ومن استفاد علما ولم ينتفع به هو ولا انتفع غيره فانه
كالغلة يزرع شوكا لا يذود به عن جملة كف جان وموسه

باب ما يجب على المتعلم ان يتحراه

حتى المرتجى للمتعلم للمحقق ان يراعي ثلثة من الامور الاول ان يطهر
نفسه من ردي الاخلاق تطهر الارض للبذر من خبائث النبات

فقد تقدم ان الطاهر لا يكون الا بيتا طاهرا وان الملائكة لا
تدخل الا بيتا طاهرا الا تدخل بيتا فيه كلب والثاني ان يقلل من
الاشغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية شعر
فما صاحب الطواف يعبر هبرا ورقيا اذا لم يجل ربعا ومنزلا
وقد قال عز وجل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والفكر متى
توزعت كانت كالدول تفرق ماؤه فينشفه الحر وتتشربه الارض فلا
ينتفع به نفع واجمع بلغ المزرعة فانتفع به والثالث ان لا
يتكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب للمتعالي كما ان السيل حرب
للمكان العالي ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك
فانك اذا اعطيته كلك فاندر من اعطائه اياك بعضه على خطر شعر
خدم العلى تخدمه وهي الى التخدم اقوام فما لم تخدم
ومتى لم يكن المتعلم من متعلمه كارض رديئة نالت مطرا غزيرا
فلقلة ما تقبل لم تنتفع به فحقه ان يضرع له كما قال تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
اي لمن لديه علم فينتفع به او تذلل لاستماع الحق واقبال
ممن عنده العلم وقال بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم اليد
العليا خير من اليد السفلى اشار الى فضل المعلم على المتعلم
وفي تبيين فضل المعلم حث المتعلم على الانقياد له وكما ان
من حق المريض ان يجل الطبيب الناصح الذي وقف على دائه

ليطلب الطبيب دواءه وغذاءه فانه ان تشهى لم يشته الا ما فيه
دواؤه ولم يحب الا ما فيه شفاؤه فمن ذا فهم فرق مريض يجد
مرارة لما ان لا لام كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلما
ناصحا ان يأتمر له ويأتم عليه وليراده فما ليس يصدد تعلمه
ولقي على ذلك تنبيها ما حكي الله عز وجل عن العبد الصالح انه قال
لموسى عليه السلام حيث قال هل ابعدك على ان تعلمني مما علمت رشدا
فقال له لا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فنهاه عن
مراجعته وليس ذلك نهيا عما حث الله تعالى عليه في قوله فسألوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وذلك ان النهي انما هو نهي عن نوع العلم
الذي لم يبلغ منزلة بعد والحث انما هو على سؤال عن تفاصيل ما خفي
عليه من النوع الذي هو يصدد تعلمه وحث من هو يصدد تعلم علم من
العلوم ان يصغي الى الاخذات المشكلة وشبه الملبسة ما لم
يتهذب في قوانين ما هو يصدده ليلا تلقى عليه شبه يصرفه عن
التوجه فيه فيؤدي ذلك به الى الارتداد ولذلك نهى الله تعالى من
لم يكن قد تقوى في الاسلام عن مخالطة الكفار فقال يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا وقال
لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ومن اجل ذلك كره للعامة ان
يجالسوا اهل الاهواء والبدع ليلا يفتنوهم فالعامي اذا خالط بدوي
البدع فكاشفه اذا خلت بالتبع وقال بعض الحكماء اما حرم

الله تعالى في الابتداء الحمار لخبره انه تعالى اراد ان يقطع العصبية بين
العرب وبين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى
يحرم على المسلمين ذلك اذ من معظم ما كانوا يعظم الامر في تناوله
ومسه لتنزه المتكلمون عن الاجتماع معهم في الموائد والاكل والانس
وقال صلى الله عليه وسلم في المؤمن والكافر لا يرى اثارهما كذلك
فاما الحكيم فلا ابتئس بمجالسة ايام فانه جار على مجرى سلطان ذي اجناد
وعدة وعتاد لا يخاف عليه العدو حيثما توجه ولهذا جوز له الاستماع
الى السفسطة بل اوجب عليه ان يتتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم
ليجادلهم ويناقضهم فالعالم افضل المجاهدين اذ ابتغى عز الدين فالجهاد
جهاد ان جهادا باليد وجهادا باللسان ولما تقدم سمى الله عز
وجل الحجة سلطانا في غير موضع كقوله عز وجل حكاية عن موسى عليه
السلم اني اتيكم بسلطان مبين

باب ما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه

حق المعلم ان يجري متعلميه مجرى بنيه فانه في الحقيقة هم اشرف
من الابوين كما قال الاسكندر وقد سئل ايما اكرم عليك معلمك
ام ابوك فقال بل معلمي لانه سبب حياتي الباقية والوالد سبب
حياتي الفانية وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله
انما انا لكم مثل الوالد فحق المعلم للفضيلة ان يعتدي بالنبي
صلى الله عليه وسلم اذ هو في ارشاد الناس خليفته ويشفق عليهم
اشفاقه ويحنن عليهم تحنيه الوالد كما قال تعالى في وصفه حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم واي عالم لم يكن من بعيده العلم
صار كافرا لا فضل له فيموت ذكره بموته ومتى استفيد علمه كان في الدنيا
موجودا وان فقد شخصه كما قال علي عليه السلم العلماء باقون ما
بقي الدهر اعيانهم مفقودة واثارهم في القلوب موجودة
وقال بعض الحكماء في قوله تعالى يهب لي من لدنك وليا انه
سأله فلا يورثه علما او يورثه ما له فاعراض الدنيا امور
عند الانبياء ان يشفقوا عليها وكذا قوله واني خفت الموالي
من ورائي اني خفت ان لا يواظبوا العلم وعلى هذا قال عليه السلم العلماء
ورثة الانبياء وكما ان حق الاب على الولد من الاب الواحد ان يحاربوا
ويتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلك حق بني العلم على بني الدين ان
يكونوا كذلك فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة ولذلك قال تعالى
انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين وحق العالم ان يعرف مزيد ان شاء
عن الرذيلة الى الفضيلة بلطف في المقال وتعريض في الخطاب
والتعريض ابلغ من التصريح لوجوه احدها ان النفس الفاضلة لميلها
الى استنباط المعاني تميل الى التعريض شغفا منها باستخراج معناه
بالفكر لذلك قيل رب تعريض ابلغ من تصريح والثاني ان التعريض
لا هتك به بخوف الهيبة ولا يقع به بهتة الحشمة والثالث ان

ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض وجوه فمن هذا الوجه يكون
ابلغ ومن هذا الوجه حذف اجوبة كثيرة مذاكرة وطي والمقتضية
للثواب أو العقاب يخول الله عز وجل حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها والرابع ان للتعريض عبارات مختلفة فتبكيت ايران على
وجوه مختلفة والتصريح ليس له الا عبارة واحدة ولا يمكن ايراد
الا على وجه واحد والخامس ان التصريح النهي داع الى
الاغراء شعر دع اللوم ان اللوم تغري وانما اراد صلاحا
من لوم فافسدا ٭ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو نهى الناس
عن فتيا البحر لافتوا وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وكفى بذلك
شهادة ما كان من امر آدم وحوا عليهما السلام في نهي الله تعالى
اياهما عن اكل الشجرة ومن حق العلم مع من يفيده العلم ان يقتدي بالنبي
صلى الله عليه وسلم فيما علمه الله تعالى حيث قال قل لا اسئلكم
عليه اجرا فلا يطمع في فائدة من وجه من يفيده علما ثوابا لما يوليه
وليعلم ان من باع علما بعرض دنيوي فقد ضاد الله تعالى في
حكمه وذلك ان الله تعالى جعل المال خادما للمطاعم والملابس وجعل
المطاعم والملابس خادما للبدن وجعل البدن خادما للنفس وجعل
النفس خادما للعلم فالعلم مخدوم غير خادم والمال خادم غير مخدوم
ثم جعل العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم
غير خادم خادما لما هو خادم غير مخدوم ٭

باب وجوب منع الجملة عن الجهابذة

العلوم ثم الاقتصار بهم على قدر افهامهم ٭ واجب على الحكيم
والعالم الرباني بعيدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما قال انا معاشر
الانبياء امرنا ان ننزل الناس في منازلهم ونكلم الناس بقدر
عقولهم ان يتصور ما قال امير المؤمنين علي عليه السلام حدث بالا
بكيل بن زياد وأومى بيده الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو
وجدت لها حملة بل أصبت لها غير مأمونين عليها يستعمل آلة الدين
للدنيا فيستظهر بهم الله على عباده وبحجته على كتابه او منقادا لاهل
الحق لا بصيرة له يقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم كلموا الناس ما يعرفون ودعوا
ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال صلى الله عليه
ما احدث قوم حديثا الا بلغت افهامهم الا كان ذلك فتنة على
بعضهم وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة في غير اهلها
فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكن كالطبيب الحاذق يضع
دواءه حيث يعلم انه ينفع وقد يصفح طلاب حكمة كما تخير
خطاب حرمة وبهذا الم ابو تمام وما انا بالغ ان من دون جارتي
اذا انا لم اصح غيورا على العلم ٭ وقيل لبعض الحكماء ما بالك
لا يطلع كل احد على حكمة يطلبها منك فقال اقتدا بالباري عز وجل
حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم

معرضون فيتبين انه منعهم لما لم يكن فيهم خير ويتبين ان في اعطائهم
ذلك مفسدة ثم سأل رجل جاهد حكيما عن مسألة من الحقائق
فلم يرض عنه ولم يجبه فقال له اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما نافعا الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار فقال نعم
سمعته فاترك اللجام منهنا واذهب فاذا جاء من ينفعه ذلك وكتمته
فليلجمني وقال بعض الحكماء في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم اني جعل الله لكم قياما انه نبه على هذا المعنى وذلك
انه لما منعنا من تمكين السفيه من المال الذي هو عرض حاضر يأكل
منه البر والفاجر تقاديا ان يؤدي ذلك الى هلاك دنيوي فلان
يمنع من تمكينه من حقايق العلوم التي اذا ناولها السفيه ادت الى
ضلال واضلال وهلاك واهلاك احق واولى قال الشاعر

اذا ما اقتنى العلم ذو شرة تضاعف ما ذم من مخبره

وصادف من جهله قوة يصول به الشر في جوهره

وكما انه واجب على الحكام اذا وجدوا من السفهاء رشدا ان يرفعوا عنهم
الحجر وان يدفعوا اليهم اموالهم لقوله عز وجل فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم فواجب على الحكما اذا وجدوا من المسترشدين
قبولا ان يدفعوا اليهم العلوم بقدر استعدادهم فالعلم قنية يتوصل
بها الى الحياة الاخروية كما ان المال قنية في المعاونة على الحياة الدنيوية
وباذل العلم لمن لا يستحقه يستوجب العقوبة ومانع اهله يستوجب

عقوبات قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين الآية وقال
عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا
وقال عز وجل الذين يشترون بعهد الله الآية فاذا ثبت ذلك
وجب ان يكون مرتقبا من العامة بعيد الورع تحسنت حاله ان لا يصرف
علمه لمن يعتقده فيؤدي ذلك الى انحلاله عن قيده ثم لا يمكن ان
يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بين الزهاد وبينه ومن استعماله
بعمارة الارض من بين تجار اي مهنة فحقه ان يقتصر به على مقدار
ما يحتاج من العلم من هو في مرتبته من عباد الله العامة وان يملأ
نفسه من الرغبة والرهبة الواردة بهما في القرآن ولا يولد له الشبه
والشكوك فان اتفق اضطراب في نفس بعضهم اما بابتداء شبهة تولدت
له او لدها ذو بدعة دفع اليه فاقت نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه
ان يخبر وان وجد ذا طبع موافق للعلم وفهم ثاقب وتصور صايب
خلي بينه وبين التعلم وشوور عليه بما يوجز له السبيل اليه وان وجد شريرا
في طبعه او ناقصا في فهمه منع اشد المنع ففي اشتغاله بما لا سبيل
له الى ادراكه مفسدة بان يعطله عما يعود بنفع الى العباد والبلاد
واشتغاله بما يدركه منه شبهة وليس فيه نفعه وكان بعض الائمة
المقدمة اذا ترجح احدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقايق العلوم والخروج
من جملة العامة الى الخاصة اختبر فان لم يوجد خيرا في الخلق او غير
متهيئ للتعلم منع اشد المنع وان وجد خيرا متهيئا للتعلم شورط

على أن يقيد بقيد في دار الحكم وينبغي أن يخرج حتى يحصل له العلم أو
رأي عليه للوث ويزعمون أن من شرع في حقايق العلوم ثم لم يبرع
فيها تولدت له الشبه وكثرت فيصير ضالا مضلا فينظر في
الناس شزرا وبهذا النظر قيل نعوذ بالله من تصنع متكلم ٭

باب وجوب ضبط المتصدين
للعلم ومضرة اهماله

لا شيء على السلطان أوجب من رعاية أحوال المتصدين للرياسة بالعلم
فمن الاخلال بها ينتشر الشر ويكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض
والتنافر وذلك أن الشواش في الدنيا أربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة
والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة
دون بواطنهم والحكماء وحكمهم على بواطن الخاصة والوعاظ وحكمهم
باطن العامة وصلاح العالم برعاية هذه السياسة فخدم العامة الخاصة
وتسوس الخاصة العامة وفساد في عكس ذلك ولما ترك مراعاة
التدني للحكمة والوعظ وترشح قوم للزعامة في العلم من غير
استحقاق منهم لها فأحدثوا بجهلهم بدعا اشبعوها عامة واستجلبوا
بها منفعة وربا بينهم فوجد من العامة مساعدة لما كلهم لهم
وتقرب جوهرهم منهم شعر وكل قرين بالمقارن يقتدي ٭ وفي
بالعقرب ٭ وفي لذلك قواما منسدة ورفعوا سياسورا منسلة
وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا إليها بالوقاحة وبما فيهم من الشره فبدعوا

العلماء وكفروهم اغتصابا لسلطانهم ومنازعة لمكانهم فأغروا بهم أتباعهم
حتى وطيوهم بأخفافهم وأظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام

باب ذكر من يصلح لوعظ العامة

لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لأنه يقبض الحكيم بل لينقص في
العامي فلن ترى الشمس أبصار الخفافيش والصقر يحفو عن طرائد
الرخم وأيضا فبين الحكيم والعامي مزاج في طبيعتهما وتنافر شكليهما
من النفار قريب مما بين الماء والنار والليل والنهار وقد قيل لسلمة
بن كهيل ما لعلي رفضه العامة وله في كل خير رضن قال لأنه
لا تصفو عيونهم قصر عن غوره والناس إلى أشكالهم أميل ٭
وبهذا النظر لما قال جاهل لحكيم إني أجلك قال له لقد نعيت
إلي نفسي فقيل له ولم قال لأنه إن صدق فليس مثله إلي إلا
لنقيصة بدت من نفسي إلى نفسه فأنشد به شعر لقد زادني
حبا لنفسي أنني بغيض ٭ إلى كل امرئ غير طائل ٭ نحو الواعظ
أن تكون له مناسبة إلى الحكماء بقدر على الاقتباس عنهم والاستفادة
منهم ومناسبة إلى الولاة يقدرون على الأخذ منه وذلك كالوزير
الذي يجب أن تكون فيه أخلاق الملوك وتوابع السوقة ليصلح أن
يكون واسطة بينهم وبينه وكالنبي الذي جعله الله من البشر
وأعطاه فوق الملك ليمكنه أن يأخذ من الملك ويعين الأشراف أن
يأخذوا منه وإلى هذا أشار بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه

الرجل تنبيها ان ليس في سعتكم التلفع عن الملك ما لم
يتجسم فيصير في صورة رجل فاذا حق الواعظ ان يكون له نسبة
الى الحاكم والى العامة ياخذ منه ويعلمهم ويعظهم كنسبة الغضاريف
الى اللحم والعظم جميعا ولولا مما امكن للعظم ان يكتسي لحما من
اللحم وهذا مما اذا تؤمل اطلعه على حكمة عجيبة وصنعة غريبة

باب الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ

حق الواعظ ان يتعظ ثم يعظ وينصر ثم ينصر ويهتدي ثم يهدي
ولا يكون دفترا يفيد الكلام ولا يستفيد ومسنا يسمن الحديد
ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد الغير الضوء وهي افضل مما
تفيد وكالنار التي تحمي الحديد وهي من الحمى اكثر مما تميل ويجب
ان لا يخرج مقاله بفعاله ولا يكذب قوله فعله فيكون
ممن وصفهم الله تعالى في قوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا الى قوله والله لا يحب الفساد ونحو ما قاله امير المؤمنين
رضي الله عنه تصمر ظهري رجلان رجل جاهل متنسك وعالم
متهتك فالجاهل يغر الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه
والواعظ اذا لم يكن متبع مقاله بفعاله لم ينفع بوعظه وذلك ان عمله
مدرك بالبصر وعلمه مدرك بالبصيرة واكثر الناس اصحاب الابصار
دون البصائر فيجب ان تكون عناية الواعظ باظهار عمله الذي يدركه بالبصر

جماعتهم اكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك الا بالبصيرة ومنزلة
الواعظ من الموعوظ منزلة المداوي من المداوى فكما ان الطبيب
اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه سم ثم راوه اكلا له عد
ذلك سخرة وهزوا كذلك الواعظ اذا امر بما لا يعمله وبهذا
النظر قيل يا طبيب طب نفسك بل قد قال تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون اي غير ذلك من الآيات وايضا فالواعظ من الموعوظ
بمجرى الطابع من المطبوع وكما انه محال ان ينطبع الطين عن
الطابع بما ليس متشبثا به كذلك محال ان يحصل في نفس الموعوظ
ما ليس موجودا في الواعظ اذا لم يكن الواعظ الا ذو قول مجرد
من الفعل لم يلق عنه الموعوظ الا القول دون الفعل وايضا فان
الواعظ بمجرى من الناس مجرى الظل من ذي الظل فكما انه محال
ان يعوج ذو الظل والظل مستقيم كذلك محال ان يعوج الواعظ
والموعوظ مستقيم وايضا فكل شيء له حالة فانه يجر غيره الى
نفسه بقدر وسعه واراده منه او غير اراده كالماء الذي يحمل
ما يبلغه من العناصر الى نفسه بقدر وسعه وكذلك النار والهوا فالواعظ اذا كان غاويا جر بغيته غيره الى نفسه وهذا حكى
الله تعالى عن الكفار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
وقال ايضا فاغويناهم انا كنا غاوين فمن رشح للوعظ ثم فعل فعلا
قبيحا اقتدى به غيره فحمل وزره ووزر غيره كما قال صلى

الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها
بل قد قال الله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة الى قوله
ما يزرون قال عز وجل وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم
الى قوله يفترون

باب صعوبة

المعيار الذي يعرف به صحة حقايق العلوم

كما ان للدراهم والدنانير ميزانا قد عرف أهلها صحته فكل علم له ميزان
من الحساب للعدد وذات والهندسة للمسوحات والعروض للشعر
والنحو للفاظ العرب وإلى هذا أشار تعالى بقوله لقد أرسلنا
رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وأوصى الذين أعطاهم الميزان فقال وزنوا بالقسطاس
المستقيم فكل شاك ومنازع غيره في مقدار فحقه أن يعتمد
ميزانه ان عرفه ويقلد ان يابه اذ لم يعرفه فان ترك ذلك وأخذ
يخرص ويحزر ويظن ويخمن لم يزل شكه ولم يسقط خلافه فالخرص
قلما يصدق والظن قلما يحقق ولذلك عير بالخرص عن الكذب
فقال عز وجل ان هم الا يخرصون وقال تعالى قتل الخراصون وقال
تعالى في ذم الظن ان يتبعون الا الظن ومعلوم ان ميزان الدين
الذي صوابه يوصل الى الثواب العظيم وخطاؤه يفضي الى العذاب
الأليم اصعب الموازين تدانيها وأولاها بالمعرفة وكثير في زماننا
ممن يتحلى بعلم الكلام وترشح فيه للجدال والخصام وقام لرفعة

في

فيه قبل اوانها وطلب تحقيق موزونها بغير ميزانها أخذ كل واحد
يخرص خرصا ويظن ظنا ويسلك بظنه طريقا غير نهج فاذا وقع
بينهم خلاف جعل كل واحد يميز اخرصه واتبع فيما اعتقده ظنه فاذا
تحاكموا الى ما اتخذوه ميزانا صار خلافهم في الميزان اكثر من
خلافهم في الموزون فهم في ذلك كمن غصبا لطعام فاستغاث
بالماء فشرق به شخص لم يتفق انا يستعد له بالجمد وعين
من قارد وكبريت لاجرم ان كثيرا من مناظراتهم لا تولد
الا سخمة ولا تثمر الا جرة والا يوم عنه انسان الا بشاطه مدت
بما يك بظلمات بعضها فوق بعض ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

باب كراهية الجدال

للعوام وذمه على كل حال

اباح تعالى الجدال للعلماء الذين لم يتدربوا في تحصيل القوانين
ولم يهتدبوا في سبيل البراهين يجري مجرى حد قيد الشباط ورفع
سد يأجوج ومأجوج فانها تثير سلطان قوتهم السبعة خابعة
من يد قايد العقل وقيد الشرع فلحد ال المروة للعلماء الأبيا ملكة
للجهال الاغبيا الا ترى ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
وجادلهم بالتي هي احسن فلم يطلق له جدال مخالفيه حتى قيده بالاحسن
بهذا مدح وصفه عليه السلم بقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال
في ذم الجدال الغامض ربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون

وقال عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير وقال واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم الآية والجدل مع كونه مكروها شرايطه وقوانين مزعاطاه ولم يكن
متدربا بها كان خصما جدلا والخصومة عديمة الفايدة قليلة العايدة
فان الجدل مع ما فيه قد يوقظ الفهم وينشر الانفس لاقتباس العلم
والخصومة لا تثمر الا العداوة وانكار الحق ولهذا جعلها الله تعالى
شرا من الجدال فقال بل هم قوم خصمون وقال عز وجل فاذا هو خصيم
مبين ولم يذكر الخصام في موضع الاعابة وايضا فالمجادلان يجريان
مجرى فعلين تعاديا وكبشين تناطحا وتيسين تجاريا وكل واحد منهما
يجتهد ان يكون هو الفاعل وخصمه المنفعل وان يكون هو الطابع وصاحبه
المتبع والغالب كالموثر والمتاثر ومتى لم يجتمع المتاثر للقبول
اثر الموثر لم يتولد منهما خير يوجد وقال حكيم المجادل المدافع يضع
من نفسه عند الخوض في الجدال ان لا يمنع بشيء ومن لا ينفعه الا ان
لا يمنع فما الى افناعه سبيل ولو اصغى عليه الحكيم آجل سنة بل
لو اجتمع عليه الانبياء جل معجز كما قال ولو اننا انزلنا اليهم
الملئكة الآية

باب ما يجب ان يعامل به الجدل المماحل

اذا ابتليت بمجادل مهارش ومناجل منازع قصده الحجاج
الحجاج واراد مساماة العلماء ومماراة السفهاء كما قال النبي صلى الله عليه

وسلم من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او ليصرف
وجوه الناس اليه فهو في النار شعر تراه متعمدا للهجاء كانه
رد على اهل الصواب موكل

فحقك ان تعرض منه فرارك من الاسد والاساود فان لم تجد مزاولة بدا
فقابل انكار الحق بانكارك الباطل ودفاعك الصدق بدفاعك الباطل
والكذب بمثله فان في ذلك قول الله عز وجل ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين وقال ومكروا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
فانظر كيف الآية وقوله عز وجل حكاية عن المنافقين واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وقوله عز
وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الآية وتبلغ بذلك معه واياك ان
تعرج معه الى مثل الحكمة اي ان تذكر له شيئا من الحقايق عالما
ان له قلبا طاهرا لا تعافه الحكمة فقد قال صلى الله عليه لا تدخل
الملئكة بيتا فيه كلب فان لكل شيء عرسا ولكل بنا اسا وما كل
راس يسمو للتجان ولا كل طبيعة قسمي افاده البيان وان كان
لا بد فاقصد معه الى اقناع يبلغه فهم فقد قيل كما ان لب الثمار
معد للنحل والبن مباح للانعام فلب الحكمة معد لذوي الالباب
وقشورها مجعول للاغتام وكما انه من المحال ان يشم الاخشم ريحانا
فمحال ان يفيد الحمار بيانا واعلم ان سبيل انكار الجحود والمعنى في افساد ما
استهل من سبيل الحمار ضد بمثلها والمقابلة لها ولهذا اخرى الجدال

الخصم ابدا الدفاع لا المعارضة بمثلها وذلك ان الافساد هدم وهو سهل
والاتيان بمثله بناء وهو صعب فان الافساد كما يمكنه قتل النفس الزكية
وذبح الحيوانات واحراق النبات والهوى ولا يقدر على ايجاد شئ
منها يمكنه افساد حجة قوية بضرب من الشبهة المزخرفة ولا يمكنه الاتيان
بمثلها واجلها قد نادى الله الناس في الحجة الى الاتيان بمثلها لا السعي
في افسادها فقال تعالى قل فأتوا بسورة مثله وقال فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات فرضي بان يأتوا بما فيه مشابهة له وان كان
ذلك مفترى وقال ابراهيم عليه السلم فان الله يأتي بالشمس الآية

باب الوجوه التي منها يقع اختلاف وشبه

السبب الموقع للشبهة والمولد للخلاف على القول المجمل سببان
المعنى واللفظ فاما ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من جهة الناظر
او من جهة المنظور فيه وهو الحجة او من جهة الآلة التي تستعمل
في النظر فان الناظر في الشئ المعتبر له جار مجرى وزان وحجه
كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر غير تام العقل
كان اعمى عين البصيرة فيجري مجرى وزان اعمى البصر فلا سبيل له الى
الوزن ومتى لم يكن اعمى البصيرة لكن هو عرى عن الكمالات التي تعين
والحجج والادلة كان جاريا مجرى وزان عديم الميزان فاخذ يخمن
ويخرص فلما يتفق من غلط بل ما وقع منه من الصواب فغير معتد
به اذ لا اصل له فكن ايها الناقص ومن لم يكن اعمى البصيرة لكن لا

يعرف اي حجة يستعمل فيما هو بصدده فطلب المعقول من جهة
المحسوس والمحسوس من جهة المعقول كان جاريا مجرى وزان بصير
لكن بين الدرهم بصنج الدنانير والدنانير بصنج الدراهم واما ما كان
من جهة اللفظ فاما ان يكون ذلك واقعا من جهة مفردات اللفظ
او من جهة مركباته فان كان من مفردات اللفظ فاما ان يكون من حيث
ان اللفظ مشترك بين المعنيين كالعين واليد ونحوهما او يكون اللفظ
عاما موضوعا موضع خاص او خاصا موضوعا موضع عام او يكون اللفظ
مستعملا لشئ لم يقرر صور ذلك الشئ في بعض المسامع فيتخيل
لوهمه فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات فاسدة في الملئكة
والجن والشيطان والجنة والنار والميزان والصراط والكرسي فاما ما
كان من جهة التركيب فاما ان يكون من جهة الكمية وذلك بان يكون اللفظ
اكثر مما يجب ان يكون او اقل مما يجب ان يكون واما من جهة الكيفية
وذلك بان يقدم ما حقه ان يؤخر او يؤخر ما حقه ان يقدم شعر
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه ومن
اجل ما وقع في الالفاظ من الشبه قال الحكماء يجب ان يكون نظرك من
المعنى الى اللفظ اكثر من نظرك من اللفظ الى المعنى فان اللفظ في
الحقيقة لا يدل على المعنى الا بوساطة صور ذلك المعنى في القلب ومتى لم
تشخص المعنى في القلب لم يفهم المعنى من اللفظ البتة

باب بيان جميع اختلاف الناس في الآراء والمذاهب

جميع الاختلافات بين الناس في الأديان والمذاهب على اربع مراتب الاولى
اختلاف بين أهل الاديان النبوية وبين كل من خرج عنها من الثنوية والدهرية
وذلك في حدوث العالم وفي الصانع عز وجل وفي التوحيد والثانية
اختلاف بين اهل النبوة بعضهم بعضا وذلك في الانبيا كاختلاف
المسلمين والنصارى واليهود والثالث اختلاف المحقين في أهل
الدين الواحد بعضهم بعضا في الاصول التي تقع فيها التفسيق والتفجير
والتبديع والاختلاف في كثير من صفات الله عز وجل والرابعة
العدد وكاختلاف المجسمة الاختلاف المحقق باهل العدل
في فروع المسايل كاختلاف الشافعية والحنفية فالاختلاف الاول
يجري مجرى متنافيين في سلكهما كاخذ طريق الشرق واخذ طريق
الغرب واخذ ناحية الجنوب وكاخذ ناحية الشمال والثاني يجري مجرى
اخذ نحو المشرق واخذ بعينه او شماله فهو وان كان اقرب من الاول فليس
يخرج احدهما عن ان يكون ضلالا بعيدا واياهما قصد بقوله
تعالى ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا والثالث يجري
مجرى آخذين وجهة واحدة لكن احدهما سالك المنهج والثاني تارك للمنهج
وهذا التارك للمنهج ربما سلم وان كان الطريق يطول عليه والرابع
جار مجرى جماعة سلكوا منهجا واحدا لكن اخذ كل واحد شعبة غير
شعبة الواحد والآخر فهذا هو الاختلاف المحمود بقوله صلى الله عليه
الاختلاف في هذه الامة رحمة وهو نظير قول كل مجتهد

في الفروع مصيب ولاجل الطرق المشبهة اوهنا ان نستعيذ بالله
ونتضرع اليه بقوله اهدنا الصراط المستقيم وقال تعالى وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وجميع الخلاف الواقع في هذه
الامة اثنان وسبعون على ما ورد في الخبر ابدا وايانا فصدا وقد روي
الخبر في ذلك على وجهين احدهما ستفترق امتي على اثنتين وسبعين
فرقة كلها في النار الا واحدة وفي الخبر الثاني كلها في الجنة الا
واحدة ومع الزيادة فقد وهذان خبران لا يمتنعان ان يكونا صحيحين
ولكن على نظرين وغرضين وقد ذكرت ذلك وبينته في رسالة مفردة

باب النطق والصمت

النطق اشرف ما خص به وانه صور المعقولات التي بها بان من
الحيوان ولهذا قال عز وجل خلق الانسان علمه البيان ولم يقل
وعلمه اذ جعل علمه تفسيرا لقوله خلق انسان تنبيها ان خلقه
تعالى اياه من تخصيصه بالبيان الذي لولاه لم يتم مرتبة الانسانية
مرتفعة ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة
او صورة ممثلة وقيل المرء مخبوء تحت لسانه شعر لسان الفتى
نصف ونصف لسانه فلم يبق الا صورة اللحم والدم
اي اذا توهم ارتفاع النطق الذي هو بالانسان والقوة الناطقة
التي هي بالحقيقة هي الصورة اللحم والدم فاذا كان الانسان
هو الانسان بذلك ولا شك ان من كان اكثر منه حظا كان اكمل انسانية

والصمت من حيث ما هو صمت مذموم فذلك من صفات الجمادات فضلا
عن الحيوانات وقد جعل الله تعالى بعض الحيوانات بلا صوت
وجعل بعضها صوتا بلا تركيب ومن مدح الصمت فلاعتبار الاشياء في
الكلام فيقع منه جنايات عظيمة في امور الدين والدنيا كما روي
ان اللسان اذا اصبح لقي اعضاءه بالسانه فيقول اتق الله فينا
وفيك فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
فاما اذا اعتبرا بنفسهما فمحال ان يقال في الصمت فضل فضلا
ان يخاير به وبين النطق سئل حكيم عن فضيلتهما فقال
الصمت خير حتى يحتاج الى النطق وقيل الصمت عن الحكمة افضل من الكلام
بالخطأ شعر الصمت افضل الا في من ينطق في غير حينه
والفرق بين الصمت والسكوت والانصات والاصاخة ان الصمت ابلغ
لانه قد يستعمل فيما لا قوة فيه للنطق ولما له قوة النطق ولهذا قيل
لما لم يكن له نطق الصامت والصمت والسكوت يقال لما له نطق فترك
استعماله والانصات سكوت مع استماع وحتى ان تفكر احدهما من
الآخر لم يقل له في الحقيقة انصات وعلى ذلك قال عز وجل واذا
قرئ القرآن الآية فقوله وانصتوا بعد قوله فاستمعوا يدل
على ان الانصات بعد الاستماع ذكر خاص بعد عام والاصاخة
الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد

باب الصدق ومدحه والكذب وذمه

اصلها في القول كما يكون بالقصد الاول من القول الا في الخبر
دون غيره من أصناف الكلام واما بالعرض فقد يدخل في انواع
الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك ان قول القايل ان زيدا
في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك اذا
قال آسني في ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذني
في ضمنه انه محتاج الى الرفع الاذية عنه وانه يؤذيه وكلما أعني
الصدق والكذب يستعملان في الاعتقاد ايضا كقولهم صدق ظنه
واعتقاده وكذب ويستعملان ايضا في افعال الجوارح نحو قولهم
صدقوهم القتال وكذبوهم وحق الصدق التام هو مطابقة القول
الضمير والمخبر عنه معا ومتى اخرم شرطا من ذلك لم يكن صدقا
بل امكن ان يوصف بالصدق والكذب اي يوصف تارة بالصدق
وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قال من
غير اعتقاد محمد رسول الله فانه هذا يصح ان يقال فيه انه
صدق لكون المخبر عنه كذلك ويصح ان يقال فيه انه كذب
لمخالفته قوله ضميره ولهذا كذبهم الله تعالى حيث قال اذا
جاءك المنافقون الآية وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد في
الدار انه في الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين
مختلفين ولهذا قال عليه السلام من قال في القرآن برايه فاصاب
فقد اخطأ وفي خبر نقل كذب على الله والمبرهم لا قصد له فاذا

قال زيد في الدار لا يقال له صدق ولا كذب والصدق احد أركان
بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعا لما صح نظام هذا العالم وبقاؤه
وهو اصل المحمودات وركن النبوات وتتجه القوي ولولاه لبطل
احكام الشرايع ولذلك قال عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين والاختصاص بالكذب انسلاخ من الانسانية
مخصوصية الانسان بالنطق ومن عرف بالكذب لم يعتمد على نطقه
واذا لم يعتمد على نطقه لم ينفع واذا لم ينفع نطقه صار والبهيمة سوا
بل يكون شرا من البهيمة فان البهيمة وان لم تنفع بلبانها فانها لا تضر
والكاذب يضر ولا ينفع ولهذا قال عز وجل ان هم الا كالانعام
بل هم اضل واعلم ان كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار
دون الاخبار فليس بكذب في الحقيقة ولهذا لا يحاشى المتورعون
من التحدث به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف في
خدمة الملوك ان سبعا وذئبا وثعلبا اجتمعن فقلن مشترك فيما
نصيد فظفرن ببعير وظبي وارنب فقال السبع للذئب اقسم قال
نقسمه العير للسبع والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع عليه
فقتله ثم قال للثعلب اقسم قال نقسمه العير لك لغدائك
والظبي لعشيتك والارنب لعشائك فقال له السبع من علمك
هذه القسمة قال علمني الثعب الارجواني الذي على الذئب وعلى
المثل حمأ وقوله عز وجل ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة

وقوله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فقال يصح هذا لما كان مثلا
وان لم يجز تعالى العالم في وجود حبة مثلا

باب ما يحسن ويقبح من الصدق والكذب

ذهب كثير من المتكلمين الى ان الصدق حسن لعينه نعم والكذب
يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة ان الكذب يقبح لما
يتعلق به من المضار الخالصة والصدق حسن لما يتعلق به من المنافع
ويقبح ما يقبح لما يتعلق به من المضر الموفية على ما فيه من النفع الاترى
ان اعظم ما يجري في العالم القتل والغصب وقد يقع كل واحد
منهما على وجه حسن وعلى وجه يقبح فكذا المقال من الصدق والكذب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يحسن الكذب الا في ثلثة احوال
اصلاح ذات البين وكذب الرجل امرأته ليرضيها والكذب في
خدعة الحرب وقد روي اذا اتاكم من حديث يدل على هدي او
يرد عن ردي فاقبلوه قلته او لم اقله وان اتاكم عني حديث يدل
على ردي او يرد عن هدي فلا تقبلوه فاني لا اقول الا حقا
قالوا والكذب يكون قبحا بثلثة شرايط ان يكون الخبر بخلاف المخبر
عنه وان يكون المخبر قد اخلقه قبل الاخبار به وان يقصد ايراد
ما في تقبيه لانتفاعه اعظم مضرة من ذلك الكذب مع شرط ان لا يمكن
الوصول الى ذلك النفع بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر
واضح عاجلا وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال جوزوا الكذب

فيما يرجى منه نفع دنيوي فالمنتفع الدنيوية ولو كانت ملك الدنيا
بجذافيرها لا تنجي على ضرر اذى كذب وانما هذا الذي قلناه يتصور
في نفع اخروي يكون الانسان فيه معذورا جدا واجلا
كمن سئل عن مسلم استتر عن ظالم فيه ادرك وهو يريد قتله
فنقول لا لهذا يجوز ان نفع هذا الكذب موقوف على ضرر وهو فيه
معذور واخلاف ان المعاريض حيث يضطر اليها يجوز ولذلك
قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب ولم تزل الانبياء والاولياء
يعرضون اليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله من اين انت
فقال من ماء وقول ابرهيم صلى الله عليه اني سقيم وقوله هذه
اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا واما الصدق فانه حسن حيث
يتعلق به نفع والمحض ضررا باحد فمعلوم قبح من يقول حيز يعتد السما
فوقي والارض تحتي من غير ان يريد ان يجعل هذا مقدمة دليل او
افاد معنى يتعلق به وكذا يقبح التهمة لغيبة واستعانة
وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالمرء ذما ان يقبح فيما
الصدق واقبح الكذب مع قبح كله اي جد ما يتعلق به من جا
النفع العاجل والاجل ويجلب الى المقول له ضررا كرجل يأتيك
عن بلد بعيد فتقول ان ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوف
اليك وسألك ان تأتيه لينيلك مالا وجاها فاذا وردت لم
تجد لذلك صدقا بل وجدت لذلك الملك حقا عليك

باب أنواع الكذب وأسباب الداعي اليه الكذب

اما ان يكون اختراع قصة لا اصل لها او زيادة في القصة او
نقصانا يغير ان المعنى او تحريفا بتغيير اعراب فما كان اختراعا
يقال له الافتراء والاختلاق وما زاد او نقص فقد مان وكل من
اورد كذبا في غيره فاما ان يكون قولا بحضرة المقول فيه او بغير
حضرته واعظم الكذب ما كان اختراعا بحضرة المقول فيه وهو المعبر
عنه بالبهتان وكل ما ورد حديثا فاما ان يقوله عن علم او عن
غلبة ظن او تخمين وظن واه فما يقال عن علم نحو زيد بلا شك
وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن او يقبح وما كان عن تخمين وظن واه
فمذموم ولذلك قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن واعلم ان الداعي الى الكذب محبة النفع الدنيوي
وجلب الشر وذلك ان المخبر اما ان له فضلا على المخبر بما علمه
منه نسبه الى العالم الفاضل فيظن انه يجلب بما يقوله فضلا او منه
وهو يجلب له نقيصة وفضيحة نفضيحة كذبه واحدة لا توازي مئات دهره
والكذب عار ازم وذل دائم وحق الانسان ان يتعود الصدق
ولا يرخص في ادنى كذب لمن اعتياده يعسر عنه فطامه وقد
قال بعض الحكماء كل ذنب يرجى تركه بتوبة الا ذنب ما خلا الكذب
فان صاحبه يزداد على الكبر فقد اتينا شارب خمر اقلع ولصا
نزع ولم ير كذابا ان رجع وعوتب كذاب في كذبه فقال لو

تمرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه فقيل له لو ذقت حلاوة
الصدق لما صبرت عنه

باب الذكر الحسن من المدح والثناء

محبة الذكر الحسن اشرف مقاصد بنى آدم وهو فى جبلة الناس
ومن خصايصهم ولا يوجد فى غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر
حب الثناء طبيعة الانسان ولولا الكلف به لما ظهرت العدالة
مذاكر الناس ومن لا يخوفه الهجاء ولا يرجوه الثناء فلا يردعه عن شنيع
الفعال الا سوط او سيف قال الشاعر

جحود فضيلة الشعراء حتى وتفخيم المديح من العباد
يحث بانتساء ذى نجب لكسب واغلب كعبه فى كل ناد
وما افتقر البنى الى قصيد مشيبته ببيت من سعاد
ولكن سن اسماء الايادى فكان الى المكارم خير هادى

وقيل الذى ينفر عن القبيح ويحث على الجميل ستة اشياء العقل
ثم الحياء ثم المدح والهجاء ثم الرغيب والرهيب وقيل من لم
يردعه الذم عن شيئه لم يدعه المدح الى حسنة فهو حمار فى بهيمة
ولاجله تنازع الناس فى الرياسة والمنازل الرفيعة وليس الثناء فى
نفسه بمحمود ولا ممنوع وانما يحمد ويذم بحسب المقاصد فمن قصد
ما ينبغى بالثناء على الوجه الذى يستحق ذلك محمود ومن طريق
ابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال واجعل لى لسان صدق فى

الآخرين اى اجعلنى بحيث أثنى بما اذا مدحت بشئ يكون مادحى صادقا
ومن هذا الوجه ندب الانسان الى ان يقول اذا مدح اللهم اجعلنى
خيرا مما يظنون والمذموم منه ان يميل اليه من غير تحرز لعلمه بما يقتضيه
وذلك من اعظم الآفات لمن تحراه فانه يفتح الجد والحد بغض الكذب
والكذب رأس كل مذموم وقد توعد الله تعالى من طلب المحمدة
من غير فعل حسنة يقتضيها فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما
اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية وبالنظر الى ما تقدم قال
صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة وسنة سيئة فهو موزر من
وقال المؤمن اذا مدح غض وجهه ربا الايمان فى قلبه وبالنظر الى
ما تأخر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا أثنى على
آخر فقال قطعت مطاة لو سمع ما أفلح واقل الفضل يكرهون الثناء
عليهم فى وجوههم سيما اذا كان من مادح مطر فى جليس معتقد
وممن ذهب من قبل ان يعرف وممن اذا وجل قادحا يمدح واذا وجل مادحا
يمدح واما اثنا الانسان على نفسه وشناعة وقاعة فقد قيل
لحكيم ما الذى لا يحسن وان كان حقا فقال مدح الرجل نفسه وقال
معوية لرجل من سيد قومك فقال انا فقال لو كنت لما قلت
وانما لم يستقبح ما كان من يوسف صلى الله عليه حيث قال اجعلنى
على خزائن الارض انى حفيظ عليم لانه قصد بذلك التنبيه على
استعداده لما سأل ان يفوض اليه وقد احسن ابن الرومى حيث

أعتذر عن مدح نفسه قصدا الى الدلالة على مكانه حيث قال
وعز على مدحي لنفسي غرائي حشمته للدلالة
وهو عيب يكاد يسقط فيه كل حر يريد اظهار آلته

باب الشكر

الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها فيلزمه مقلوب عن الكشر
اي الكف يقال كشر الكلب وهو كف الشيء اي تغطيته ومنه دابة
شكور اي مظهرة بسمنة اسدا عارفه صاحبها اليه وقيل اصله
من عين شكرى اي ممتلئة فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه من
هذا الوجه قيل هو ابلغ من الحمد لان الحمد ذكر الشيء بصفاته
والشكر ذكره بصفاته ونعمه والشكر يتلثه اضرب شكر بالقلب وهو
تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم وشكر بسائر
الجوارح وهو مكافاته بقدر استحقاقه وهو ايضا باعتبار الشاكر
والمشكور ثلثة اضرب شكر الانسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثناء
والدعاء وشكر لنظيره وهو بالمكافاة وشكر لمن دونه وهو بالاثواب
وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر لصالحي عباده وشكر العبد لله
هو معرفة نعمته وتحفظ جوارحه بمنعها استعمالا لا ينبغي ومعناه
بالفارسية اسباس داشتن خزير اي انا حارس له على جوارحي
وشكر المنعم في الجملة واجب بالعقل كما هو واجب بالشرع وان جهلها
شكر الباري تعالى ثم شكر من جعله عز وجل سببا لوصول خير اليك

على يده ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لم يشكر الله من لم يشكر الناس
وقال عليه السلام اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا
زوال للنعمة اذا شكرت ولا دوام لها اذا كفرت وقال بعض
العلماء كل نعمة لم تكن شكرها الا نعمة الله فان شكر نعمته نعمة تحتاج
الى شكر الباري جل ثناؤه كشكره الاول وكذلك الحال في
الثالث والرابع وهذا يؤدي الى ما لا يتناهى ولهذا قال موسى
صلى الله عليه الهي امرتني بالشكر على نعمك وشكري لك نعمة من
نعمك ومن هذا الوجه أخذ الشاعر فقال اذا كان شكري

نعمة الله نعمة علي لها في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر
ولهذا قيل غاية شكر الله الاعتراف بالعجز عنه بل قال تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وايضا فكل ما يفعل الله بعبده فهو نعمة منه
وان كان بعض ذلك يعد بلية ولهذا قال بعض الصالحين بارئ منعه
عطاء وبلاؤه نعماء ومن اجل صعوبة شكره قال عز وجل وقليل من
عبادي الشكور ولم يثن بالشكر على عباده الاولياء الا على اثنين
منهم قال في ابرهيم صلى الله عليه شاكرا لانعمه مخصص لفظ الانعم الدال
على ادنى العدد وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا
واعلم ان الصبر والشكر جماع الايمان كما روي في الخبر الصبر نصف
الايمان والشكر وقال بعض المتصوفة الشكر افضل من الصبر فان الصبر حبس

النفس على مساءة البلاء والشكر ان لا يلتفت الى البلاء براءة من النعماء
فمن صبر فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر فقد تجاوز الى اظهار الورود
بما جزع له الصابر وايضا الصبر تارك العمل الشنيع والشكر اظهار الفعل
الحسن وليس من ترك قبيحا كمن فعل جميلا وقال تعالى الشكر بالمجازاة
فعل الحبيب بالحبيب قال وسنجزي الشاكرين وقال الصبر بالاجر فعل
المستاجر باجيره فقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وان الاجر وان كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء ثم قال في
الصديقين فلم يتمم فاعلمه وقال في الشكر نجزي الشاكرين فانظر الى
هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء الى المعقال ولم يذكر من انبيائه
بالشكر الا اثنين كما تقدم ووصف جماعتهم بالصبر فقال كل من الصابرين
وقال ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فجعل الصبر مبدأ والشكر
منتهى وان الصبر محمول عليه تمام والشكر مؤدى طوعا

باب الغيبة والنميمة

الغيبة ان يذكر الانسان غيره بما فيه من غير ان يخرج الى ذكره وقد
عظم الله عز وجل امرها فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عز وجل هماز مشاء بنميم
وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وروى انه يقطر
الصيام وينقض الوضوء وقل من يوجد عاريا لا يكون معيبا وقال
قيل لرجل انه يغتاب فاهدت له طبقا من بعا قال الكرام

ان لا يتعوضها فان لها ضراوة ولذلك غير انسان ما اغتيب فقال لو
لطب بها لما صبرت عنها ثمار من اغتاب اغتيب ومن عاب عيب
فجعله عن عيوب الناس يعمل الناس على البحث عن عيبه وكما يجب ان
يزجرها بقوله يجب ان يجتنب سماعها وسماع كل قبيح من الكذب
ليلا يعلق وضره ووسخه بفكرته فوضر كله عورات لا يمكن تطهير
القلب منها الا بامان مديد وعلاج شديد وسماع القبيح قد يكون
سببا لفساد الكثير المجتهد وعوايد العالم المستبصر فضلا عن فساد
الجدث الغر الناشئ الغمر ولذلك قال عز وجل في مدح قوم واذا
مروا باللغو مروا كراما وقال عليه السلم تجنبن الطرق او شاطها

وعد عن الجانب المشتبه

متعمدا عن سماع القبيح كعفة اللسان عن النطق به
وكيف الغيبة والنميمة المسابة قال امير المؤمنين عليه السلم ما استاب
اثنان الا غلب الامهما والا الخط الاعلى الى رتبة الاسفل منهما

وقيل اذا اعظمت لسماع كلمة تؤذيك فتطامن لها
حتى تحفظاك

باب الكلام القبيح

لهذا الكلام القبيح يكون من القوة الشهوية طورا كالرفث والسخف
ويكون من القوة الغضبية طورا فمن كان معه استعانة من القوة المفكرة
كان منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردا لا يفيد
لفظا كما يرى كثير ممن فارت غضبه وهاج هايجه والرفث فواحش

الكلام في باب النكاح وأوصاف النساء وهو قبيح قال بعضهم
انّ استيفاء مزاح الرجل بأن يكون وصّافا لبطنه وفرجه ومزحه لا انسان
ان يصون عرضه لك سمعه كما يصون عن التفوّه به فمه ولذلك قال
تعالى في مدح قوم واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما وقال واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه الآية ع اسباب ثلثة الاوّل قدح في نسب المسبوب
الثاني في نفسه او بدنه لعاهة به او آفة الثالث في شيء فعله
او نعله والسفه السرع الى القول القبيح

باب المزاح والضحك

المزاح اذا كان على الاقتصاد محمود فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لا مزح ولا اول الا حقا وروي عنه صلى الله عليه وسلم كلمات مازح
بها وقال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه
يذهب بالبهاء ويجرّي عليك السفهاء وتركه يغيض الموانسين ويوحش المخالطين
لكن الاقتصاد منه صعب جدّا لا يكاد يوقف عليه ولذلك يخرج عنه اكثر
الحكماء حتى قيل المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاخاء فحمل لا ينبغي الا
الشرّ واما الضحك فمن خصائص الانسان وذلك انه يكون من التعجّب
والتعجّب لا يكون الا عن فكر وبالفكر يتميز الانسان عن البهائم
والاقتصاد فيه ومعرفة ما يحسن منه عسر لما مرّ في المزاح وقيل
اياك وكثرة التعجّب والضحك فانهما تميتان القلب وتورثان النسيان
وكثرة الضحك من الرعونة وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال ان الله

عزّ وجلّ يبغض الضحّاك الفحّاك من غير عجب والمشّاء الى غير ارب
واما ايراد المضحكات على سبيل التسخّف فنهاية القباحة وقد قال
صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك القوم ويل له
وويل له

باب الحلف

اقبح من الكذب اليمين الفاجرة ففيها مع الكذب الاستهانة بالمسمّى به
وحقّ المسلم ان يحاشا من الاستهانة باليمين في الحقّ فكيف بالباطل
وان يحقّق تقدير القسم وما يريده ليعلم ان الاعواض الدنيوية أربح
امرا واخسّ قدرا من ان يفزع فيها الى الحلف بالله وبقدير ذلك
موان القائد اذا قال والله لي عليك كذا اي كون ذلك عليك
حقّ كما ان وجود الله عزّ وجلّ حقّ وهذا كلام يحاشى منه مؤمن
قلبه جبّة عزّ ذل من تعظيم الله تعالى وقد قال تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا وقال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
ان تبرّوا وقال امير المؤمنين علي عليه السلام الحلف منفقة للسلعة
ممحقة للبركة ولم يخصّ يمينا من يمين واما قول النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يحلف على ماله فلا مال له فانه وان كان بنظر الفقها يتصوّر
فيه انه قد يحلف في الحلف صادقا فانه بنظر الحكماء حثّ على ايثار معظم
الله تعالى وتعديمه على ايثار المآكل وتعريض بان الذي فانه هو عرض
حاضر لا الدين والمروة ومواساره الى قوله تعالى قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم واخوانكم الآية وحقّ العاقل انه اذا اضطرّ اليه ان يسلك

سبيل التعريض فيه دون التصريح ولم يضطر اليه بركه تعريضا وتصريحا
وان بدا منه سهو حلف شفعه بالاستثناء كما قال عليه السلام من كان
حالفا فليقل ان شاء الله فانه يدفع الحنث ويذهب الحنث ويحقق
الحاجة ويرفع الحجاجة وقيل العاقل اذا تكلم اتبع كلامه مثلا
والاحمق اذا تكلم اتبع كلامه حلفا وعلامة الكاذب جوده بيمينه
لغير مستحلف قال الشاعر وفي اليمين على ما أنت واعده ما دل
انك في الميعاد متهم
وقال بعض الحكماء اللغة الجلادة تدل على كذب أربابها فان
ذلك لغلبة الركون الى كلامهم وكما جوز عليه السلام الكذب حيث
يضطر اليه جوز الحنث في اليمين فقال اذا حلف احدكم على شيء فرأى
غيره خيرا منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه

الفصل الثالث
فيما يتعلق بالقوى الشهوية
باب الحياء

الحياء انقباض النفس عن القبائح وهو من خصائص الانسان واول ما
يظهر من قوة الفهم في الصبيان جعله الله في الانسان ليردع به عما
تنزع اليه الشهوة من القبائح فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من
جبن وعفة ولذلك لا يكون المستحي فاسقا ولا الفاسق مستحيا
والمستحي شجاعا لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة والعفة وجود ذلك

بحر الشعر ابيات المدح بالشجاعة والمدح بالحياء في قول الشاعر
تجري الحياء العفن من سيمائهم من حيث يجري من الكريم الدم
وقال آخر كم بين بعض العرف فضل حيائه وبذل واطراف
الرماح دوائه ومتى قصد به الانقباض فدع للصبيان
دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح فدع لكل احد وبالاعتبار
الاول قيل الحياء بالافاضل قبيح ومن هذا الوجه قيل جرى خزيا
في الهوان وجرى حرابة في الاستحياء فجعلا من منبع
واحد وبالاعتبار الثاني قيل ان الله يستحي من ذي الشيبة في
الاسلام ان يعذبه اي يترك عذابه اما الخجل فخبيث النفس لفرط
الحياء ويحمر في النساء والصبيان ويذم بالنفاق من الرجال
والوقاحة مذمومة بكل لسان اذ هي انسلاخ من الانسانية
وحقيقتها في تعاطي القبح واشتقاقه من حافر وقاع اي صلب
ولهذه المناسبة قال الشاعر يا ليت اني من جلد وجهك قطعة
فاقد بها حافر
وما اصدق قول الشاعر حيث يقول صلابة الوجه لم تغلب على
احد الا تكامل فيه الشر فاجتمعا
فاما مداواة اكتساب الحياء فمن الانسان اذا هم بقبح ان يتصور اجل
من في نفسه حتى كأنه يراه فالانسان يستحي من كبير في نفسه ولذلك
لا يستحي من الحيوان ولا من الاطفال الذين لا يميزون ويستحي من

العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد
والذين يستحي منهم الانسان ثلثة البر وسواكر مما يستحيا منه
ثم نفسه ثم الله عز وجل ومن استحيا من الناس لم يستحي من نفسه
نفسه احض عنده من غيره ومن استحيا منهما ولم يستحي من الله عز وجل
فلعدم معرفته به فان الانسان يستحي من يستعظمه ويعلم انه يراه
او يسمع بخبري فيبكته ومن لا يعرف الله فكيف يستعظمه وكيف يعلم
انه مطلع عليه وقول النبي صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء
ضمنه حث على معرفته قال الله عز وجل الم يعلم بان الله يرى
ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحيا من ارتكاب الذنب وشيل الجنيد
عما يلد من الحياء من الله فقال رؤية العبد آلاء الله عليه ورؤيته تقصيره
في شكره ان قيد كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم من لا حياء له
فلا ايمان له قيل الحياء اول ما يظهر في الانسان من الايمان والعقل
والايمان آخر مرتبة العقل ومجال حصول المرتبة الاخيرة لمن لم
تحصل له الاولى فما لو اجيب اذا كان من لا حياء له فلا ايمان له وقال
صلى الله عليه الحياء شعبة من الايمان وقال الايمان عريان ولباسه
التقوى وزينته الحياء

باب كبر الهمة

واما كبر الهمة فخاص للانسان فاما الحيوانات فكل جنس يحرب
الغل بقدر ما في طبعه وهو حال يزال بالفتح وصغر الهمة فالتفخ
تأهل الانسان لما لا يستحقه وهو البذخ وصغر الهمة تركه لما يستحقه

وهو الدناءة وكلاهما مذمومان لكن المتفخ جاهل احمق والصغير
الهمة جاهل غير احمق وليس لكبر الهمة واسطة مذموم في الحقيقة
وانما الافراط يدخل في كل فعل يتصوره بعض الناس بصورة علو الهمة
وليس كذلك **واعلم** انه يقال فلان كبير الهمة
اذا كان همه يطلب معنى اكرم واشرف مما يطلبه الكبير
الهمة على الاطلاق وهو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه
فلا يصير عبد عاره بطنه وفرجه بل يجتهد ان يتخلص بمكارم
الشرع فيصير من خلفاء الله واوليائه في الدنيا ومجاوريه في
الاخرة والصغير الهمة من كان على الضد من ذلك وقال اعرابي فلان
عظيم صغر الدنيا في عينه فكل ما خرج من سلطان بطنه فلا يشتهي
ما لا يجد ولا يكترث اذا وجد وكل ما خرج من سلطان فرجه فلا يستخف
له رأيا ولا بد ناهيك من انسان ان يلطف عن ذلك فانه وان كان
بعنصر حيوانا فبعقله وفكره ملك فاذا ضيع نفسه صار شرا
من البهيمة وذلك هو الخسران المبين وقيل من عظمت همته لم يرض
بفسيح مسترد وحياة مستعاد فان امكنك ان تعتني فنية
مؤيدة وحياة مخلدة فافعل فلا اعداد لما له آتنا فالكبير الهمة
على الاطلاق من يحرى الفضايل لا لجاه ولا لزوه ولا للذة ولا
لاستشعار نحوة واستعلاء على البرية بل يحرى مصلح العباد
شاكرا بذلك نعمة الله تعالى ومتوخيا فرضاه غير مكترث بقلة مصاحبه

فانه اذا عظم المطلوب قل المساعد وقال آخر طرق العلا قليلة الانباس والطريق موحش

باب الوفاء والغدر

الوفا اخو الصدق والعدل والغدر اخو الكذب والجور وذلك ان الوفا صدق اللسان والفعل معا والغدر كذب بهما وفيه مع الكذب نقض العهد والوفا يختص بالانسان فمن فقد فيه فقد انسلخ من الانسانية كالصدق وجعل الله العهد من الايمان وصيّر الوفا مدار الناس فالناس مضطرون الى التعاون ولا يتم تعاونهم الا برعاية العهد والوفا ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفعت المعايش ولذلك عظم الله تعالى امره فقال وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال تعالى وبيايعك فظهر قيل انه نقد عن العدل وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وعظم حال السوء فيما التزم من الوفاء بدء وعود امرئ السوء لعلة وجود ذلك في الناس قال عز وجل وما وجدنا لاكثرهم من عهد وضرب المثل بنقض العزم فقيل هو اعز من الوفاء شعر ابا الناس الا ذميم الفعال اذا جربوه وقبح الكذب

باب المشاورة

المشاورة استفعالها من شرت الدابة اذا استخرجت جريها وهي استنباط المرء راي غيره فيما يعرض من الامور الجزوية التي يتردد

المرء فيها بين فعلها وتركها وبعم العدة قال امير المؤمنين علي عليه السلم المشاور حصن من الندامة وقيد الاحمق من قلة العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستشارة فما رأى الواجد كالسديد والرايان كالخيطين والثلثة امراء لا ينقض وكفاك بمدح قوم الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر وقد استغنى الحكما قول شار بن برد اذا بلغ الراي المشورة فاستعن بقول نصيح او نصيحة جاهم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم

لكن اعتبار من يجوز ان تعتمد مشورته صعب جدا فانه يحتاج ان يكون صديقا امينا مجربا جامعا لاصالة الراي غير مستعجب بنفسه ولا ممتلئ في رايه ولا كاذب في مقاله فمن كذب لسانه كذب دايه ويجب ان يكون عند فراغ اليال فقد احسن بشار حيث قال وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب ويكره اذا ما استبهما عند واحد فحقه من طاعة بنصيب

باب النصح

اصله من نصحت الثوب اذا خطته وهو اخلاص المحبة كالعسل في اظهار ما فيه صلاحه وسدود المحبة المختصة بمعنى الفضيلة دون محبة النفع والله وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم امرها فقال الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم

فبيّن صلى الله عليه ان النصح واجب لكافة الناس وذلك بان يعرّفهم
مصالحهم في جميع امورهم بقدر وسعك واول النصح ان يبدأ الانسان
لنفسه في غشها فقلّما ينصح لغيره وحقّ من استنصح ان يبذل
غاية النصح وان كان ذلك في شئ يضرّه ويجرّ اليه قول الله عزّ
وجلّ يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية
وقال عزّ وجلّ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال ابن عباس
رضي الله عنه ايزال الرجل يزداد في صحة رأيه ما نصح المستشير
فاذا غشّه سلبه الله صحة رأيه ولا تلتفتنّ الى من قال اذا
نصحت للرجل فلم يقبل منك فتقرّب الى الله بغشّه فذلك قول القائل
الشيطان على لسانه اللهم الآن ريد بغشّه الكون عنده فقد قبل
كره النصح وعرف الظنّة ومعرفة الناصح من الغاش المنتصح صعبة جدّا
فالانسان لكره يصعب الاطلاع على سرّه اذ هو قد يبدي خلاف ما هو
مخفيه وليس كالحيوان الذي يمكن الاطلاع على طبيعته

باب كتمان السرّ

السرّ على ثلاثة اضرب ما يلقي الانسان من حديث يستكتم وذلك
اما لفظا كقولك لغيرك اكتم ما اقول لك واما حالا وهو ان يتحرّى
الغلام حال انفراده فيما يورده او يخفض صوته او يخفيه عن مجالسيه
ولهذا قيل اذا حدّث الانسان بحديث فالتفت فهو امانة والثالث ان
يجد حديثا في نفسه مما يستقبح اشاعته او شيئا يريد فعله

والى الاول من ذلك اشار النبي عليه الصلوة والسلم بقوله من رأى
منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله والى الثاني
اشار من قال من رأى الامراء اذا قبل احكامه وكتمان النوع
الاول من الوفاء وهو اخصّ بعامة الناس والثاني من الحزم والاحتياط
وهو اخصّ بالملوك واصحاب السياسات واذاعة السرّ من قلّة الصبر
وضيق الصدر ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان والشبيه
في انه يصعب كتمان السرّ وهو ان للانسان قوتين آخذة ومعطية
وكلتاهما تتشوّف الى الفعل المختصّ بها ولولا ان الله تعالى وكّل
العطية باظهار ما عندها لما اتاك بالاخبار ولم تزوّد فصارت من
القوة المتشوّفة الى فعلها الخاصّ بها فعلى الانسان ان يتيقظها ولا
يطلقها الا حيث يجب اطلاقها ولا يخدعنك عن سرّك قول من قال
داكتم السرّ فيه ضربة العنق وقول من انشد

ويكتم الاسرار حتى انه ليصونها عن ان تمرّ ببالهِ

فذلك قول من
يستتر لك عما في قلبك فاذا استوفى ما عندك لم يرع فيه حقك
فقد قيل الصبر على الجمر ايسر من الصبر على كتمان السرّ وما اصدق
من انبأ عن حقيقة حاله حيث قال لصديقه اريد ان افشي اليك
سرّا تحفظه عليّ قال لا اريد ان ارى قلبي بخواك فاجعل
صدري خزانة شكواك فيقلّ ما اقلقك ويؤمّن ما ازلّ قلقك
فتبيت بافانية مستريحا وبيت قلبي يحرّ جريحا وقيل اكرم ما يستنزل

الانسان عن شهرته في ملئة مواضع عند الاضطجاع على فراشه وعند
خلوه بعرسه وفي حال سكره ومزحه مثى شاء غيره ان يجتنب
المجافل لامرين احدهما ان في ذلك ايذاء الظن فهذا تقول قد اغتابني وذا
يشرب وذا يهم والثاني ربما يتسع بالخوض فيطلع على غامض السر
من مراده قال صلى الله عليه اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون
الثالث **باب التواضع والكبر**
التواضع استفاقه من الصغر وهو رضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه
فضله ومنزلته وفضيلته الا تكاد تظهر في افنا الناس لانحطاط درجتهم
وانما ذلك بين في الملوك واجلا الناس وعلمائهم وهو من باب
المفضل الذي كبعض حقه وهو ضد الكبر والضعة فالضعة وضع
الانسان نفسه مكانا ينزري به لتضييع حقه والكبر دفع نفسه فوق
قدره والفرق بين التواضع والخشوع ان التواضع يقال فيما يتعلق
ووضيع ايضا فالتواضع يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والباطنة
والخشوع يقال باعتبار افعال الجوارح ولذلك قيل اذا تواضع القلب
خشعت الجوارح وقال الله عز وجل خاشعة ابصارهم وقال وخشعت
الاصوات للرحمان وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم التواضع فقال
طوبى لمن تواضع في غير مقصود ذل في نفسه من غير مسكنة وقيل
لبزرجمهر هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه
قال نعم اما النعمة فالتواضع واما البلاء فالكبر وقال بعض

الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد عند الحكماء من الكبر
مع الادب والسخا فاجمل تحية غطت على سيئتين واقبح بشيئة غطت
على حسنتين والكبر ظن الانسان بنفسه انه اكبر من غيره والمتكبر اظهار
ذلك ومحله منه لا يستحقها الا الله عز وجل ومن ادعاها من المخلوقين
فهو فيها كاذب ولذلك صار ممقوتا في الباري وذما في البشر وانما
شرف المخلوق في اظهار العبودية كما قال تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون تنبيها على ان
ذلك لهم رفعة لا ضعة والمتكبر والضرع كلاهما جاهل لكن الضرع
غبي والمتكبر غبي احمق وشتان ما بينهما فالغبي قد يتأدب وليس
الاحمق كذلك فلا سبيل الى تأديب الاحمق جدا وان الضرع قد ترك
ماله والمتكبر ادعى ما ليس له وشتان من المنزلتين وان الكبر تولد
من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل اس الامراض
من الافات النفسية والكبر الامتناع من قبول الحق ولذلك عظم الله تعالى
امره فقال انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى ابيس في جهنم
مثوى للمتكبرين وقال تعالى اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار وقال صلى الله عليه يقول الله عز وجل
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قذفته في
نار جهنم ونبه تعالى على مبلغ فعله احسن تنبيه فقال عز وجل

ولا تمش في الأرض مرحا الآية واقع كبيرها لما كان معه بخل
قال صلى الله عليه خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل والكبر قال
الشاعر جمعت أمور ضاع الحزم بينها مابية الملوك واخلاق المماليك
ومن تكبر لرياسته ناله الذل على دناءة عنصره ومن تفكر في تركيب
ذاته عرف مبتداه ومنتهاه واوساطه عرف نقصه ورفض كبره وقد
نبه الله تعالى على ذلك بقوله فلينظر الانسان مم خلق خلق من
ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وقال تعالى قتل
الانسان ما اكفره الآية وقال انا خلقنا الانسان من نطفة
الآية والى هذا المعنى اشار ونظر مالك بن دينار من زهاد البصرة
الى المهلب بن ابي صفرة وهو يتبختر في مشيه فقال له أوه لك
نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل عذرة قال
حكيم ولقد تكبر من بيت ضعيف جيفه وقال آخر يا قريب
العهد بالمخرج لم لا تواضع ممن كان تكرمه لقسه فليعلم ان ذلك
ظل زايل وعارية مسترده والاستطالة اظهار الطول فمن اظهر
ذلك من غير طول فينسلخ من الانسانية ومن أظهره مع الطول
فقد ضيع طول الصلف يقال اعتبار اميل في عنقه والصعر الميل
في خده ولذلك استعمل في دلك الوجه قوله عز وجل لوووهم
والاباء استعصاء النفس بالرفع عن الانقياد للواجب والخيلاء ان
تظن بنفسه ما ليس فيها من قولهم خلت ولقصور هذا المعنى قال حكيم

اعجاب المرء بنفسه ان يظن بها ما ليس فيها مع ضعف فيظهر فرحة
بها والزهو فوق الاستخفاف من الفرح بنفسه فاما العزة فالترفع
بالنفس عما يلحقه غضاضة واصلها من العزاز وهو الارض الصلبة
والمتعزز من حصوله في عزاز لا يلحقه فيه مذلة والعزة مترلة شريفة
وهي نتيجة معرفة الانسان قدر نفسه واكرامها عن الرذائل
والاغراض الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه
واثر الخوف من منازلها وكثير مما يتصور احدهما يتصور الآخر كتصور
التواضع والتضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة
الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن رضي الله عنه لمن
قال له ما اعظمك في نفسك فقال لست بعظيم ولكني عزيز وقد قال
الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه وكما قلنا قالوا التكبر على
الاغنياء تواضع بنبيها ان هذا التكبر في الحقيقة عز نفس ومن
اجل ان هذا التكبر غير مذموم قال عز وجل ويتكبرون في الارض
بغير الحق وقال ابن مسعود رضي الله عنه من خضع لغني لغنى فوضع نفسه
عنده طمعا فيه ذهب ثلثا دينه وشطر دينه

باب المفاخرة

الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان وذلك نهاية الحمق لمن
نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله فاعراض الدنيا عارية فيه

مسرّة ولا يؤمن في كل ساعة ان ترجع المياه بها مياهي بغير
ثراه ويتبجح بما في بطن سوائمه كالفاخر تخرج زينتها بل هو أدون
من ذلك قال بعض الحكماء المرء يفتخر بثلاثة ان افتخرت بآبائك
فالفضل فيهم لا فيك وان افتخرت بآلاتك وثيابك فالفخر للحائك
ولو تكلمت هذه الاشياء لقالت منه محاسننا فمالك من الحسن
وايضا فالاعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع
وظل زائل عن قليل يضمحل شعر انما الدنيا كرؤيا نوّمت
مزنة أهاسا عة ثم انقضت

وقد قال الله عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازّينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرنا
الآية فان افتخر فافتخر بعنى منك ليك غير خارج عنك واذا
اعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاء الله بقاءك وزوالك الله
فناءكما جميعا واذا راقك ما هو لك فانظر الى قرب خروجه من يدك
وبعد رجوعه اليك وطول حسابك عليه ان كنت تؤمن بالله
واليوم الآخر وقد ذم الله تعالى الفخر بقوله والله لا يحب كل
مختال فخور

باب العجب

العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة وهو غير مستحق لها
ولهذا قال العرابي لرجل رآه معجبا بنفسه يزعم انك كنت عند الناس

مثلك في نفسك فاكفف من نفسي مثلك عند الناس فمتى حقيقة
ما يعتد المخاطب وأي ذلك تأتم حسنة متى هو عرف عيوب
نفسه وقد قيل للحسن من شر الناس قال من يرى انه افضلهم
وقال بعضهم الكاذب في نهاية البعد عن الفضل والمرائي اسوأ حالا
من الكاذب لانه يكذب بقوله وفعله والمعجب اسوأ حالا منهما
فانما يرى ان نقص انفسهما ويريد ان اخفاه والمعجب عمي عن مساوي
نفسه فيراها محاسن فيديمها وان المرائي والكاذب قد ينتفع بهما
كما اذا خاف ركابه الغرق من مكان في البحر فبشرهم بجاوزه قيل
ان يجاوزه ليلا يضطربوا بخوف الغرق فيؤدهم ذلك الى العطب
وقد يجد رب الرئيس اذا قصد ان يقتدي به في فعل الخير والمعجب لا
حظ له في ذلك بوجه لانه اذا وعظ المرائي والكاذب نفسهما
تصدقا في تكذيبهما لمعرفتهما ببغضهما والمعجب لجهله بنقصه يظن في
وعظه لغيره فلا ينتفع بمقاله قال الله تعالى افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
بشبهها انهم لا يحسنون صنعا بهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
روي عن ابليس لعنه الله قال اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث فلا أطالبه
بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وكما ان المعجب
بفرسه وان كان رديا لا يروم ان يستبدل به غيره كذا المعجب بنفسه

لا يريد بخاله وان كانت رديئة بدكا واصل الاعجاب من حب الانسان نفسه
قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم ومن عمي وصم تعذر
عليه رؤية عيوبه وسماعها فيجب علينا ان نجعل على اعيننا عيونا
تعرفنا عيوبنا قال عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ اهدى
الي عيوبي ويجب للانسان اذا راى من غيره سيئة ان يرجع
الى نفسه فان راى منها ذلك نزعها ولم يغفل عنها شعر فمن جملت
نفسه قد رأى غيره منه ما لا يرضى والنية قريبة من العجب
لكن العجب يصدق نفسه فيما يظن بها وهما والنية يصدقها قطعا
كانه متحير في نفسه

باب اللذات وفضائلها

اللذة ادراك المشتهى والشهوة انبعاث النفس لنيل ما يتشوقه وهي
ثلاث خسب للهوى الثلث وخسيس للحيوانات الثلث لذة عقلية
وهي التي يختص الانسان بها كلذة العلم والحكمة ولذة بدنية
يشارك فيها جميع الحيوان الانسان كلذة المأكل والمشارب والمناكح
ولذة مشتركة بين الانسان وبعض الحيوان كلذة الرياسة
والغلبة واشرفها واقلها وجودا للذة البدنية فكل حيوان يشتهيها
لكنها ملتبسة وتزداد اخرى بعدا من وجه مداواة من الالام
ومن وجه هي الام وعلى هذا قال الحسن رحمه الله في وصف الانسان
مريض جوعه وقتيل شبعه وجميع اللذات تنقسم عشرة اقسام
مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشم ومسمع ومنظر ومركب وخادم ومرفق

من الآلات وما شبهها وقد جعل ذلك سبعة وادخل المركب والخادم
والمرفق وما جرى مجراه دخلا في جملة المنظرات وعلى ذلك ما روي عن
امير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه وقد رآه
يتنفس فقال يا عمار على ما ذا تتأسف ان كان على الآخرة فقد رخصت
تجارتك وان كان على الدنيا فقد خربت صفقتك فاني وجدت
لذاتها سبعا المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات
والمشمومات والمسموعات والمبصرات فاما المأكولات فافضلها العسل
وهو صبغة ذباب واما المشروبات فافضلها الماء وهو مباح الممكن
موجود والعز مفقود واما المنكوحات فحسبك ان المرأة تزين
احسن شئ منها ويراد اقبح شئ منها واما الملبوسات فافضلها الديباج
وهو نسج دود واما المشمومات فافضلها المسك وهو دم فأر واما
المسموعات فربح تهب في الهواء واما المبصرات فخيالات
صايره الى الفناء وقد ذكر الله عز وجل اصل ذلك في قوله زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة
والمشار اليه فحرث الدنيا من الاشياء التسعة على ما ذكر امير
المؤمنين والعمر على ما ذكر غيره وكلا القولين في الحاصل واحد
والمراد بالنساء اقناء هن والاستكثار منهن وبالبنين الذكور من
الاولاد دون الخدم وبالانعام الازواج الثمانية وبالخيل المسومة

ج

المسامحة منها والمستعد واعلم ان التي هي ضرورية الانسان من
هذه اللذات ولا قوام له في هذه الدنيا الا بها مما هو مشترك
بينه وبين جنسه من الحيوان وهو المأكل والمشرب ويجمعها اسم الغذاء والمنكح
فبالغذاء بقاء الاشخاص وبالنكاح بقاء الانواع ولذلك صارت الحاجة
اليها ضرورية وصار تناولها لا بد للناس منه وسائر اللذات
قد اختص بها الانسان وليس بضروري لكن تناولها وبانفاق المأكول
من هذه الملاذ هو الاشبه السماع لكونه من وجه لذة روحانية
والبناء لكونه دالا على الهمة الرفيعة ومتى كانت الشهوة متناهية عقلية
كانت ام بدنية قيل لها الحرص فالحرص قد يكون محمودا ولذلك قال تعالى
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ومتى كانت الشهوة للقنيات
قيل لها الشره سواء كان مالا او طعاما او نكاحا ومتى كانت للطعام
قيل لها النهم واذا كانت للنكاح قيل لها الشبق وبلاشتها الى
النهم والشره مذمومة وما روي في قوله منهومان لا يشبعان
منهوم بالمال ومنهوم بالعلم فانهم في العلم استعمال وعلى سبيل
نفسه ما يقصر نواه عنه فينبت قال صلى الله عليه ان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى

باب فيما يحسن تناوله من المطعم وفيما يقبح منه

الغذاء هو ان احدهما لا يستغنى عنه في قوام البدن كالطعام الذي
به يتغذى والما الذي به يروى والانسان اذا تناول من ذلك

مقدار ما لا يمكن ان يبلغ باقل منه على ما يجب كما يجب فمعذور بل مشكور
ما حمله على هذا ما روي عن اكل الصالحين تنزلا بركة وان حمله فحقه
ان يتناول ما يضطر عالم بمقدار ماله وان يرى ادخاله في
جنة كدخول المسراح وتحقيق ان نسبة الانسان الى الفواكه
والثمار نسبة الجمل الى الروث فلو نظر الشجر لقال لك انا كل
فضلة كما ياكل الجعل فضلتك فالخير اذا استطاب فضالة
الانسان فما هو الا كاستطابتنا لقاط الشجر وهنا يعلم ان شرف
المطعم والمشرب لنا بالاضافة لا بالاطلاق فاني ايها الانسان
عن منابك الدثار وحل البصيرة واستعمل الاعتبار تجد صدق ما
قلته لك ومن تناول من الطعام اكثر من ذلك كره طبا وشرعا اما طبا
شعر فان الذي اكثر مما يحتاج اليه من الطعام او الشراب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء
وعود كل جسد ما اعتاد قال بعض اطباء العرب قارك
النبي صلى الله عليه وسلم في الطب شيئا الا اتى به في هذه الكلمات
الثلاث واما شرعا فقد قال عليه السلام ما ملأ ادمي وعاء اخبث من
بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وانما كان البطن مبغوضا لله
وهو مبغوض للشهوة
وهو الشهوة داعية للهوى والهوى اعظم جند للشيطان ومن
اثر موبه وانتشر في بدنه حل في كل عضو منه حرف بعدده وشعبه
منكرة جنود الشيطان ولو سلط الشيطان اذا تسلط على الانسان شباه

ربه وصرفه عن بابه وقال الحكيم ما بالك مع كبرك لا تنفض يدك
وقد اهدّ فقال لانه ربيع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجح بي
فيورطني وان احمله على الشدايد احبّ اليّ من ان يحملني على الفواحش
والمرتع الباني من المطهر فاستتبعه ولو توهم مفقودًا لم يحتمل
بافتقاد البدن واعظمها ضررًا المسكر فنفعه ليس بضروري وتناوله
تسهيل لطرق الشيطان الى تبييح الفواحش التي يعيبه واثاره سلطان
الهوى كما قال عز وجل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء الآية وقيد حيث المرتب والملاهي لكن العفة
والحكمة فان قيد فقد قال الله عز وجل قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فلم يخص من الحلال قدرًا دون
قدر وجنسًا دون جنس قيل الطيب التام الطيب من الذي جمع اللذة
والنفع والفضيلة وذلك هو قدر المبلغ به على ما يجب وكما يجب الاوقات
انه كيف ذم من لم يبتغ ذلك قصدًا فقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال تعالى والذين كفروا
ياكلون ويتمتعون الآية ومن الدلالة على خسة كرة الاكل
على كل حال ادعاء عامة الناس الاستغناء بالقليل وقلة وجود
المفتخر بكرة الاكل وقيل في رقة ما يدخل بطنه فتميته ما يخرج
منها وقال الشاعر وانك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك
نالا منتهى الذم اجمعا وقال صلى الله عليه حسب ابن آدم لقيمات

يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب
وثلث للنفس وقال عليه السلام المؤمن ياكل في معا واحد
والكافر ياكل في سبعة امعاء فنبه من الخبر انه لا يستحب
للانسان الا الاكل في سبع بطنه ومن ذكر من اللقيمات
وذلك دون عشر لقيمات لان الجم بالالف والالي لما دون عشر لقيمات
ثم رخص لمن غلب عليه لهم ان يبلغ الى ثلث بطنه فحصل من ذلك ان
اكل المؤمن في اليوم يجب ان يكون سبع بطنه او ثلثه

باب فيما يحسن من النكاح وما يقبح منه

قد تقدم ان النكاح ضروري لحفظ النسل وبقاء النوع كما ان
الغذاء ضروري في حفظ الشخص قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا
وقال خير نساء الولود الودود وشر من العقيم وقال تزوجوا
الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم وقال سوداء ولود خير من
حسناء عقيم وقصد النسل يفيد اباحة المرأة في محاسنها
وعلى هذا نبه قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم
فنبه انه لا يجوز اتيانها الا في المحرث وكره العزل توكيدًا للمقصود
من الجماع وعلى ذلك دل قوله عز وجل وابتغوا ما كتب الله لكم ويجري
النكاح على ضربين احدهما على الوجه الذي سنه الشرع وذلك اما محمود
وهو ان يتحاطه قاصدًا به النسل ومزيلًا على ما يجب لوجهه وسكنا

لنفسه فالمآل اذا اجتمع في الظهر في مقر تجري مجرى مدة في فتح جسم
يعظر بحبسه لضرر يدعو صاحبه الى ما هو في الشرع محرم واما مكروه طبا
وان لم يكن قد ذكر كراهته شرعا وذلك ان سخاطة المرء فضلا عما تقدم
ذكره فانه ينفذ العمر ويستنفد القوى ويوسع اوعية المني ويجلب اليها
دما كثيرا ويزيده شهوة واعظم زيادة فيه ان يلحق صاحبه بافواليها مم
من ليموس والبثرات ونحوها مما يوصف بالشين والضرب الثاني
هو ان يكون على غير الوجه المشروع وذلك ضربان احدهما تعاطيه في المحرث
ولكن لا على الوجه الذي يجب وكما يجب كالزنا ومد عظر الله تعالى في
امره فقرنه مرة بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال عز وجل والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس الآية ومرة بالشرك فقال
والزاني لا ينكح الا زانية وسمى ذلك سفاحا من حيث ان المجتمعين
عليه كما غرض لهما سفح الماء للشهوة كمن صنع ما في غير محرثه
والثاني تعاطيه في غير المحرث كاللواطة وهي اعظم فرية من الزنا لان
وضع البذر في المحرث على غير الوجه الذي يجوز ان يزرع فيها وفي
اللواط مع ذلك تضييع البذر فمتعاطيها ممن قال عز وجل فيه ونهلك
المحرث والنسل ولهذا وصف الله تعالى قوم لوط بالاسراف فقال عز
وجل اينكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون
واما العشق المهوي فحمقة جهل مما وضع الجلة الجماع وتجاوز الحد
البهائم في عدم ملكة النفس وذم الهوى ان المعشوق لم يرض بارادة

لذة الباه التي هي من اشنع الشهوات حتى ارادها من موضع واحد فازداد
بذلك عبودية وذلة على ذلة والبهيمة احسن حالا منه لانها اذا اسقطت
الاذى عن نفسها بالنقاد سكنت فصارت الى الراحة وهو لم يرض
بذلك حتى استعاب بالعقل في خدمة الشهوة واستخلابها وانما اعطاه الله
العقل ليمنع به الشهوة القبيحة البهيمية لا ليجعله خادما لها
وساعيا في جمعها ومعاطي العشق حال كل جاهل فارغ سيما اذا
نظر في اخبار العشاق وما بهم فربما يؤدي العاشق الحال الى
الدق والذبول بل الى الموت شعر لو فكر العاشق في منتهى
حسن الذي يهواه لم يبد ع

ومن اثار شهوته فهو كمن يثير هياجا عاديا وسباعا ضاريا ثم
يلتمس دفاعها والخلاص منها وكفى بما يهتاج من باعث الطبيعة عاملا
على ذلك عن اثاره بالفكر والروية فمن اعان الطبيعة على ذلك فهو كما قيل
كلما ابتنى الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

وقال حكيم لتلميذ له متهوك جاء يستشيره هل تشتهي ان لا يدان تفارقها
يوما ما فقال لا قال فاجعل تلك المرأة المتوقعة في ذلك اليوم
في يومك هذا وارخ ما بينهما من الخوف المنغص وصعوبة معالجة ذلك
بعد الاستحكام وانضمام الالف اليه وقيل لبعض الحكماء ما العشق
فقال جنون لا يوجر عليه صاحبه وسئل آخر عنه فقال مرض نفس
فارغة لا همة لها وقال آخر هو سوء اختيار صادف نفسا

فارغة فاشار وكلم الى معنى واحد

باب في ذكر العفة

العفة لا تتعلق الا بالقوة الشهوية ولا تتعلق من القوة الشهوية الا بالملاذ الحيوانية وهي المتعلقة بالغار بن البطن والفرج دون الاوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة فان قيل فاستطابة الرائحة قد تكون للبهائم الا ترى ان الذيب يستطيب ريح الغنم والكلب ريح الارنب قيل ان استطابتها لذلك استطابة الاكل والذي فلناه من الرائحة هو ما يستطاب لرائحة الجسم غيره وما هو لاجل احد الغارين في جسمه كما استطابة الانسان ريح الكباج فثبت ان العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهي حالة متوسطة بين فواتح هوى الشر وبين تفريط موجود الشهوة وهي رأس الفضايل من القناعة والعفة والزهد وغنى النفس والسخاء وعدمها بعضي عن جمع المحاسن ويعرى عن لبوس المحامد ومن اتم بتمة العفة قامت العفة له بحجة ما سواها من الفضايل وسهلت له الوصول الى المحاسن واسها تعلق بضبط القلب عن تطلع الشهوات الدنية وعن اعتقاد ما كمون جالبا للبغي والعدوان وتمامها تعلق بحفظ الجوارح فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني وسوء الظن الذان مما اس كل رذيلة لان من تمنى ما في يد غيره حسده فاذا حسده عاداه واذا عاداه نازعه واذا نازعه قتله ومن اساء الظن عادا وبغى وتعدى ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعا فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم

على بعض وقال يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الآية فامر فيها بقلع اصل شجرتين تتفرع عنهما جل الرذايل والمآثم ولا يكون الانسان تام العفة حتى يكون عفيفا بيديه واللسان والسمع والبصر فمن عدمها في اللسان استهزاء والتحسر واتباعه والهمز واللمز والنميمة والسباب بالالقاب ومن عدمها في البصر مد العين الى المحارم ونتيجة الجهاة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة ومن عدمها في السمع الاصغاء الى المسموعات القبيحة وعماد عفة الجوارح كلها ان لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص كل واحد منها الا في ما يسوغ فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوى واعلم انه لا يكون المتعفف عفيفا الا بشرايط وهي ان لا يكون تعففه عن الشيء انتظار الاكرمنه او لانه لا يوافقه او لحمد شهي او لاستعار خوف من عاقبة او لانه ممنوع من تناوله او لانه غير عادف به لفقره فان ذلك كله ليس بعفة بل لما هو اصطياد او تطبب او مرض او حرم او عجز او جهل وترك ضبط النفس عن الشهوة اذم فمزيلها عن الغضب فالشهوة مغتاله مخادعة والغضب مغالبة والمتعرى عن قتال المخادع اردى حالا من المتعرى عن المغالب ولهذا قيل عبد الشهوة اذل من عبد الرق ولهذا ترى قليل الجهل عبيد شهوته بديهة لهم سنة رديئة اولها يدعون صحتها ومن لا يضبط نفسه للغضب لا يكاد يجهل عبيد غضبه فهو شبيه بديهة لهم سنة رديئة يتعاطى وهم يعرفون قبحها وليس من يتعاطى قبحها يعرفه كمن يتعاطاه وهو

يظنه حسنا والله أعلم بالصواب

باب القناعة والزهد

القناعة الرضا بما دون الكفاية والزهد الاقتصار على الزهيد أي القليل
ومما يبقان بالكسر القناعة يقال اعتبارا برضى النفس والزهد يقال
اعتبارا بالمتناول لحظ النفس وكل زهد حصل لا قناعة فهو زهد لا زهد
ولذلك قال بعض المحققة القناعة اول الزهد بنيتها أن الإنسان
يحتاج أولا إلى نزع نفسه وتضييق القناعة ليسهل عليه بعد ذلك
الزهد والقناعة في الحقيقة هي الغنى فالناس كلهم فقراء من
وحسن أمد كما لا فقارهم إلى الله تعالى كما قال عز وجل يا أيها الناس
أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فأغناهم أقلهم حاجة
ومن شد مفاقرهم بالمقتنيات فلم ينفد لها طمع فانه لمن يرفع
الفقر بالفقر ويسد الخرق بالخرق ومن سدها بالاستغناء عنها
بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضرورياته فهو الغني والقريب من
الله كما قال تعالى وحكى عن طالوت عليه السلام ان الله مبتليكم
بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يشربه الآية وليس الغني
موعدم الاحتياج فلا ريب ان اضاهم اقلهم حاجة ولذلك كان
الله أغنى الأغنياء اذ ليس له حاجة بشيء وعلى هذا نبه النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس
ومن اتباع الحكمة غنى النفس ما يكفيك من سد خلته فان زاد شيئا
صار ذا كل الغنى فقرا والمخير بين ان يستغني عن الدنيا وبين أن

يستغني بها كالمخير بين أن يكون مالكا او مملوكا وقويا او ضعيفا ومعافى
او مبتلى وحيا او ميتا فمتى اختار الاستغناء فقد اختار أن
يكون مملوكا وضعيفا ومبتلى ولهذا قال صلى الله عليه تعس
عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
وقيل لحكيم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغتم فقده

واعلم انه ليس الزهد ترك المكاسب في شيء كما توهمه
قوم أفرطوا حتى قربوا من مذهب المانوية والبراهمة والرهبانية فان ذلك
يؤدي الى خراب العالم ومعاذ الله عز وجل فيما قدر ودبر وقد تقدم
ذلك والزهد من وجه جزء وهو وجود والجود ضربان جود
بماله وجود ببدنه كالمجاهد والعامل وكل واحد منهما اما متبرع او
واجد بالاجرة وكل ذلك اشرف منها وما يحصل الزهد في الحقيقة الا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف عيوبها
وافاتها ويتحقق ما يستغنى عنها ويعرف الآخرة وافنان اليها ولا جل ان
لابد في ذلك من العلم قال تعالى قال الذين يريدون الحياة الدنيا
الى قوله الا الصابرون وان الزاهد في الدنيا راغب في الآخرة
منو يبيعها بها كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بان لهم الجنة ثم ومحال ان يبيع كيس عينا بان لا اذا عرفها
وعرف فضل المبيع على المبيع قيل لبعض الزهاد ما ازهدك
واصبرك فقال اما زهدي فرغبة فيما عند الله وما علم مما انت فيه
واما صبري فلقلتي في النار

باب الورع

الورع أصله جبن وضعف ومن يستعمله في كل واحد منهما لكن جعل
في عرف الشرع عبارة عن الترك الناشئ لا عن اعراض الدنيا وذلك
ثلثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة
وندب وهو الوقوف عن الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة
وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل الضرورات وذلك
للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يكمل العبد من المتقين حتى يدع كلا باس به مخافة ما به باس وقال
باعتبار المنزل الثاني لما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما اشد
الورع فقال عليه السلم ما ايسر الورع اذا شككت في شيء فدعه

الفصل الرابع

فيما يتعلق بالقوى الغضبية

باب ما ينبع من القوة

الغضبية الحمية وهي قوة الغضب متى تحركت تحرك دم القلب فتولد
منه ثلثة احوال وذلك انها اما ان تتحرك على من فوقه او على
من دونه او على نظيره فان كان ذلك على من فوقه ممن يظن انه
لا سبيل له الى الانتقام منه تولد منه انقباض الدم وذلك هو الجزع
وان كان على من دونه ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه تولد
منه ثوران الدم من القلب ارادة للانتقام وذلك هو الغضب وان كان
على نظيره ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه تردد

الدم بين انقباض وانبساط وذلك هو الوتر والحقد والكمون الغم
والغضب بالذات واحدا واختلافهما بالاضافة سئل ابن عباس رضي
الله عنه فقال مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يعلو
عليه أظهر غضبا ومن نازع من هو على يعلو عليه كمد حزنا ومن هذا قال
الشاعر فحزن كل اخي حزن اخو الغضب والانبساط
دم القلب للحقد فيحمر وجهه نارا وتنتفخ اوداجه كنار تلهب
ويسود وجهه نارا وذلك اذا كثر واشتد غضبه كنار في نار
فيسود وجهه وانقباض دم الجزع غير ظاهر الجلد واجتماعه في القلب
يصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك ولتردد دم الحقد من هذه
الاحوال يحمر ويصفر ويسود والجرد هو الغضب لكن يستعمل اذا
كان معه فضل المغضوب عليه ولذلك يقال جرد الاسد

باب انواع الصبر ومدحه

الصبر ضربان جبلي ونفسي فالجبلي هو تحمل المشتاق بقدر القوة
البدنية وبهائمه معلومة وانما ذكرها لذي الجسوم الخشنة وليس ذلك
بفضيلة تامة قال الشاعر والصبر للارواح يعرف فضله صبر
الملوك وليس بالاجسام وذلك في الفعل كالمشي ورفع الحجر
وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع والثاني
نفسي وبه يتعلق الفضيلة وذلك ضربان صبر عن تناول مشتهى
ويقال له العفة وصبر على تحمل مكروه او محبوب وذلك تختلف

اسماء تختلف باختلاف مواقعه وذلك اذا كان في نزول مصيبة
فانه لم يعد به اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع والحزن
وان كان في احتمال عي فقد سمي بضبط النفس ويضاده الرقة والبطر
وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان
في امساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلما ويضاده التهور وان
كان في تأنيه مفتاح سمي سعة الصدر ويضاده ضيق الصدر
والغضب والتبرم وان كان في امساك الكلام في الصمت سمي كتمان
السر ويضاده الافشاء وان كان عن فضولات العيش سمي قناعة
وزهدا ويضاده الحرص والشره ولكون الصبر عاما قال عز وجل والصابرين
في البأساء والضراء الآية فذكر انهم يصبرون في البأساء اي الفقر
وفي الضراء اي المصيبة وحين البأس اي المحاربة قال بعضهم
ضبط النفس يقال في الاشياء المذمة والصبر يقال في الاشياء المحمودة
وقال بعضهم بل هما في الاشياء المرادة على سواء والاصل ان قيل ما معنى
قوله عليه السلام الصبر نصف الايمان قيل لما كان جميع المحامد ضربين
تركا للشر ويعبر عنه بالصبر وفعل الخير ويعبر عنه باستكمال الصبر الذي
هو ترك الشر نصف الايمان

باب الشجاعة

الشجاعة ان اعتبرت بي في النفس صرامتها والقلب على الاهوال
وربط الجأش في المخاوف وان اعتبرت بالفعل فالاقدام على
موضع الفرصة وهي فضيلة بين التهور والجبن وتولدها من الغضب
والفرق اذا كانا متوسطين فان الغضب قد يكون مفرطا كمن يتحدم
لشيء من اشياء صغيرة وقد يكون مفرطا كمن لا يغضب من الافتراء
على حرمه وشتم ابويه وقد يكون متوسطا على ما يجب في وقت
يجب وبقدر ما يجب وكذلك الفزع يكون مفرطا فيتولد منه الجبن
الهالع ومفرطا فيتولد منه الوقاحة او الجمود كمن لا يفزع من
شتم ابويه وتضييع حرمه واصدقائه وقد يكون متوسطا كما يجب
وبقدر ما يجب ولكونهما عن الغضب والفزع على ما ليتبين محمودة
ومذمومة صارا بحدان تارة وبذمان اخرى فان الغضب المحمود في
نحو قول الشاعر فزعت لظلمه مما محمودان والتهور هو الثبات
للمذموم في الامور المغضبة وانواع الشجاعة خمسة سبعية كمن اقدم
لثوران غضب وتطاب غلبة وبهيمية كمن حارب توصلا الى اكل
او نكح وبحرية كمن حارب مرارا وظفر فجعل ذلك اصلا يغلبه
وجهال كمن يحارب ذبا عن الدين وكلية وهي ما يكون في كل ذلك
عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر ما يجب وعلى ما يجب الاتي أشد
يحدث اقدم على كافر غضبا لدين الله وطمعا في ثوابه او خوفا من
عقابه او اعتمادا على ما رأى من انجاز الله وعده في نصر اوليائه
فان كل ذلك محمود وان كان محض الشجاعة ان لا يقصد بالاقدام
حز ثواب ودفع عقاب فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم
والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحمية واخلاص الدين وبين

المقدم لغير ذلك ان الخشية لغير الحكمة والاخلاص يخاف الموت اكثر
مما يخاف المذمة الصادقة والمقدم للحكمة والاخلاص بالضد من
ذلك فانه يختار الموت الجميل على الحياة الدنيئة ولذلك قال امير
المؤمنين عليه السلام ايها الناس ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده
لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على فراش
ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة النفس بالقول وذلك بالتعلم ثم
بالفعل وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية ومجاهدة الغير بالقول
وذلك تدبير الحق وتعليمه وبالفعل وذلك مدافعة الباطل ومقاطعته

باب اسماء انواع الفزع

الفزع والجزع والغرق منها وما يحمد منها وما يذم
الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما يعرى من الشئ المخيف والجزع
ما يعرى من الشئ المولم والفزع لفظ عام سواء كان عارضا عن
امان او دلالة او حاصلا لاجل ذلك ومتى كان ذلك من غير فهو
الحياء والخجل ومتى ما كان عن شئ يضر فهو الفرق والذعر ومتى كان
لفوت محبوب فهو الاشفاق ولهذا قال حكاية عن اهل الجنة انا كنا
قبل في اهلنا مشفقين والخوف توقع مكروه عن امارة والخشية خوف
يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة بهذا لذلك قال تعالى من خشي الرحمن
بالغيب الوجل استشعار غم خاطر غير ظاهر ليس له امارة قال
الله تعالى الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة الآية والرهبة

خوف مع تحرز واضطراب ولهذا قال الله عز وجل اوفوا
بعهدي اوف بعهدكم والهيبة رهبة لما يخضع عن استشعار
تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر
اهابك اجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وهذه الاشياء قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار الامور
الاخروية قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وقال واياي فارهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء
والخوف من الله ليس مثاره الى ما يخطر بالبال من المرعب كما يستشعر
الانسان الرعب من الاسد وانما مثاره الى ما يقتضيه الخوف وهو
الكف عن المعاصي ولذلك قيل لا يعذب خائفا من لا يزال الذنوب
وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الآية اي لا
تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه خوفي ان قيل كيف مدح
المؤمن بالحزن الى الخوف مع قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون قيل اما الممدوح به منهم مقتضيا مما وذلك بالمعاملات
واما المنفيات عنهم فهما اللذان يكونان من الاسرار

باب مداواة الغم وازالة الخوف

حق الانسان ان يعلم ان هذه الدنيا زنقة المشارب جمة المصائب ثم مزلة
للبرية اضغاث البلية فيطامع كل لغة غصة ومع كل جرعة شرقة

فهي عدوه محجوبه كما قال ابو نواس انا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
لدي عن عدو في ثياب صديق

وكما روي عن الحسن انه قال ما مثلنا ومثل الدنيا الا كما قال كثير
اسيء بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
فما احد منا الا وهو في كل احواله غرض اسهم ثلثة سهم بلية
وسهم لذية وسهم منية تناضله الافات من كل جانب فتخطيه احيانا
وطورا تصيبه وقال بعض الحكماء اسباب الحزن فقد محبوب
او فوت مطلوب ولا يسلم منهما احد لان الثبات والدوام معدومان
في عالم الكون والفساد فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه فهو غير
عاقل لانه يريد ان يملك ما لا يملك ويوجد له ما لا يوجد فحق
المرء ان لا يخلي قلبه من اعتبار فيما يرى من ارتجاع ودايعها من
اصحابها وحلول اقوام عما بارتجاعها وما احسن ما قال بن الرومي
الم تر ان الدهر من قبل كونه كفاحا اذا فكرت في الخلوات
فما لك كالرامي من امن نبله اسنة غير مرتقبات
فان قلت مكروها اتانا بفجاءة فما عوضت نفس مع الحذرات
وما عوضت نفس سلوى وقد رأت عظاة من الايام بعد عظات
اذا ابعثت اشيا قد كان مثلها قديما فلا تعتدها بعثات
ثم من حقه ان يقلل من اقتناء ما يورث الحزن فقده قيل لحكيم لم لا
تغتم قال لاني لا اقتني ما يغمني فقده قال الشاعر واحسن

وَاعْلَمْ ان الجزع على ما فات لا يلم ما تشعث ولا يرم ما انكث
كما قال وهل جزع محمد على فاجزعا فاما غمه على المستقبل فلا يخلو
من ثلثة اوجه اما في شيء ممتنع كونه او واجب كونه او ممكن كونه
فان كان على ما هو ممتنع كونه فليس ذلك من شان العاقل وكذلك ان كان
من قبيل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العبيد وان كان ممكنا
كونه فانه وان كان من الممكن الذي لا سبيل الى دفاعه كالموت قبل
الهرم فالجزع لا يجدي واستجلاب غم الى غم وان كان من الممكن الذي يتوقع دفاعه
فان وجد ان يحال لدفاعه بعقل غير مشوب بتخبيب فان دفعه والا تلقاه
بصبر وتحقيق معنى قوله عز وجل ما اصابكم من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ما جرى في خلقه وسبق
في علمه لا سبيل الى ان لا يكون فما تحته عليه الثوب وَاعْلَمْ
ان الذي يغر الناس حسن ظنهم بالخسار اوقات لو بالموها بعين البصيرة
لتحققوها بما قال امير المؤمنين علي عليه السلام ما قال الناس
لتوم طوبى لكم الا وقد جاءهم الدهر يوما شوهاء
ان الليالي لم تحسن الى احد الا اتت اليه بعد احسان
واما سيب الانعام بالموت فلا ينفك من اربعة اوجه اما لفوت شهوات

نفسه وبطنه وفرجه واما على ما يخلفه من ماله واما على جهله بما له
واما خوفا لما قدم من عصيانه فان كان ذلك همه بطنه وفرجه فليعلم
ان ذلك مشتهى آليعا بله بدابته فان الانسان لا يسئل انا لطعام
ح يجوع واجوع دابته وقوت منه وشبعه دابته وقوت منه فمثل من
يجب الجوع ليستطيب بعده الاكل كمن يستطيب العود في الشمس ليتبا له
الجرب ثم يستطيب العود في الظل ومحبة ذلك رفاعة لا تحد ولا تعد
وان كان غمه على ما يخلفه من ماله فليعلم بخساسة الاعراض الدنيوية
وكونها مجمع كل بلية واغفاله عن نفايس الاملاك الحقيقية التي وعد
المتقون لها وان كان غمه لجهله بماله فمداواته العلم والمعرفة الحقيقية
الى تزيد حال الانسان بعد الموت كما قال صلى الله
عليه وسلم كاني انظر الى عرش ربي بارزا والى اهل الجنة يتزاورون
فيها والى اهل النار يتعاوون فيها وان كان خوفا لما كان من عصيانه
فدواؤه المبادرة بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعل الله له
اليه سبيلا من تلافي فارطه ووعده التائبين ح

باب احوال الناس في محبة الموت واحتمال القلة المبتلاة به

الناس في ذلك على ثلث اضرب حكيم يعلم ان الحياة مستعارة والموت
يعقبها وان الانسان في هذا العالم وان طال فيه لبثه فهو كلمحة برق
خطفت في اكناف السماء عادت للاختفاء وانه في دنياه كمبعوث

الى تخريج خطه وبلد يسوءه يراعي ما استرعى ويتربص عاية اذا دعا
ولا يكاد يخرج منها الا بعد ما بينه من حد مهد به والا زوا د
من تقربه مع الاشفاق مما يقول ويئال له كما قال بعض الصالحين
وقد رئي منه جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال جزعي ان
اسلك طريقا لم اعهد واقدم على رب لم ار وما ادري ما يقال لي
والماني جسد انشر بهذا العالم فالفه وان كره فسبيله سبيل من
الف بيتا مظلما بدا وله يغيره فهو يكره منه الخروج فان كان قد
كره دخوله فيه كما قال الشاعر دخلتها كارها بيض لها فلما الفتها
خرجتها كارهتها وما حب الديار شغفن لكن امر العيش فرقة وبينا
وبحق ما قيل لو رضي الناس بارزاقهم كرضاهم باوطانهم لاستراحوا
احد وقد انهنا حتى خرج عن دنياه واطلع على ما اعد الله للصالحين
مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر شر بخلاصه
كما حكى الله تعالى عمن استقر به القرار في جنة النعيم حيث قال الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الثالث من طال
عمي البصيرة مستطيل السريرة بما ان تكبه من انواع الجرائم رضي بالحياة
الدنيا واطمان بها ويئس من الآخرة كما يئس الكفار من اهل القبور
فاذا خرج منها الى دار الخلود اضر ذلك به كما يضر رياح الورد بالجعل
فاذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلى ومصاحبة الملا
الاعلى ومنادمة اولي النهى كما قال تعالى ومن كان في هذه اعمى

فهو في الآخرة امي ولمثل هذا سئلا قال صلى الله عليه الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر واجدر ان من رأى في هذا العالم بعذ آياته من العلم
والعمل الصالح ان لا يشتاق اليه بقلبه خروجه حسنة وان خرج كارها كما
لا يشتاق الى الرجوع الى بطن امه بعد الخروج مشهود لك على امته
خرج من بطن امه كارها باكيا وقد قال بعض الفقهاء اول ما ينال
الصبي غمه عند سقوطه لما يضغطه من مضيق مخرجه ويصيبه من الم الهواء
فينوح والوجع يورثه الغم والغم يحمله على البكاء وذلك ان للصبي
كل ما يكره للحيوان غير النطق من اللذة والالم والجوع والعطش
لما تؤذن الدنيا به من ضروفها يحزن بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها فانه لا ينسى مما كان فيه وان غدا
قال ابن عباس رضي الله عنه ما اصاب الماء والموت خيرا من الحياة ان الله تعالى
قال في الاخبار وما عند الله خير للابرار وقال في الاشراد انما نملي
لهم ليزدادوا اثما وقيل الصلاح اذا مات استراح من الدنيا والطالح
اذا مات استراحت منه الدنيا قال بعض الصلحاء من قال لغيره صانك
الله من نوب الايام وصروف الزمان فانه يدعو له بالموت فالانسان لا
ينفك من ذلك الا بعد خروجه من الدنيا وفنائه من دار الكون والفساد
قال بعض الصوفية حق على كل الموت ان يحبه المسلم من بين الملائكة
فضل محبة من حيث انه احد اسباب تعويضه الحياة السنية الابدية
من حياته الدنية الدنيوية ولهذا امرنا ان نقول في دعائنا اللهم

صل على جبرئيل وميكائيل وملك الموت فان جبرئيل وميكائيل مما سببان
لا يتأتيان من ذلك العالم بما فيه صلاحا من دار الكون والفساد وملك الموت
سبيل خراجا من دار الكون والفساد فاذا حقه عظيم وشكره لا نعم
وقد حكى ان قوما من اوائل كانوا يعظمون زحل بالتقديس والتسبيح وقالوا
انه لا يميز على الحياة العرضية بل هو سبب لانقاذنا من الدنيا الدنية
قال بعض الاولياء في مناجاته الهي ان سألتك الحياة فاني اخاف
فقد رغبتني في البعد عنك ورغبت في القرب منك وقد قال نبيك
وصفيك من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه وقال بعضهم ان كان من قلة الحاجة الدنيوية غنى فتى انقطاع
الحاجة اليها كلها الى الاكبر ولا انقطاع لها الا بمفارقة الدنيا فالدنيا
سبب فاقتنا والعبودية لغير الله وقبيح بالعاقل صحبة الفاقة
والتخصص بعبودية غير رب العزة والموت سبب كمال الانسان ومن
رغب عن كماله فهو من الذين خسروا انفسهم ومن كره الموت اخرج عن
الدنيا كارها فيكون كعبد آبق رد الى مولاه مأسورا او قيد الى
حضرة مهتوكا وشتان بين عبد دعاه مولاه فاتاه طوعا وعبد آبق
اتى به قسرا وحق للعاقل ان يكثر من ذكر الموت فذكر الموت يقرب
اجله ويعده ثلثا القناعة بما رزق والمبادرة بالتوبة والنشاط
في العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم
اللذات فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة

الا ضيقها عليه وقيل ذكر الموت يرد فضول الامل ويكف غرب اللسن
ويهون المصاب ويحول بين الانسان والطغيان

باب السرور والفرح

السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمانينة البعض عاجلا وآجلا وذلك في
الحقيقة انما يكون اذا لم يخف زواله ولا يكون الا في لقنيات الاخروية
وقيد الازهري في الدنيا على الحقيقة والفرح انشراح الصدر بلذة
عاجلة غير آجلة وذلك في اللذات البدنية الدنيوية قال
عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم والفرح يدعو
الى انشاط والنشاط الى المرح والمرح داعية الاشر والاشر مقدمة
البطر واكثر ما يظهر ذلك في الاحداث والصبيان بقدر ما يغلب عليهم
من العقل وقد ذم الله عز وجل بقوله وفرحوا بالحياة الدنيا وقال
ان الله لا يحب الفرحين وقال لذلكم بما كنتم تفرحون في الارض وقال
كل حزب بما لديهم فرحون وقد يسمى الفرح سرورا والسرور فرحا
لكن على نظر لا يعتبر الحقايق ويصور احدهما بصورة الاخر ولذلك قيل
من طلب السرور بكاء جاءه من حيث لم يتسلم

باب العذر والتوبة

المذنب اذا عوتب او خاف العتب لا يخلو من وجهين اما ان يكون مصرا
او معتذرا فاما المصر فقد يشتفى في بعض الاحوال الخائفة عنه
وقد سمع رجل حكيما يقول ذنب الاصرار اولى بالاغتفار فقال صدق

ليس يضل من يغفى عن السهو الفتى كم يغفى عن العهد الخليل واما
المعتذر فمن المظهر لما يحوجه الى الذنب وجميع المعاذير لا تنفك من ثلثة
اوجه اما ان يقول لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيبين ما
يخرجه عن كونه ذنبا او يقول فعلت ولا اعود فمن انكر وانيا عن كذب
ما نسب اليه فقد برئت ساحته وان فعل وجحد فقد يعد المعاذير
عند كرمها واياه فضل الشاعر تغابى وما بك من غفلة لفرط الحياء
وفضل الكرم ومن اقر فقد استوجب العفو لحسن ظنه وقد قال
بعض البلغاء لجاذع عز من لم يسلك بالاقوار طريقا حتى اخذ من
رجا يدر فيقا وان قال فعلت ولا اعود فهذا هو التوبة وحق لمن اراد
ان يهدى بالباري جل ثناؤه في قبولها وللتوبة شروط فرضا ونفلا
فرضها ترك الذنب مع ترك العود اليه وثقلها التاسف على ما سلف من
الذنب والاستغفار وتركه بعض المباحات مقابلة لما كان من
عصيان واعلم ان للذنب للتائب اذا تاب توبة نصوحا فضيلة
على من لم يذنب وذلك من ثلثة وجوه الاول من خوف العيوب
والذنوب وعرف مداخل الشيطان على الانسان فتكون اهدى
الى الاحتراز فقد قيل لحكيم فلان لا يعرف الشر فقال ذاك
اجدر بان يقع فيه والثاني ان المذنب التائب محتشم وقد غلبا الخوف
على قلبه فيأتي بابه موكلا خايفا منكسرا ولو لم يذنب ربما يعجب بنفسه
ويدل بعمله وليس خدمة عبد ملكا وخرج عليه خارجيا ثم عاد اليه وحلا
فتوقف عليه كخدمة من ادل بطاعته والثالث ان التائب يجلب الدمع

شطريه خيره وشره خلوه ومرضه أرفى بالمدينين وافوقهم واصلح
للرياسه ممن يظن الذنب شيئا كان جاء عن طبعه الانسانيه فيحب
بتقه ويزدى بغيره

باب الحلم والعفو

الحلم امساك النفس عن هيجان الغضب والكظم امساكها عن قضاء
الوطر منه اذا هاج ولما كان الحلم عن تاثير الغضب وغير منفك منه
صار يعبر به عن كل عفو ظهر فعلا لقوله عز وجل في ذم الكفار
على سبيل التعجب منهم ام تامرهم احلامهم بهذا ومتى استعمل الحلم في
الباري عز وجل فانه يراد به الغضب بمقتضاه وهو العفو دون الغضب
يعرض له ولن تم حلم الانسان الا بامساك الجوارح كلها اليد عن البطش
واللسان عن الفحش والسمع عن استماعه والعين عن فضولات النظر
واقرب لفظ يستعمل في ضد الحلم الذم واما العفو والصفح فيما صورتا
الحلم ومخرجاه الى الوجود فالعفو ترك المواخذة بالذنب والصفح ترك
التثريب واشتقاقه من تجاوز الصفحة التي اثبت فيها ذنوبه الى
الاعراض بصفحة الوجه عن الملف الى ما كان منه وهو محمود اذا
كان على الوجه الذي يحمد لهذا قال تعالى على ذلك بقوله تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فامر بالحلم والعفو وقال
وليعفوا وليصفحوا وقال فاعف عنهم واصفح وقال تعالى فمن عفى
واصلح فاجره على الله والعفو انما يحسن فيما يكون الاساءة مخصوصة
بالعافي لمن اخذ ماله او شتم عرضه فاما اذا كانت الاساءة عامة
بالضرر على الشرع او على جماعة الناس فانه اذا كان فيها ادنى
شبهة فللسلطان العفو لقوله عليه السلم ادرؤا الحدود بالشبهات

وان لم يكن ذات شبهة فليس له العفو لهذا قال تعالى في الزنا ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله الآية وعلى الجملة فان لا يكون سبعا في انتقامه
بل لا يعاقب حتى يزول عنه سلطان غضبه ليلا يقدم على ما ليس بواجب
ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد
النظر فيه قال بعض الحكماء للسلطان ان يؤخر العقوبة حتى ينقضي سلطان
غضبه ويتعجل مكافاة المحسن ويستعمل الاناة فيما يحتاج فيه تاخير العقوبة
امكان العفو اجدر ذلك وفي تعجيل المكافاة بالاحسان مسارعة اولياء
الى الطاعة قيل انه اتي الاسكندر بذنب فصفح عنه فقال بعض
جلسائه لو كنت اياك لقتلته قال فانا لم اكن انا اياك ولا انت اياي
فكف بقتله وانهى اليه ان بعض اصحابه يغتابه فقيل لو انهكته عقوبة
فقال حينئذ ابسط لسانا وعذرني في اغتيابي واعلم ان لذة العفو
اطيب من لذة الشفي لان لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة العقوبة
يلحقها ذم الندم والعقوبة الام حالات ذي الحدين وهي طرف
من الجزع ومن رضي ان يكون سنة في الظالم الاسترقين فليتصف
وقد نبه الله تعالى على ذلك بلطيف المقال فقال وجزاء سيئة سيئة
مثلها فسمى مجازاة المسيء بانبائه اساءة وقال عز وجل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الآية فسمى المجازي على الاعتداء
معتديا بانبيها انه قد كاد يكون اياه في العقوبة فيما بين الناس اقبحها
ما كان فيما لم يظهره بالعقل فقد قال بعض الملوك انما تملك الاجساد دون

الضمائر وتفحص عن الظواهر كما عن السرائر ترى سليم ظاهره احتمل جرائر
فقد يعتوا المرء وفيه سليقة ويزل وطريقته مستقيمة

باب ثوران الغضب وفضل كظمه

الغضب في الانسان نار ما تشتعل والناس يختلفون فيه فبعضهم كالخلفاء
سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالحصا بطيء الوقود بطيء الخمود
وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وبعضهم على عكس ذلك وهو أحمدهم ما لم
يكن مفضيا به الى زوال حميته وفقدان غيرته واخلاقهم تارة يكون
بحسب الامزجة فمن كان طبعه حارا بادرا يكثر غضبه ومن كان بخلافه
يقل وتارة يكون بحسب اختلاف العادة فمن الناس من تعود السكوت
والهدوء وعلى الجملة عنبا الذلول والهيني اللين ومنهم من تعود الطيش
والانزعاج فيتحد بادنى ما يطرقه كالكلب يسمع حسا فيعوى قبل ان
يعرف ما هو واسرع الناس غضبا الصبيان والنساء واكثرهم ضجرا
الشيوخ واجلد الناس شجاعة وافضلهم مجاهدة واعظمهم قوة
من يكظم الغيظ وعلى ذلك دل قوله عز وجل والكاظمين الغيظ
الآية فجعلهم من المحسنين وقال صلى الله عليه وسلم وقد مر بقوم يرفعون
حجرا فقال لا اخبركم بأشدكم من هذا فقال عند الغضب واعلم ان
نار الغضب متى كانت عنيفة تاججت واضطرمت فاحدثت منها غليان دم
القلب فتلتهب السرائر والدماغ دخانا مظلما مضطربا يسود منه حال
القلب ويضعف به فعله فكما ان الكهف الضيق اذا ملئ حريقا احترق فيه

اللهب والدخان وعلامته الاجيج فيصعب علاجه واطفاؤه ويصير كالمرئي منه مانع لفهمه وكذلك النفس اذا اشتعلت غضبا عميت عن الرشد
وصمت عن الموعظة فتصير مواعظه مانعة لغضبه ولهذا حكي عن ابليس
انه قال متى اعجز بني آدم فلن يعجزني اذا غضب لانه ينقاد لي
فيما اريد واتبعه منه وبعمل ما اريده وان تضيه وقيل الغضب جنون
ساعة وربما ادى الى تلف لجنانه وحران القلب فيدوم ما كان
سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف واسباب الغضب العجب ثم
الافتخار والمرا والمجاج والمزاح والسفه والضيم والاستهزاء
وطلب ما فيه التنافس والتحاسد وشهوة الانتقام وحق من اعتراه
غضبة ان يتفكر فان كان المغضب عليه تحته يده فلا معنى لاستطالة
اذ يمكنه من الانتقام منه على سكون الجاش وان كان غضبه على من
لا سبيل له عليه فلا معنى لتعذيبه نفسه في الوقت بل حقه ان يصبر
حتى يتمكن منه ثم يفعل بالواجب وقال حكيم شدة طرو الغضب قبل
تلهب نار في محمود دمك فاتمامك اطفاؤه وما قيل امتشاره فاما
اذا اشتعلت فلا سبيل الى اطفائها وقال سلطان لحكيم كيف
لي ان لا اغضب فقال بأن تكون في كل وقت ذاكرا انه يجب ان
يطيع لا ان يطاع فقط وان تخدم لا ان تخدم فقط وان تحتمل
لا ان تحتمل فقط وان تحقق ان الله تعالى يراك دايما فاذا فعلت
ذلك لم تغضب وان غضبت غضبت قليلا

باب

باب الغيرة والجوار

الغيرة ثوران الغضب حماية على اكرم الحرم والكرائم يراعى في النساء وجعل الله هذه
الغيرة في الانسان سببا لصيانة الماء وحفظ الانساب ولذلك
قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في فتياتها
وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته في السياسات
الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسته منزله واهله وسياسته
مدينته وصقعه ولذلك قيل ليست الغيرة ذب الرجل عن امرأته
ولكن ذبه عن كل محتمى به وقيل الغيرة الذب عن كل ضعيف وسمي
كراهية الغير عند مزاحمتها غيرة والغيرة وان كانت من رقة
الانسانية فواجب كونها في كل حيل فقد كره في الحرب كرة متناهية
حتى ان من دخل الحرم والتجأ الى فنائه عدوا فعله حرمة وجوارا
وزار ابل ان تعلق الدلو بالدلو احرمه او يلابس الطيب المستعد الطيب
بل كانوا يراعون ذلك في الوحشيات والهوام حتى سموا احد ما يجير
الجراد ومجير الغزال ومجير الذئب وسمي الغضب المنبعث للغير
الحفيظة فقال احفظني فان اي اغضبني الغضب الذي اثار
قوى الحفظ الذي ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره على سبيل
التمام ان يكون له مثله فهو غبطة واذا كان مع ذلك سعي منه في ان
يبلغ هو مثل ذلك من الخير او ما هو فوقه فمنافسة وكلاهما محمودان
وان كان مع ذلك تمني زوال ما بصاحبه من غير استحقاق لزواله

باب الغبطة والمنافسة والحسد

الحسد تمني زوال النعمة من مستحقها ولربما كان مع ذلك سعي في ازالتها
والحاسد اللئيم هو الجبان الفشل الساعي في ازالة نعمة مستحقة من
غير ان يكون طالبا لذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد قدري زوال
نعمتك نعمة عليه وقال عليه السلام المؤمن يغبط والمنافق يحسد
فحث على الغبطة وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فحثنا
على التنافس اذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يخلو
منها احد الظن والطيرة والحسد وسأخبرك بالمخرج من ذلك فاذا
ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض ولا سبيل اذا حسدت فلا تبغ
اي اذا اصابك غم بخير ينال غيرك فلا تبغ ازالته عنه واعلم ان
الحسد من جملة غاية البخل ان البخيل يبخل بمال نفسه والحاسد
يبخل بمال الله من وجه آخر هو اظلم ظالم لانه يظلم غيره في
ازالة حاله ويظلم ربه فيما قدره وقيل الحسد والحرص كلتاهما الذنوب
ومنها انجر ذنب ابليس لآدم فابليس حسد آدم فصار لعينا وآدم
حرص على ما نهي عنه فاخرج من الجنة فهما شجرتان تنبعث منهما سائر الرذائل
فمن قطع اسبابها بالكلية فان قيل ما وجه قول النبي صلى الله عليه وسلم
لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فجعله في حق ورجل
آتاه الله حكمة فهو يقضي بها وقيل انه عنى بالحسد ههنا غبطة وقد

يسمّى ذلك من حيث انّها انعم الذى ينال الانسان من خير ينال غيره
وكاينال موه على ذلك يقول الانسان لولد الاخذ فلانا فانما يعلّمه
اى لايتمنى حاله واعلم ان الحرص ضرب من الحماقة ان اغمامه بما ينال
ذوو مواهل بلده يقتضى ان يغتمّ لما ينال اهل الصين والهند على انّ
الخير الذى ينال ذوو ادنى فكر فيه منفعة له كما انّ ينال الأبا عد

الفصل الخامس

فى العدالة والظلم والمحبّة والبغض

باب ذكر العدالة وفضيلتها

العدالة لفظ يقتضى معنى المساواة ولا يستعمل الّا باعتبار الاضافة
وهى فى المتعارف اذا اعتبرت بالمقوّم فهى فضيلة فى الانسان يطلب
بها المساواة واذا اعتبرت بالمعدل فهى المقتضية لهاتم على
الاستواء فاذا وصف الله تعالى بالعدل فليس يراد به الهيئة وانّما
افعاله واقعة على نهاية الانتظام والانسان فى تحرّى فعل العدالة
يكون تامّ الفضيلة اذا حصل مع فعله هيئة تمرّن لتعاطيه فقد
يقع فعل العدالة من الانسان ولا يكون ممدوحا به نحو ان يبتسط
مراياه او توصّلا الى نفع دينوى او خوف عقوبة من السلطان
والعدالة تارة يقال على الفضايل كلّها من حيث انّه لا يخرج شى من
الفضايل عنها وتارة يقال على اكمل الفضايل من حيث ان صاحبها يقدر
ان يستعملها فى نفسه وفى غيره وهى ميزان الله المبرّا من كلّ نقيصة

وبها يستتبّ امر العالم قال الله عزّ وجلّ الله الذى انزل الكتاب
وقال والسماء رفعها ووضع الميزان وعبّر عن العدالة بالميزان
اذ كان من اثرها ومن اظهر افعالها للحاسّة قال النبىّ عليه
السلم بالعدل قامت السماوات والارض اى لو كان شى من الموجودات
فى العالم واصولها زايدا على الآخر او ناقصا عنه لم يكن منتظما
هذا النظام ومن فضيلتها ان الجور الذى هو ضدّه لا يستتبّ
الّا به فلو انّ لصوصا تشارطوا فيما بينهم شرطا فلم يراعوا العدالة فيه
لم ينتظم امرهم ومن فضلها ان كلّ نفس تلتذّ بسماعها وتتألّم من ضدّها
ولذلك يستحسن الجاير عدل غيره اذا ناله وسمع به وقيل العدل الايخاف
الله اى من حيث العدالة لا خوف عليه وحسن العدالة والمساواة
تتألّم النفس من كلّ ما كان مركّبا فى العالم ليس له نظام مستقيم
فيكره العرج والعور فيشام به وتتحرّى المساواة جعل الله تعالى
اعضاء الانسان الواقعة فى الاطراف وحيز اثنين وفى الاوساط
واحدا واحدا ولقد ابدع ذلك يحرّى النقّاشون باباء كلّ منقوش
فى جانب منقوشا مثله فى الجانب الآخر الّا تصير الصورة معوجّة
العدالة وسط اطرافها كلّها جور والجور خروج من وسط
بزيادة او نقصان ولذلك صار الجور والخطأ بالاضافة الى العدل
والصواب من حيز ما لا نهاية له والعدل الى صواب من حيّز المتناهى
وادراكها صعب عسر ولصعوبة ذلك قال عليه السلم استقيموا ولن

لخصوص يمدح تعالى بقوله وأحصى كل شئ عددا تنبيها انه هو المحصى
للعدالة والصواب في كل شئ وقال بعض الصوفية رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقلت بلغني يا رسول الله انك قلت شيبتني هود
واخواتها فما الذي شيبك منها قال قوله تعالى فاستقم كما أمرت
ومن تاب معك ولما كان الوصول اليها عسرا صار طالبها اذا يمم
نحوها وان اخطأ فيها معذورا بل ماجورا قال صلى الله عليه من
اجتهد فاخطأ فله اجر ومن اجتهد فاصاب فله أجران

باب أنواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه

العدل ضربان عدل مطلق يقتضي العقل حسنه ولا يكون منسوخا
في شئ من الازمنة ولا يوصف بالجود في حال وذلك نحو جذب
الاحسان الى من احسن اليك وكف الاذية عمن كف اذاه عنك وعدل
مقيد يعرف كونه عدلا بالشرع ويمكن ان يكون منسوخا في بعض
الازمنة وذلك مقابلة الاساءة بمثلها كحوال القصاص واروش الجنايات
وكاخذ مال المرتد وهذا النحو يصح ان يوصف على المجاز في
بعض الاحوال بالجور ولذلك قال عز وجل وجزاء سيئة سيئة
مثلها تسمى جزاء السيئة سيئة من حيث انه لو لم يكن معتبرا
بالسيئة المتقدمة كانت هي سيئة وعلى ذلك ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون وبالنظر الى النوع الاول والاعتبار به قال
بعض المتكلمين يعرف العدل والجور بالعقل قبل الشرع وبالنظر الى النوع
الثاني قال بعضهم لا يعرفان الا بالشرع وفي الجملة ان الشرع مجمع العدالة
وبه يعرف حقائقها ولو توهمناه مرتفعا لكان يؤدي الى ان لا يكون
عدالة على الحقيقة في شئ من جزئيات الافعال ولا في كثير من كلياتها
والعدالة المحمودة هي التي تتحرى لا رياء ولا استعمور غبة ورهبة
وانما تكون محرية الله عن محبته والذي يجب ان يستعمل الانسان
معه في العدالة خمسة الاول بينه وبين ربه العز بمعرفة توحيده
واحكامه والثاني بينه وبين قوى نفسه وعقله وذلك بان يجعل هواه
مستسلما لعقله فقد قيل اعدل الناس من انصف عقله من هواه والثالث
بينه وبين اسلافه الماضين في انفاذ وصاياهم والدعا لهم والرابع
بينه وبين معامليه من ادا الحقوق والانصاف في المعاملات من
المبايعات ومن المقارضات والكراهات والخامس بينه وبين الناس
الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة وخلفائهم واما الحكام العدول
في الارض فثلثة حاكم من الله وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والعامل والآمر به وهو كل الى عدل والناض
المعتبر به واعلاه الدينار ومعناه بالفارسية الدين اورده والناض
من وجد حاكم ومن وجد كالة للحاكم يعتبر اذا قيس عمل بعمل
ولما كانت الشريعة مجمع للعدالة ومنبعها صارت من استمع من الزامها
اظلم ظالم لهذا قال عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الآية ويكون الكفر ظلما قال عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء

ورحمه ولا يزيد الظالمين الا خسارا فقابل المؤمن بالظالم

باب ما يحسن تركه للعدالة فيه

ترك العدالة ان الظلم عدا مذموم في جميع الاحوال والخارج منها
الى الظلم مستوجب بقدر خروجه عنها سخطا من الله تعالى الا ان
يتغمده برحمته وعفوه واما الخارج عن العدالة الى الانظلام اي التزام الظلم
فقد يحمد والانظلام وحيث الكمية بل هو اضرب انظلام في المال
وهو الاستخذاء للظالم في اخذ ماله انظلام في الكرامة وهو الاستخذاء
في الجسم بمنزلة من التعظيم وانظلام في النفس وهو استخذاء لمن
هو له وكل واحد يكون محمودا ومذموما ومن حيث الكيفية ضربان
محمود ومذموم فالمحمود التغابن عن حق له في المال او في النفس
بقدر ما يحسن وهو المعبر عنه بالانخداع والتغافل الذي قيل فيه
العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل واياه قصد معوية
في قوله من خدعك فانخدعت معه فقد خدعته قال الشاعر

ممن يغر على النقا فيخدع ... وذلك اذا كان في مال فمسامحه
واذا كان في النفس فعفو واذا كان في الكرامة فتواضع واما
على الوجه المذموم ففي المال غبن وفي الرأي غبن وفي
النفس والكرامة هوان وقد تقدم ان الافضال والاحسان
اثر وفي العدالة اذا كان الحكم بينك وبين غيرك واما اذا حكمت
بين اثنين فليس الا العدالة وانما الاحسان الى المتخاصمين فلهذا

قال تعالى وان حكمت فاحكم بينهم الآية وقال تعالى ان الله
يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال لنزله الحق وان تعفو
اقرب للتقوى الآية وقال يحيى بن معاذ اعجل الناس بالفضل
لا بالعدل فمع العدل الاستقصاء ومع الفضل الاستيفاء والى الارجح
ان الا يحاسب الله عباده بالعدل وقد امرهم بالفضل وان يصاب
بعضهم بعضا بالفضل وقد عظم الله امر الاحسان والافضال
فقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال وهل يأمر
الحكيم بما يعلم لا يفعل وكيف يترك الكريم الفضل ويتيقن على العدالة
وقد بين ان الفضل افضل واكرم بقاء الله عز وجل ذي المنزلتين
وكيف لا يرجى تفضله وافعاله كلها عدل وعدله كله تفضل
لانه كله مبتدى بما لا يلزمه والابتداء بما لا يلزم تفضل وهل يجوز ان
يترك التفضل انتهاء وقد تحراه ابتداء

باب ذكر الظلم

الظلم هو الايراف عن العدالة وذلك حد
بانه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به وقد تقدم ان لكل
تجري مجرى النقطة من الدايرة فيجاورها من جهة الافراط عدوان
وطغيان واليه اشار بقوله عز وجل قد ضلوا ضلالا بعيدا
والايراف عنك في بعض جوابنا جور والظلم اعم الاسماء ولما كان
الظلم ترك الحق الجاري مجرى النقطة من الدايرة صار البعد عنها
اما قربا واما بعدا فمن كان عنها ابعد كان رجوعه اليها اصعب قال

عز وجل يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا أنبئهما أن الشيطا
متى أمعن بهم في البعد عن الحق صعب عليهم حينئذ الاهتداء واجل من
جعلهم الشيطان كذلك قال تعالى أولئك ينادون من مكان بعيد
وأما المستعمل معهم الظلم فخمسة وهم الذين يجب استعمال العدالة
معهم وقد تقدم ذكرهم الاول رب المنزل الثاني قوى النفس الثالث
اسلاف الرجل الرابع معاملوه من الاحياء الخامس الناس اذا قوى
انسان الحكم بين بعضهم وبعض قال بعض العلماء شر الناس من
جار على نفسه ثم من جار على ذويه ثم من جار على كافة الناس وافضلهم
من عدل مع كافة الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه وهو قول أوردد
بنظر عاقل فان الظالم لا يكون ظالما لغيره حتى يظلم نفسه اولا
فانه في اول مايهم بالظلم فقد ظلم نفسه فاذا الظالم ابدا مسيء
بنفسه في الظلم والعادل مع الناس اذا هم بالعدل وجرأه
فقد عدل في نفسه قبل ان عدل مع غيره قال بعضهم الظلمة
ثلثة الظالم لاعظم وهو الذي لا يدخل تحت شرع الله واياه
قصد بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والاوسط وهو الذي
لا يلتزم حكم السلطان والاصغر وهو الذي يتعطل عن المكاسب
والاعمال فيأخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعة ومن خرج
عن تعاطي العدالة بالطبع وبالخلق والتخلق والتصنع والتدرب
والرغبة والرهبة فقد انسلخ عن الانسانية ومتى صار اهل صقع كلهم

ملوا ذلك فهلكت وتغالبت واكل قويهم ضعيفهم ولم يبق فيهم
اثر قبول فقد تقدم ان عادة الله في امثالهم انتقامه واهلاكهم
عن آخرهم

باب الاسباب التي بسببها يحصل الاضرار

جميع ذلك اربعة اسباب الاول الكراهة كمن يضر بغيره متلذذا
بفعله وذلك اخص الوجوه الثاني السهو وهي ان يقصد ادراك شيء
فرأى انه لا يمكنه تحصيله الا بان يضر غيره كعامة المذنبين
العاثين في الارض الثالث الخطأ وهو ان يقصد الاضرار
بمن ضره بوجه بل قصد فعلا آخر فاتفق منه ذلك كمن رمى الى
قرطاس فاصاب رجلا فهذا معذور من وجه والرابع الشقاوة
كمن تصيبه ريح فاوقعه على رجل فمات ذلك الانسان فهذا معذور

باب ذكر المكر والخديعة والكيد وحيله

المكر والخديعة يتقاربان وهما اسمان لكل فعل يقصد فاعله في
باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره وذلك ضربان احدهما مذموم وهو
الاشهر عند الناس والاكثر وذلك ان يقصد فاعله انزال مكروه
بالمخدوع واياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة
في النار والمعنى يؤدي بقاصديها الى النار والثاني على عكس
ذلك وهو ان يقصد فاعلها الى استجرار المخدوع والمكوء به الى

مصلحه كما يعذل الصبي اذا امتنع من فعل خير قال بعض الحكماء
المكر والخديعة محتاج اليهما في هذا العالم وذلك ان السفيه يميل
الى الباطل ولا يقبل الحق ولا يميل اليه بمنافاته لطبعه فيحتاج
ان يخدع عن باطله بزخارف موهمة خدعة الصبي عن الشيء عند
الفطام ولهذا قيل مخرقة فان الدنيا مخاريق وسفسطة فان
الدنيا سوفسطائية وليس هذا حثا على تعاطي الخبث بل موبخ
عاجب الناس الى الخير بالاحتيال ولكن المكر والخديعة مذمومة
سيئا وحسنا قال الله عز وجل والذين يمكرون السيئات الآية
وقال فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا الآية وقال تعالى
افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف بهم الارض فخص في الآيات
السيئة من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن ووصف نفسه بالمكر
الحسن تعالى ومكروا ومكر الله واما الكيد في الجملة فاراده
لاستفسار ما يراد عمله به لكن اكثر ما يستعمل ذلك في الشر ومتى
قصد به شر فمذموم ومتى قصد به خير فمحمود وعلى الوجه المحمود
قال تعالى كذلك كدنا ليوسف وعلى ذلك الاستدراج منه قال
تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فاستدراجه
تعطيه السبيل عن الانسان وتمكينه منه لتطلبه الآلات التي اعطاه
وذلك تكليف له لما يعتد عليه وان كان فيه مشقة وتمكينه من
ادراك ذلك قال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فمن جاهد

في سبيله واعمل فكرته حتى ظفر به سلك على ما يجب وكما يجب سهل
عليه الوصول وكان ذلك منه منة ولطفا واحسانا ومن عطل معاونه
من الفكر والبصر والسمع حتى اضل طريقه كان ذلك منه اثما وعذابا
له وعلى نحو ما تقدم وصف تعالى نفسه بالجيد والمجادلة في قوله
وموسل يديها الحمال وهذه الالفاظ لو كان الباري تعالى اطلقها
في مواضع مخصوصة قاصدا بها معاني صحيحة لما تجاسر بشر
عرف الله تعالى ان يخطر ذلك بباله فضلا انه يجريه في مقاله
وان قصد بهذا المعنى الصحيح تنزيهه له وتعظيما يجب ان
يتلى في القرآن حيث ما ورد ولا يتعدى بها وقد ذكر المحصلون
ان كثيرا من الاوصاف الشريفة كالرحيم والغفور والودود ما
كان يتجاسر على الاطلاق عليه تعالى لولا السمع وارد لما في
صدر الاسلام من معنى الكيفية الى الكمية والانفعال في وضع اللغة
والله تعالى منزه عن ذلك وذا فضل كتاب يختص به غيرها

الكتاب باب ماهية المحبة وانواعها

المحبة ميل النفس الى ما تراه او تظنه خيرا وذلك ضربان احدهما
طبيعي وذلك في الانسان وفي الحيوان وقيل قد يكون ذلك
في الجمادات كالالفة بين الحديد ومجرى المغناطيس والثاني اختياري
وذلك مختص بالانسان فاما ما يكون بين الحيوانين فالفة وهنا
الثاني اربعة اضرب الاول الشهوة اكثر ما يكون ذلك بين الاحداث

والثاني للمنفعة ومن جنسه ما يكون بين التجار وأصحاب الصناعات ثم
المهنية وأهل المذاهب والثالث مركب من الغرضين كمن يحب آخر
لينفع وذلك الآخر يحبه للشهوة والرابع للفضيلة كمحبة المتعلم
للتعالم وهذه المحبة باقية على مرور الأوقات وهي المستثناة
بقوله عز وجل الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. فأما
الوجوب الآخر فقد تطول مدتها وتقصر بحسب طول أسبابها وقصرها
والصداقة أخص من المحبة وقلما تقع بين جماعة ولا تستعمل إلا في الإنسان
وأما العشق فمحبة بإفراط وذلك إن حسي اللذة فيكون مذموما وأما
بحسب الفضيلة فيكون محمودا ولا يكون للمنفعة فإن المنتفع يحب
يراد والفضيلة واللذة يرادان لأنفسهما

باب فضيلة المحبة

أحد أسباب نظام أمور الناس المحبة ثم العدالة فلو تحاب الناس
وتعاطوا المحبة لاستغنوا عن العدالة فقد قيل العدالة خليفة
المحبة فتستعمل حيث لا توصل المحبة ولذلك قد عظم الله تعالى المنة
بإيقاع المحبة بين أهل المدة فقال لو أنفقت ما في الأرض جميعا
ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أي محبة في القلوب
تنبيها أن ذلك أجلب للعطايا وهو أفضل من الهبة فإن الهبة
تنفر والمحبة تؤلف وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة
فإن طاعة الراهب مزدجر وطاعة المحب مزدجر تزول بزوال
شبيبة وكل قوم إذا تحابوا وتواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا
وإذا تعاونوا تعاملوا وإذا تعاملوا عمروا وإذا عمروا عمروا بالفضل وتوخوا
المحبة شرعا شرع الله تعالى لاجتماع أهل المحلة الواحدة في مساجدهم
خمس مرات لإقامة صلواتهم واجتماع أهل البلد كل أسبوع مرة
في الجامع واجتماع أهل المدينة وأهل السواد كل سنة مرتين في الجمعانة
واجتماع أهل البلدان الغائبة في العمر مرة بمكة المكرمة كل
ذلك ليتأكد باجتماعهم الأنس والتعارف ويقع بسببه الود

باب فضيلة الصداقة

الصديق يحتاج إليه في كل حال أما عند سوء الحال فليعاونه وأما عند
حسن الحال فليواسيه وليضع معروفه عنده ومن ظن أنه يكفيه الاستغناء
عن صديق فمغرور بل معتوه ولكن ينفعه سئل حكيم عن الصديق فقال
آخر بالشخص إلا أنت بالنفس ولغير وجوه سئل آخر عنه
فقال هو اسم علا غير معنى حيوان غير موجود فمن وجد أخا وفيا
ذا ثقة وجد بهم عيونا وآذانا وقلوبا كلها له فيرى الغائب
بصورة الشاهد واختيار من يركن إليه ليصادقه صعب لأن المتشيع
لكل ناقص فنطنه فاضلا فيكون كمن خطب الشيخ في مشيخوخته

باب في ذكر المحبب في الناس ومن حببه

الله الى الناس فقد انعم عليه نعمة وشيعه كما ان من بغضه اليهم
فقد عجل له نقمة فضيعة الى السبب في من يكون محببا ان من
رعاه الله فصفى جوهره وطاب روضه حسن عمله حصله نور يرى
في مشاعر من يراه بحبه واياه قصد تعالى بقوله لموسى عليه السلام
والقيت عليك محبة مني وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب
الله عبدا القى محبته في الما فلا يشبه احدا الا احبه واذا ابغض
عبدا القى بغضه في الما فلا يشبه احدا الا ابغضه ولما
القى الله على نبينا عليه السلم من المحبة قد ما كانت يأتيه من يبغضه
فيهم بقبيح حتى اذا راه وقلبت طرفه في آفاق وجهه والقى كلامه
الى اسمعه اعجب به فقارنه على ميل م باب الحث
على صحبة الاخيار ومجانبة الاشرار

حق الانسان ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة الاخيار فهي قد تجعل
الشر خيرا كما ان مصاحبة الاشرار تجعل الخير شرا يرا
قال بعض الحكما من صحب خيرا اصاب بركته فجليس الله لا
يشقى ولو كان كلبا كما كلب اهل الكهف حيث قال عز وجل وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد وبهذا اوصى الحكما بمنع الاحداث
عن مجالسة الفتيا وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه لا تنتصب
الفاجر فيزين لك فعله ويود لو انك مثله وقيل جالسوا من
يذكركم الله رؤيته ويزيد في خيركم نطقه وقالوا اياك
ومصاحبة

ومصاحبة الشر فان طبعك يسرق من طبعه وانت لا تدري
قال النبي عليه السلم مثل الجليس الصالح كمثل الداري الا يحذيك
من عطره يعلقك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل الكير الا
يحرقك بشراره يسود ثيابك برائحته وقال عليه السلم المرء على دين
خليله فلينظر امرء من يخالل اي يجذبه خليله الى دينه ومن قوله
هذا المعنى في النفوس شائع على الالسنة قول الشاعر عن المرء
لا تسأل وسل عن قرينه فان القرين بالمقارن مقتدى ولبس
اعدا الجليس جليسه خلقه بخلقه وفعاله فقط بل بالنظر اليه
والنظر الى الصور يؤثر في النفوس اخلاقا مناسبة خلق المنظور
اليه فان من ادام نظره الى شر ورسر والى محزون حزن
ليس ذلك في الانسان فقط بل في الحيوان والنبات فانك
قد تصير ذليلا بمقارنة الجمال المذلل والذليل قد يصير وبقلب
صعبا بمقارنة الصعاب والريحانة الغضة تذبل بمجاورة النابلة
ولهذا يلقط اصحاب الفلاحة الرمم عن الزروع ليلا يفسدها
ومعلوم ان الما والهوا يفسدان بمجاورة الجيف اذا قرب منهما
وذلك مما لا ينكره ذو تجربة واذا كانت هذه الاشياء قد بلغت
في قبول التأثير هذا المبلغ فما الظن بالنفوس البشرية اكثر موضوعها
لقبول صور الاشياء خيرها وشرها وقد قيل سمي الانس لانه ياس
بما يراه ان خيرا وان شرا وللانسان في المعاشرة ثلثة احوال

اما ان يكون شكسا اي قاسي الطبع او ملقا اي سليطا في طبعه
او مساعدا اي تاركا للخلاف على مقتضى العقل وهو المحمود وحق الفاظ
في المعاشرة ان يقوى من جهة الفكر بالمطايبة في الكلام ومن
جهة الغضب بالحلم ومن جهة الشهوة بالجود وان يتحرى خلاف ذلك
وان يجامل المعاشرين والمتشبهين بالاخوان ويصابرهم ولكا
شر منهم طمعا في رجوعهم اخوانا وانما شر وهم حتى يكون ظريفا فالظرف
عبارة عن استعمال آلة المعاشرة من الطلاقة والاحتمال ولين الجانب

باب فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته

قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرد عن الناس والاختلاط
فبعضهم اثر الاختلاط بهم وأورد كل فريق في ذلك اخبارا وذلك بسبب
اختلاف الناس في نظرهما وابتدا احدهما بصاحبه من لم تحمد صحبته
وصاحبه الآخر من حمد صحبته والاصل ان اجتماع الناس بعضهم
مع بعض امر محذور لتعلق امور بعضهم ببعض ولهذا سمع عمر رضي الله
عنه رجلا يقول اللهم اغنني عن شرار الناس فقال الناس لا يستغنى عنهم
ما داموا احياء ثم في المعاشرة والتفرد عن الاخيار الذين يفيدونك
ويعينونك ولا يؤذونك بكره سيما اذا لم تتدرب في الفضل ولم تستغن
عن اقتباس العلم واما عن الامتزاج بالمتدينين بصاحبهم فمحمود وبتيك
التفرد مكروه الا لثلثة سلطان لا يأتي تدبير المملكة وحكيم لاستنباط
الحكمة ومتنسك لمناجاة ربه العزيز فان التفرد يبطل الافاتين ولا
يظهر من صاحبه فضيلة ومن ظن بالمتفرد خيرا فلا يحل ان لا يظن بظهر

هذه شر وهذا يشاركه فيه الموتى وهذا يشاركه فيه الموتى وفضيلة
الانسان ان يكون خيرا لا ان يكون شريرا وان كان زمانيا كما قيل
انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال
فحق العاقل الفاضل ان يجتمع مع العامة في ظواهر احكام الشرع واقامة
وظايف العبادات واما بالهم من الفضيلة بقدر الوسع ويترفع عن منزلتهم
في المعارف والاخلاق والافعال الجميلة ولمراعاة حكم الطغام قال
عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم ولمراعاة الترفع عن منزلتهم في
المعارف قيل المروة التامة مجانبة العامة بل من اساف بابا اسوحش
من الناس وذلك لمخالفته اياهم في الخلق وللنهي عن الاعتزاد بكثير
منهم والركون اليهم سيما من ليس فضله الآخرة وطلب الحق قال الله
عز وجل ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا الآية وقال تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الآية

باب العداوة

العدو هو الذي يتحرى اغتيال الآخر وعدوان فيما يؤدي الى مضاره
ومنه تعدى فلان وبغى فعل فعل العدو وهو من قوله مكان زور
عدوا اي متباعدا في الاجزاء ابى بعض طبعه يضاد العداوة الولاية
استعارة من فلك البلدة والولاية اعم من الصداقة والمودة والعداوة
ضربان باطن لا يدرك ذاته بالحاسة وظاهر يدرك بالحاسة
فالباطن انواع اصلها الشيطان وهو اصل كل عدو ويعادي

معاداة جوهرية وقد حذرنا الله تعالى منه غاية التحذير فقال
الشيطان لكم عدو وقال ألم اعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا
الشيطان اي لا تعادوه وقال ان هذا عدو لك ولزوجك وقال
ولا تتبعوا خطوات الشيطان والثاني هو المعبر عنه بالنفس في قوله تعالى
ان النفس لأمارة بالسوء وقول النبي صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك
نفسك بين جنبيك وكذلك الغضب اذا كان فوق ما يجب ولكون هذه
القوة في الانسان اذا اثيرت طريقا للشيطان في وصاله الى تمام
وكونها كالخليفة له سماها النبي صلى الله عليه وسلم باسمه فقال الهوى
شيطان والغضب شيطان وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلم
هذا من عمل الشيطان واما الطوارق من العداوة فالانسان وذلك
ضربان ضرب موعد وضرب مضطغن للعداوة قاصدا الى الاضرار اما
مجاهدة واما مساترة وذلك اثنان واحد بحادي كل احد وهو انسان
سبعي الطبع خبيث الطينة مبغض لكل احد لا يحتاج اليه في العاجل
بغيضا لكل نفس يهارش كل من لا يخافه سيطو بلا سبب وذلك
طبيعة الكلب العقور ومثله هو الذي عنى بقوله تعالى شياطين
الانس والجن عدو خاص العداوة وذلك بسبب الفضيلة تجاذب
نفع دنيوي كالتجاذب في رياسة ومال وجاه واما بسبب الحق
لمجاورته مولته للحسد لمعاداة بني الاعمام بعضهم لبعض وذلك في
كثير من الناس كالطبيعي قال رجل لآخر اني احبك قال قد

علمت ذلك قال فمن اين علمت قال لانك لست لي بريد ولا لي بسبب
ولا جار قريب واكثر المعاداة بين الناس يتولد من شيء من ذلك
والضرب الثاني عدو غير مضطغن للعداوة لكن يؤدي حاله بالانسان
الى ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد عدو فسمي عدوا لذلك كالاولاد
والازواج قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذي ان قتلته اجرك
الله في قتله وان قتلك ادخلك الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك بين
جنبيك وقد جعل عليه السلم سوء اعداد الانسان لما كان سببا لاهلاكه
الاخروي لما يتكبده من المعاصي لاجلهم فيؤدي بدا الى اهلاكه المؤبد
الذي هو شر من اهلاك الهادي المناصب اياه والعلة انه لكون بعض
الناس شركاء للشيطان في العداوة سماهم الله تعالى الاعداء شياطين
في قوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض وقد سمي كل ما
يتأذى به شيطانا قال الشاعر ما ليلة الفقير الا شيطان
مجنونة تؤذي روح الانسان والفقير انسية فجعل ليله ورودها
شيطانا لما يؤذيه بها

الفصل السادس

فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والارتفاق والجد والبخل

باب في حاجة الناس الى اجتماعهم

للطائر اعلم انه لما صعب على كل احد ان يحصل لنفسه ادنى ما
يحتاج اليه الا بمعاونة عدد له فلقمة طعام لو عدد ما تعب محصلها

من الزرع والطحن والخبز وصناع الآلات لصعب حصره فلذلك احتاج
الناس الى أن يجتمع فرقة فرقة فينتظم ولاجل ذلك قيل
الانسان مدني بالطبع اى لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشة يليق
بعضهم الى بعض في مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك نبه النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله
مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا
الم بعضه تداعى سائره وقيل الناس كجسد واحد متى عاون بعضه
بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل

باب تسخير الله بعض الناس

للصناعات المختلفة وعنايه كل واحد بما يتحراه

لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله تعالى كل واحد من كافتهم
لصناعة ما يتعاطاها وجعل ميز طباعهم وصنايعهم مناسبات
خفية واتفاقات سماوية ليورث الواحد بعد الواحد حرفة من
الحرف ينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه بمزاولتها فاذا
جعل اليه صناعة اخرى فربما وجد مستثقلا فيها ومتبرما بها وقد
سخرهم الله لذلك ليلا يختار وا جميعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات
والمعاونات ولولا ذلك لما اختار وا من الاسما الا احسنها ومن البلاد
الا اطيبها ومن الصناعات الا الطفها ومن الاعمال الا ارفعها وتشاجروا
على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلا منهم في ذلك مخيرا في
صون مخير فالناس امام اض بصنعة لا يريد غيرها ولا يريد عنها حولا
كالحايك الذي يرضى بصناعة فيعيب الحجام والحجام الذي يرضى بصناعته
ويعيب الحايك وهذا النظر امرهم كما قال تعالى فتقطعوا بينهم
زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما كان لها بكابد ما مع كراهية
اياها كانه لا يجد عنها بدلا وعلى هذا دل قول النبي صلى الله عليه وسلم
كل ميسر لما خلق له بل صرح الله تعالى بذلك في قوله نحن
قسمنا بينهم معيشتهم الآية وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
أتصبرون وقوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته ولهذا قال عليه
السلم لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تماثلوا وهلكوا
فالتباين والتفرق والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب الالتيام
والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكاية وتباينها ثم تفرقها الى
لولاها لما حصل لها نظام، فسبحان الله ما احسن ما صنع واحكم ما
اسس واتقن ما دبر ولهذا قيل من حق من قيض له صناعة
مباحة فليرفق منا ان يراعيها على ما يجب وكما يجب

باب كون الفقر وخوفه

سببا لنظام امور الناس

حصول الفقر وخوفه الباعثان للحر هما الباعثان على الجد واحتمال
الكد في منفعة الناس اما باختيار واما باضطرار ولهذا قيل رب
سباع لعابد وهو ان الناس لو كفي كل واحد امرهم لادى ذلك الى

فساد العالم من حيث انه لم يكن احد يتولى لغيره فقيه وكان الواحد
منهم يعجز عن القيام بمصالح نفقه كلها فيؤدي ذلك الى فقر جميعهم
وقد قيل قيام هذا العالم بالفقر اكثر منه بالغنى لان الصناع
الغاية بالغنى ثلاث الملك والبحار والبناية وسائرها قائمة
بالفقر فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحاكة والحجامة
والدباغة والكناسة ومن كان ينقل الخير من المشرق الى المغرب
والخير من الجنوب الى الشمال وعلى شفعة الفقر نبه الله تعالى
بقوله لحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقوله ولولا ان
تكون الناس امة واحدة بعد مع أن من الناس من لو كفى امر
دنياه لكان يوجد منه من البغي والتسلط ما يؤدي الى خراب البلاد
وفساد امور العباد بل كان يوجد منه ما يؤدي الى هلاك نفسه في
اسرع مدة وعلى ذلك دل قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء فمن تدبر صنع الله في
ذلك وتأمل ما اشار اليه في هذه الآيات التي ذكرها لم تعرض
له الشبهة التي تعرض لمن يقول اذا كان الله غنيا جوادا واسعا
فلم خص بعضهم بالغنى وجعل اكثرهم فقرا ومن حق الغني الذي لا يفنى غناه
والجواد الذي لا يعرف الجود منه اي لا يخص بالعطية بعضا دون
بعض وذلك ان الجواد الحق هو الذي يعطي كل احد بقدر استعداده له
على وجه يعود بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل ذلك تعالى بالعباد

باب مناسبة بنان الانسان لصنائعه

ان الله تعالى فرق فيهم الناس للصناعات المتفاوتة ويسر كلا
لما خلق له وجعل الآلات الفكرية والبدنية مستعدة لها فجعل لمن
قيضه لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية وعقولا
بالمعارف لا يعدو امزجة لطيفة وابدانا لينة تستعمل ومن قيضه لمراعاة
المهن الدنيوية كالزراعة والخياطة والحدادة والبناء جعل لهم قلوبا
قاسية وعقولا كزة وامزجة غليظة وابدانا خشنة فكما انه
محال ان يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع كذلك من المحال ان يكون
من خلق للمهنة يصلح للحكمة وقد جعل الله تعالى كل جنس من الخلق
نوعين رفيعا ووضيعا فالرفيع من تجلى الحذق في صناعته واقبل
على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه وادى الامانة بقدر جهده ولم
يشتغل عن عباد الله كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وقال عليه السلام ان الله يحب الصانع الحاذق ومدح الملائكة
بوفور فهم واحكامهم لما وكلوا فقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون

باب وجوه التكسب

التكسب في الدنيا وان كان معدودا في المباحات فهو في
الواجبات من وجه وذلك انه اذا لم يكن للانسان بد من استعداد بالعباد
الا بازالة ضرورياته فازالتها واجبة لان كل ما لا يتم الواجب
الا به فواجب لوجوبه واذا لم يكن له الى ازالة الضرورة سبيل الا

يأخذ بعين الناس فلا بد ان يعوضهم تعبا له والا كان ظالما لهم
فمن يوسع في تناول عمل غيره من مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك
فلا بد له ان يعمل لهم عملا بقدر ما يتناوله منهم والا كان ظالما
لم يقصدوا فائدته او لم يقصدوها فمن رضي بقليل من عملهم فلم يتناول
من دنياهم الا قليلا رضي منهم بقليل عمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
من رضي من الله بقليل من الرزق رضي الله منه بقليل من العمل ومن اخذ
منهم المتاع ولم يعطهم نفعا فانه لم يأتمر لله في قوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولم يدخل في
عموم قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولهذا ذم
من يدعي التصوف فيتعطل عن الكاسب ولا يكون له عمل يؤخذ عنه ولا عمل
صالح في الدين يبدي به بل تجعل همته عارة بطنه وفرجه فانه
يأخذ منافع الناس ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد اليهم نفعا فلا طائل
في مثلهم الا ان يكدوا ويألموا ويعلموا الصناعة ولهذا كان عمر
رضي الله عنه اذا نظر الى الذي يسيما سأل الرجل حرفة فاذا قال لا
سقط من عينه واستحى النبي صلى الله عليه وسلم من وفد عبد القيس
لما سألهم فقال ما المروءة فقالوا العفة والحرفة ومن الدلالة على
بيع نعلم من هنا صنعة ان الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه اسرافا
وبدارا فما حال من اكل مال غيره على ذلك ثم لا يبذل عوضا ولا يرد
عليهم بدلا نعم كل مضطر الى كسب ان يقصر على ما يسد فقره وقته

ولا يحملهم غده على يومه شعر ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ومن اقتصر على قدر ذلك فقد صار من المتوكلين الذين عناهم النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا

باب مدح السعي وذم الكسل

من تعطل وتبطل اسخط من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس
الموتى وذلك انه خص الانسان بالقوى اللاتي ليست في فضيلتها
فان فضيلة القوة الشهوية تطابه بالحاسبة التي تميزه وفضيلة
القوة الغضبية تطابه بالمجاهدات التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية
تطابه بالعلوم التي تهديه فحقه ان يتأمل قوته وقدره قدر ما يطيقه
فيسعى بحسبه لما يفيده ويعده وحقيق ان اضطراه سبب وصوله
من الذل الى العز ومن الفقر الى الغنى ومن الضعة الى الرفعة
ومن الخمول الى النباهة وان من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد
ارخص نفسه بكسبه لنفسه الهوينا وقد قيل اذا اردت ان لا تتعب
فاتعب لان لا تتعب واياك والكسل والضجر فانك ان كسلت لم تؤد حقا
وان ضجرت لم تصبر على الحق شعر فان التواني انكحا البجر بنته
وساق اليها حين انكحها مهرا
فاشا وطيا ثم قال لها انكي فقرا كما لا شك ان بلدا فقرا

وقال زين المهلب ما برح ان كفيت امر نفسي كله ليله التعود الفراغ
ولان الفراغ يبطل الهيأة الانسانية فكل هيئة بل كل عضو ترك
استعماله يبطل كالعين اذا غمضت وكاليد اذا عطلت ولذلك
وضعت الرياضات في كل شيء ولما جعل الله تعالى للحيوانات قوة
المحركة لم يجعل له رزقا الا بسعي منه ليلا يتعطل فايدة ما جعل
له من قوة التحرك ولما جعل للانسان الفكرة ترك من كل نعمة
انعمها تعالى عليه جانبا يصلح بفكرته ليلا يبطل فايدة الفكرة
فيكمل وجودها عيشا وتاما لحال ما دام عليها القلم وقد جعل لها من
الرطب اليجني ما كفاها مؤونة الطلب وفيه اعظم معجزة فانه لم يخلها
من أن أمرها بتهزها فقال وهزي اليك بجذع النخلة وكما ان البدن
يعود لرفاهيته فكذلك النفس تتركها الفكرة والنظر فتبلد وتتبلله
وترجع الى ربها لئيما فحق الانسان ان لا يذهب ساعة او قاته الا في
اصلاح أمر دينه او اصلاح امر دنياه متوصلا به الى اصلاح
أو اخر مترقيا كما قال الحجاج ان امرأ اتت عليه ساعة من
عمره لم يذكر فيها ربه او يستعفر من ذنبه او يفكر في معاد
لجدير ان تطول حيرته يوم القيمة واذا تأملت قول النبي صلى الله
عليه وسلم سافروا تغنموا ونظرت اليه نظرا عاليا علمت انه حث
على التحرك الذي يثمر لك جنة المأوى مع مصاحبة الملأ الاعلى
بل مجاورة الله تعالى وذلك يحتاج الى همة ايما معرفة المقصود

المشار اليه بقوله ففروا الى الله ومعرفة الطريق اليه المشار
اليه بقوله عز وجل قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة
وتحصيل الزاد المبلغ به المشار اليه بقوله تعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى والمجاهدة في الوصول كما قال وجاهدوا
في الله حق جهاده فهذه الاشياء بأسرها المغزور الذي خوف الله
منه في قوله ولا يغرنكم بالله الغرور وهذه وزر المعالي الى
دونها ومول العوالي ولا ضير لمن رامها أن يبتدئ الصعب فقد اضاف
من قال نقل لرجي معالي الامور بغير اجتهاد رجوت المحالا

باب تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض مما

الصناعات ثلثة اضرب اما أصول لاقوام للعالم دونها وهي اربعة
اشياء الزراعة والحياكة والبناية والسياسة واما مرتبة لكل واحد
من ذلك وخادمة كالحداد للزراعة والحجام والغزال للحياكة
واما ممتزجة لكل واحد من ذلك ومزينة له كالطحانة والخبان للزراعة
والقصار والخياط للحياكة ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل
اجزاء الشخص الى الشخص سواء فانها على ثلثة اضرب اما اصول
كالقلب والكبد والدماغ واما مرتبة لذلك الاصول وخادمة
كالمعدة والعروق والشرايين واما ممتزجة لها ومزينة كاليد والحاجب
واشرف اصول الصناعات السياسة وهي اربعة اضرب الاول

سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم
وباطنهم والثاني الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة
دون باطنهم والثالث الحكماء وحكمهم على باطن الخواص والرابع الوعظة
والفقهاء وحكمهم على بواطن العامة واشرف هذه السياسات
الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب الناس وبيان ذلك ان
شرف الصناعة تتبين من اوجه اما بحسب النسبة الى القوة المبرزة
لها كفضل معرفة الحكمة على معرفة اللغة فان مبادئ معلقة
بالقوة العقلية وهذه متعلقة بالقوة الخيالية والعقل اشرف من
الحس واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على الصناعة واما
بحسب شرف الموضوع والمعمول فيه كشرف الصياغة على الدباغة وقد
علم ان الحكمة تدرك بالقوة المفكرة وهي اشرف قوى وانه يتوصل
به الى جنة المأوى وذلك ابلغ نفع وموضوعه الذي تعمل فيه نفوس
البشر وهي افضل موضوع يعمل فيه بل يوجد في هذا العلم وافاد
العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة ومن وجه اجل خلافة
الله فان الله تعالى مع استخلافه قد فتح على قلبه العلم الذي
هو اخص صفاته تعالى من خزائنه الاجل خزانة وقد اذن له في
الانفاق على كل احد ممن لا يقوته الا انفاق عليه وكلما كان انفاقه
اكثر على ما يجب وكما يجب كان جامعه عند مستخلفه أوفر

باب في ان اصول الصناعات ماخوذة عن الوحي

اصول الصناعات والمكاسب ماخوذ عن الوحي وذلك ان نقص الانسان
وحاجة بعضهم الى بعض طاهر والناقص محتاج الى الكامل فلا يخلو
اما ان يقصد واحد بالاغاية وذلك ايجاب ما لا نهاية له وهو
محال واما ان ينتهي الواحد من البشر علة الصناعات أما
بسماع من الملأ الاعلى او بالهام او بمنام وهو اجد فمعلوم لذي
اللب ان قوى العقل في طبائع الحيوانات مما لا يمكن ادراك
حواسها بافهام البشر وتجربتهم وروسا كل صناعة يقرون بذلك
فاهل النجوم يقولون مبادي النجوم من هرمس ويقولون ملى الذي
عرج بروحه الى السماء فاطلع على ذلك وهرمس قبل نوح
عليه السلام وكذلك اصحاب الطب يدعون مثل ذلك في معرفة
الادوية ثم اختصاص كل واحد من الموجودات بفعله على حدة
واختيار العقل عن توهم ما هو اصلح لا كل الفعل منه فتحقق انه

باب في شان الناس

صلة عز وجل المهنة

المتعامد به وبيان حكمة الله تعالى فيهم

اعلم ان للناس احد اسباب ما به قوام الحياة الدنيا ومتى توهمناه
مرتفعا تعذر على الناس امرهم ولم يتهيأ لهم معايشهم ووقف الحال
وعسر تحصيل معايش الناس وقد تقدم ان الناس يحتاج بعضهم الى
بعض فلا يمكنهم المعايش ما لم يتظاهروا وتولى كل واحد منهم
ما لا يصير به معينا للآخر وانسانا له ولما كان كل واحد آتيا غير ما فيه

حقّه ان يعامل بقدر مواساته لكن ربّما لا يحضر صاحبه ما يريد منه
فقيّض الله تعالى لهم هذا الناضّ علامة منه جلّ ثناؤه ليدفعه الانسان
الى من يوليه نفعًا فيحمله الى من عنده مبتغاه فيأخذ منه بقدر عمله
ثمّ اذا جاء ذلك الآخر بتلك العلامة او مثلها الى الاوّل وطلب
منه مبتغاه من عنده دفع اليه لينتظر امورهم ولهذا قيل الدرهم
حاكم صامت وعدل ناطق وخاتم من الله نافذ وقيل لهذا الحجر
شمّي في لغة الفرس الدينار دينارا اي الدين اي به والدين فان
معرّبه ولما كان ذلك حكما عظم الله تعالى وعيد من احتبسه ومنع
الناس عن التعامل به فقال الذين يكنزون الذهب والفضّة وذاك
انّه يصير باحتباسه اياهما كمن احتبس حاكمين للناس بما يمشي
امور معايشهم قال عليه السلم الذي يشرب في آنية الفضّة انّما
يجرجر في بطنه نار جهنّم ان اتّخاذ الفضّة او الذهب يؤدّي
الى منع الناس عن تصريفه في معاملتهم وتضييقه عليهم في مكاسبهم

باب في مدح المال وذمّه

المال اذا اعتبر بكونه احد اسباب قوام الحياة الدنيويّة
فهو عظيم الخطر كما تقدّم واذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير
الخطر اذ موادّ القنيات ثلثة نفسيّة وبدنيّة
وخارجيّة والخارجة اذونها وادون الحاجات الناضّ لانّه خادم
غير مخدوم وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه لانّ

النفس تخدمها البدن والبدن تخدمه المآكل والملبس وكما يخدمها المال
فالمال من حقّه ان يكون خادمًا لغيره من القنيات وان لا يكون شيء
من القنيات خادمًا له وان كان كثير من الناس بجهلهم يجعلون حالهم
وابدانهم ونفوسهم خدمًا للمال وعبيدًا وهم الذين ذمّهم النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم بقوله تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة
تعس وانتعس واذا شيك فلا انتقش ولنعظ موقع المال عند من لم
يتجاوز المحسوسات قال حكاية عن بعض انبيائه فيما خاطب به استغفروا
ربّكم انّه كان غفّارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ولنعظ منافعه في الامور الدنيويّة قال ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم التي جعل الله لكم قيامًا وقد نبّه على حقارة امر المال
في الحال الآخر فقال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وخوّف من اعجب باقتنائه
فقال ايحسبون انّما نمدّهم به من مال وبنين الآية وقال ذرني ومن
خلقت وحيدًا الآية في الانسان ان يعدّ المقتنيات الدنيويّة
الآت موضوعة في خان شيء يصلح للانتفاع به ما دام نازلا في
ذلك الخان فيتناول منه قدر البلغة ويتسلّى عنها عند الرحلة وينبغي
لنقّه ان يكتب ويغضب ويحزن ويحبّ ويركب الجماح في سببها
واعلم ان الناضّ الذي هو العين والورق حجر جعله الله تعالى سببًا للتعامل
بما تقدّم آنفًا وخلق له المزيّة لنيل الفضايل والاقتناء

بالباري جل ثناؤه والوصول الى الغنى الاكبر ان يتهافت على المال
بأكثر مما تحتاج اليه ويجعل نفسه اقل دخيل واخسه فوق دنى الاطماع
رق مخلد ويكون معتكفا على حجر يعبده كما قال تعالى يعكفون
على اصنام لهم وادى ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما سأل ربه
تعالى فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام لم يرد الا ان يحرسه
وذريته عن محبة الاعراض الدنيوية الصادة عن الله فمثله عليه السلم
وأولاده ينزه عن ان يشتق مزاعقاد في حجر انه صانعه ويستحق
عبادته وقد قال في موضع آخر اساءة ابي لعابيهم هذا المعنى وغيره
يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآية ❊ وقال بعض الحكماء
مثل الانسان في شغفه بهذا الحجر بل باسر الاعراض الدنيوية
كراكب في سفينة الى افضل بلد فانتهى بهم المركب الى جزيرة ذات
اسود واساود فارم وبالخروج والهيئة للطعام وان يكونوا
على حاذر فراوا حجرا مرجانا وزهرا منورا فاعجبهم ذلك وشغفوا به
فتباعدوا عن المركب وبقوا معقودين به ومركبهم فبقوا لاهين عنه
ساءت الغيضة فثارت عليهم الاسود وافترستهم الاساود
ونهشتهم فلم يغن عنهم حجرهم وزهرهم مضارا وكما قال تعالى مكانه
عمزيده جاله ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ❊

باب ذكر المال في اقتنائه وانواعه

الى منها يحصل قد تقدم ان المال من الخيرات المتوسطة لانه كما قد يكون
سببا للخير فقد يكون سببا للشر لكن لما كان في اكثر الاحوال
موجب كرامة صاحبه وتعظيمه اياه حتى صدق قول الشاعر الناس اعداء
لكل مدبع صفر اليدين واخوه للمكثر
وحتى قيل ايذاء المال مهيبا وقال عليه السلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح واستصوب قول طلحة رضي الله عنه في دعائه اللهم
ارزقني مجدا وما لا ولا يصلح المجد الا بالمال ولا يصلح المجد الا
بمراعاة المال ألم يقل مزرد قال فالمجد في الدنيا لمن قل ماله ولا
مال في الدنيا لمن قل مجده
وقال بعض العلماء اطلب العلم والمال تحمى الرياسيين فالناس خاص
وعام فالخاص يفضلك بالجنس والعام بما تملك والكسابة من
الوجه الذي ينبغي وتعريفه سهل كما قيل لا مصعد صعب ومنحدر
سهل ومرام اكتسابه من وجهه صعب عليه فالمكاسب الجميلة قليلة
عند الحر العادل ومن رضي بكسب من حيث ما اتفق فقد سهل عليه
والفاضل ينقبض عن اقتناء المال ويسترسل في انفاقه ولا يريده
لذاته بل لما يكسبه المجد ولا يجتمع عنده المال مغزرا قال
الشاعر بيت لا يالف الدرهم المضروب صرته لكن يمر عليها
وهو منطلق انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى طرف
المعروف تنطلق ❊ وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه
وينبسط في انفاقه ويطلبه لذاته لا لاذكار الفضيلة والمال يحصل

من وجهين احدهما بسبب منسوب الى الجد المحض والصرف من غير
الكسب من صاحبه كمن ورث مالا او وجد كنزا او قبض له من اوكاه
شيئا والثاني ان يكتسب الانسان كمن استعمل بتجارة او صناعة
فيدخر منها مالا وهذا الصرف ايضا لا يستغني فيه عن الجد وهذا
قال وعلى ان اسعى ليس على ادراك النجاح وجد الجد
اكثر من حظ الكد بخلاف الاخلاق والاعمال اخرويه التي حظ الكد
فيها اكثر وقد نبه الله تعالى بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد فاشترط في العاجلة مشيئته للمعطى وارادته
للمعطي له ولم يشترط السعي واشترط في الاخرة السعي لها مع ايمان
ولم يشترط ارادته تعالى ومشيئته وان كان لا بد منها في العاقل
ان يعني بما اذا طلبه ناله واذا نال له لم يخف زواله ويقل المبالاة
بما ان فقد اياه طلبه او لم يطلبه قال بعض الحكماء ان البخت
بمنزلة امرأة صماء عمياء ورماها في حجرها جوامز وهي قاعدة على حجر مدور
تتبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها وهي لا تسمع ولا ترى وجها
وقد اعتزل عنها قوم قليلو العدد وقعدوا بحجرة وفي كل ساعة
توفي قبضة مما في حجرها واحدا من القوم لا لخص اتباعها بل ربما
تخطيهم ورمى حيثهم كانها المعنية بقول الشاعر لا تدخرن
حسنا في المجد ان مطرت كفاه جودا ولا تدخره ان رد ما
فليس يخلد ابقاء على شيء ولن تجود بفضل المال معتبرا

لكنها خطرات من وساوس نفسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما وتارة
تعرج على من اعطته فتسلبه سلبا وتدوسه بحوافرها دوسا واما العضايل
الاخروية فكما قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فان اعطيته
كلك فانت من اعطائه اياك على خطر وقد قال عز وجل وان
ليس للانسان الا ما سعى

باب سبب

اخفاق العاقل ونجاح الجاهل الحكمة تقتضي ان يكون العاقل الحكيم
في اكثر الاحوال مقلا وذلك انه ياخذ المال الا ما يجب من الوجه
الذي يجب في الوقت الذي يجب ثم اذا اخذه وناوله لم يدخره
عن مكنه تعذر له والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لا يبالي فيما
يتناوله بارتكاب محظور واستباحة محجور واستنزال الناس
عما في ايديهم بالمكر وساعدهم على الشره طمعا فيما في ايديهم
ورغبة في نفعهم وكثيرا ما يرى منهم من جملة الموصوفين بقوله تعالى
فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من
خلاق شاكين بخلهم فبعضهم يحضب على الفلك وبعضهم يعتب على
القدر وبعض يتجاوز الاسباب يعاتب الله حتى قال بعض المجان
بقوله شعر لحى فسمنا بنهم زال المرا ولو تولى غيره فسمه
ارزاق الورى حرف خطوب بينا لكتابة اقرا وذلك
يحضهم على ارتكاب المفاجع وجلدهم بانتهاض الله من المصالح
شعر هذا الذي ترك الالباب حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

فان الذي يصير بذلك زنديقا فبان يسمى الجاهل المريد اولي بان يسمى
العالم الخبر فقد قال حكيم شوم لمن اعطي العلم فجزع لفقد الذهب
والفضة ولمن اعطي الفلاة والدعة فجزع لفقد الالم والتعب

باب تحقيق كون المال في ايدي الناس

ان الله تعالى اعراض الدنيا لبغضه فاتخذها الناس عقده وصيروا الدنيا ربحا وتجلا وتمرا
فصيروها موطنا ومقرا الا قليلا ممن رحمهم الله وهم الذين
وصفهم الله عز وجل وقليل من عبادي الشكور ناجر وبهار بكم
كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم فاعراض الدنيا من وجه عامة في ايدي الناس مستردة كما
قال الشاعر وما المال والاهلون الا ودايع ولابد يوما ان ترد
الودايع ومن وجد منهم منحة فانما ليستمتع مدة بدرها
وينتفع به غيره ومن وجد وديعة في يده رخص في استعمالها وانتفاع
بها بعد ان يشرف فيها الكل الاشراف تحفيظا وصيانة لما عهد الله
اليه بقوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له
عزما اغتر بها فظن انها جعلت له هبة مؤبدة فركن اليها واعتمد عليها
ولم يؤد امانة الله فيها فلما طولب برده تضور منه وضجر فلم
يفرج عنها الا بترع روحه او كثير منه وبعضهم وهم الاقلون حفظوا
ما عهد اليهم فتناولوها تناول العارية والمنيحة والوديعة فادوا فيها
الامانة وعلموا انها مستردة جملة فلما استردت منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا

ولا ادوها شاكرين لما نالوه منها ومشكورين لاداء الامانة فيها قيل ان
مثل الدنيا واهلها فيما اعطوا من اعراضها مثل رجل دعا قوما الى داره
فاخذ طبق ذهب عليه بخور وياجيز فكان اذا رفع احدهم تلقاه
ويدفعه اليه لا يتملكه بل ليشمه ويدفعه الى من يجيء بعده فمن
كان جاهلا برسومهم ظن انه قد وهب له فيفرح اذا ارتجع منه
ومن كان عارفا بالرسم والعادة اخذه ورده بانشراح صدر وشكر

باب تفاوت احوال المتناولين لاعراض الدنيا

طلب الدنيا وتناولها على ثلثة اضرب فالاول وتناولها على اي
وجه اتفق اغنيا في المال غير متفكر في المآل واياه عنى بقوله تعالى
في ذم من ذمه بحسب ان ماله اخلده والثاني من تناولها على
وجه يجب عليه تناوله وذلك اذا اقتصر على ما لا يمكن التبلغ
بادق منه من الوجه الذي يجب كما يجب لوجوب تناول هذا القدر
قيل مباحات الصوفية فريضة وفريضتها مباحة يعني انه لا
يقدم على تناول مباح حتى يضطر اليه فيغتنم تناوله عليه فيصير
حكمها حكم النوافل وروي من طلب رزقه على ما سبق ولقي
جهاد وقال عليه السلام لابن مسعود ان المؤمن ليؤجر في كل شيء
حتى اللقمة يضعها في في امرأته ولم يعن ان كل احد على كل حال
يؤجر في ذلك وانما اراد تخصيص المؤمنين الذين يراعون حكم الله

عزوجل في مكاسبهم وانفاقهم ويتحرون في ذلك عباد الله والضرب
المالك من يتوسع في تناولها بلغة ويجعل الباقي مصروفا الى ما دعي
الله فهذا افضل ممن يعدم ذكره فانه يصير بذلك من خلفاء الله تعالى
ممن يتناول الدنيا على احد هذين الوجهين فقد ارشد الله عزوجل في قوله
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وبالاعتبار
بمثلهم قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة
وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون فجعلهم ثم قال ان في هذا لبلاغا لقوم
عابدين اي فمن تحرى عباد الله في تناول الدنيا فانه يبلغ بذلك
مقصوده المذكور في قوله وان الى ربك المنتهى وقال ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم والفضل هو الاحسان فنبه بذلك
ان تناول المال اذا اراد به الوجه الذي يجب كما يجب هو فضل واحسان
يستحق به الثواب وعلى ذلك قوله عزوجل وسألوا الله من فضله وقال
في مدح قوم متناولون الدنيا كما يجب من حيث ما يجب رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة الآية

باب ما ورد من الآيات

المتفاوتة بالظاهر في شأن الدنيا من تصور الوجوه الثلثة التي
تقدم ذكرها في تناول الدنيا سقطت شبهة فيما ورد من الآيات

والأخبار المتفاوتة في الظاهر من ذم الدنيا واعراضها تارة
ومداحها تارة وذلك ان ما جاء من ذمها واعتبارا بمن رضيها حظا
لنفسه وحاصلها قاصية مراده كما قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها وما جاء من مدحها فباعتبار تناولها وانفاقها على
ما يحل وعلى ذلك قال امير المؤمنين كرم الله وجهه الدنيا دار
نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها والناس فيها رجلان
بائع نفسه فموبقها ومبتاع نفسه فمعتقها وعلى هذين الوجهين مدح
تارة عمارة الارض قال تعالى واستعمركم فيها وقال عليه السلم من
غرس غرسا لم يأكل منه طير ولا بهيمة الا كان له صدقة
وذم تارة عمارتها فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وعمروها الآية وقال عليه السلم الدنيا فتظم اعروها ولا تعمروها

باب أحوال الناس في

مراعاة الدنيا والآخرة الناس في ذلك ثلثة اصناف صنف مم المنهمكون
في الدنيا بلا التفات الى العقبة وهم المسمون في الدنيا الطاغوت
وشر الدواب ونحوها من الاسامي وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة
يراعون العقبة من غير التفات وصنف متوسط وفق الدارين
حقها وهذا الصنف عند الحكما افضلون ان فيهم قوام اسباب
الدنيا والآخرة ومنهم عامة الانبياء الذين الله عزوجل بعثهم لاقامة مصالح

المعاد والمعاش وان امورهم مبنية على الاعتدال الذي هو اشرف
الاحوال واجدر ان يكون ملائهم داخلين في عموم قوله تعالى
وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون فالراعي
للدنيا والآخرة على ما يجب وعلى ما ينبغي وكما ينبغي من السابقين
وجعل قوم السابقين هم النساك الذين رفضوا الدنيا بالكلية
محتجين فيه بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وخفي عليهم ان افاضل العباد انما عظم عباد الله ما كان عايدا
بصلاح عباد الله وروي ان مسعودا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الخلق كلهم عيال الله واحب الناس اليه انفعهم لعياله
ولانه كما يقبح ان يشتغل الانسان بامر دنياه وبدنه فيضيع احد
جزئيه المركب عليه كذلك يقبح ان يضيع الجزء الآخر الذي هو بدنه
ودنياه لانه يصير مضادا لله تعالى في ابطال ما اوجده وانشأه
قال بعض الحكماء الناس ثلثة رجل شغله معاده عن معاشه فهذا
ترجح الفاضلين ورجل شغله معاشه عن معاده وذلك حال
الهالكين ورجل مشتغل بهما وذلك درجة المخاطرين وقد علم
ان الفاضل احسن حالا من المخاطر فيلزمان المنازل الرفيعة لا تنفك
من مخاطر ولم يقصد هذا الفاضل بذلك الى تفضيل الفاضل وانما
خوف ان تهمل خلافة الله تعالى من هو قاصر عنها ويفوتي ذلك

ما روي ان بعض اولاد الملوك همم بقوى في العلم والحكمة اعزل الملك
وزهد في الدنيا فكتب اليه بعض الملوك قد اعزلت الحزن فيه فان
علمت ان ما اخرة افضل فعرفنا الذي فيه ولا تحبني اقبل
منك قولا بلا حجة فكتب اليه اعلم انا عبيد الملك رحيم بعثنا
الى حرب عدو وعرفنا ان الفضل من ذلك قهره او انه امنه فلما
قربوا من الرخ صاروا ثلثة اقسام منهزم طلب السلامة
منه فاعتزل عنه فاكتسب السلامة وان لم يكتسب المجد ومنهور اقدم
على غير بصيرة فجر الحدق وقهره فاستجلب بذلك سخط ربه
وشجاع اقدم على بصيرة فقاتل وجد فهو الفائز التام الفوز
وانما لما وجدتني ضعيفا رضيت بادنى الهمتين وادون المنزلتين
فكن انت ايها الملك من افضل الطوائف تكن اكرمهم والسلام

باب بيان حال من يحذل

الاستكثار من اعراض الدنيا وما يجوز له ذلك والاعتياد
في تناول الدنيا والاستكثار منها والاستقلال والزهد فيها
والرغبة ليس بتناول الكثير والقليل بل بتناولها من حيث ما يجب
ووضعها كما يجب قال امير المؤمنين رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ
جميع ما في الارض واراد به وجه الله لسمي زاهدا ولو انه ترك جميع
ما في الارض ولم يرد بتركه وجه الله لم يسم زاهدا ولا كان لله
في ذلك عابدا فلكن اخذك ما تاخذه وتركك ما تتركه لله عز وجل لا

لغيره ولعلم ان الحكيم اذا تناول اعراض الدنيا جرى مجرى رائض
حاذق تناول حية قد عرف نفعها والمضرّ منها وامن سمّها وشرّها
فيتحرّى بتناولها الوجه الذى ينفع منها وينفع غيره فهو مباح
له تناولها وغير الحكيم اذا تناولها فهو كجاهل استحسن الحية واستلان
لمسها وظنّ انها مسلمة لان يتقلّدها فجعلها قلادة فى عنقه
فهى سمّه وقتلته قال الشاعر هى دنيا كحية تنفث السمّ
وان لانت المجسّ كانت سموما فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف
بنفع الحية ان يعتدى بالرآى فى تناول الحية والتصرف فيها كذلك
لا ينبغى للجاهل ان يعتدى بالحكيم فى تناول اعراض الدنيا وكما انه
محال ان يسلك الاعمى من غير قايد طريقا وعرا يسلكه البصير
اذ موعز امن ان يقع فى هوة وكذلك محال ان يسلك الجاهل
مسلكا برآيه فى تناول اعراض الدنيا طريقا يسلكه الحكيم
العالم اذ موعز امن ان يقع فى هاوية ايضا فالدنيا غانية
رعناء كما قال شيم الغانيات فيها قلا ادرى اللذا انث
اسمها الناس ام لا ٭ فمكان الغانية لا يجوز ان يدخل عليها ولا يخلو
بها من الرجال الا من كان محصنا بعصمة عليها كذلك الدنيا لا يجوز ان
يتكثّر منها الا المقطوع عنها بالعصمة والزهد لئلا تغرّه وذلك كما قيل
المؤمنين كرم الله وجهه حيث قال يا حمرا ويا بيضا اجمعى وغرّى غيرى هذا حيناى وجنابه فيه اذ كل جان يده الى فيه

ومن تصوّر ذلك علم ان الله تعالى قد اباح الدنيا كلها كما ولّى آدم عليه السلام منها
انهم لا تناولوها الا على ما يجب وكما يجب وذا تناولوها وصنعوها كما يجب
وجسّما يحبّ على هذا قال تعالى ان الارض لله يورثها من يشآء
من عباده والعاقبة للمتقين وقال ان الارض يرثها عبادى
الصالحون الا غير ذلك من الآيات التى تقدّم ذكرها

باب
ينال ارباب الدنيا من العقوبات

الذى يوبّه الله تعالى عقوبتان فى معاقبة من تناول كما لا يجوز تناوله
من الدنيا او تناول من الوجه الذى يجوز لكنه لم يوفّ حقّه احدى
العقوبتين ظاهرة للبصر والبصيرة وذلك كعقوبات من غصب مالا
بجاهه او سرقه خفيه وكمن منع حق الله تعالى من الزكاة فان عقوبة
ذلك ظاهرة امر السلطان باقامتها والاثامة خفيه على البصر مدركه
ببصاير اولى الالباب كعقوبة من تناول مالا من حيث لا يجوز تناوله
او منعه من حيث لا يجوز منعه على وجه فيه حدّ امر السلطان
باقامته فهذا عقوبته روى ان امرئ سكن قلبه حبّ الدنيا
بلى بثلث شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يدرك غناه وامل لا
يدرك منتهاه وقد قال صلى الله عليه وسلم من كانت الدنيا اكبر
همّه شعّب الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم ينل الله فى
اىّ واد من الدنيا هلك قال الله عزّ وجلّ انما يريد الله ليعذبهم
بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال ومن اعرض

عن ذكر كما قال معيشة ضنكا الآية ليس يعني قلة المعيشة وانما يعني
ما يقاسي بها من الغموم والهموم التي تكدر عليه العيش

باب ذكر

الانفاق المحمود والانفاق المذموم

الانفاق ضربان ممدوح ومذموم فالممدوح منه ما يكسب صاحبه العدالة
ومنه ما أوجبه الشرع بذله كالصدقة المفروضة والانفاق على
العيال ومنه ما يكسب صاحبه اجرا ومنه الانفاق على من أكرمت
الشريعة الانفاق عليه ومنه ما يكسب له الحرية ومنه بذل ما ندبت
الشريعة الى بذله فهذا يكسب من الدنيا شكرا ومن اولي النعمة
اجرا والمذموم ضربان افراط ومن التبذير والاسراف والتفريط
ومن التقصير والامساك وكلاهما راعى فيه الكمية الى الكيفية
فالتبذير من جهة الكمية ان يعطي اكثر مما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية
فان يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية اكثر منه بالكمية
فرب منفود رجا من الوف ومن في انفاقه مسرف ويبذله حامد
ظالم لمن اعطى فاجره دينا أو اشترى حمارا رب منفق الوفا
لا يملك غيرها ومن فيه مقتصد ويبذله محمد كما روي في شان ابي بكر
رضي الله عنه وربما قيل الحكيم متى كمن بذل القليل اسرافا والكثير
اقتصادا قال اذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير
في حق والقليل من جهة الكمية ان ينفق دون ما يحتمله حاله ومن

جهة الكيفية ان منع من حيث يجب ومنح حيث لا يجب والتبذير
عند الناس احد اثنين جود لكنه اكثر مما يجب او لغير نحلة
والجود على كل حال أحمد البخل ان رجوع المبذر الى السخاء
سهل وارتقاء البخيل اليه صعب وان المبذر قد ينفع غيره
وان اضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه ولا غيره على ان المبذر
في الحقيقة مسيء من وجه اقبح اذ لا اسراف الا وفيه حق مضيع
وكان التبذير يؤدي بصاحبه الى ان يظلم غيره وقيل السخي
اعذر من الظالم ولا نجهل بقدر المال الذي هو سبب
استبقاء النفس والجهد اس كل شر والمتلاف ظالم من وجه
لاخذه من غير موضعه ووضعه في غير موضعه ولكثرة مذام الله
ذم الله تعالى باعظم مما ذم به البخل فقال ولا تبذر تبذيرا
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه
كفورا وقال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط اي تقعد ملوما من جهة من سألك فلم
تجد ما تعطيه وحسرا عن بلوغ مرادك قال ابو الطيب
فلا تبذلن في المجد كل كله فيخل مجد كان بالمال عقده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وليس الاسراف متعلقا بالمال فقط بل لكل شيء وضع في
غير موضعه الا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط

ووصف فرعون بالاسراف لوضعهم البذل في غير الحق فقال
انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ووصف فرعون
فقال انه كان عاليا من المسرفين وقوله ان فرعون لعال
في الارض وانه لمن المسرفين

باب حقيقة السخاء والجود والشح والبخل

السخاء هيئة للانسان داعية الى ترك الممتنيات حصل معه
البذل او لم يحصل وذلك خلق يقابله الشح والجود بذل الممتنع
ويقابله البخل هذا هو الاصل وان كان كل واحد منها قد يستعمل
في موضع الآخر بدليل على صحة هذا الفرق انهم جعلوا الفاعل
من السخاء والشح على بناء الافعال الغريزية فقالوا سخي وشحيح
وقالوا جواد وباخل واما قولهم تجبل مصروف عن لفظ الفاعل
للمبالغة كقولهم راحم ورحيم ولكون السخاء غريزة وبه يوصف
الباري سبحانه وقد عظم امر الشح وخوف منه قال عليه السلام ثلث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
فخص لفظه ان وجود الشح في النفس ليس مما يتعبد به ذم
اذ هو ليس من فعله وانما يذم بالاتيان له فقال ومن يوق
شح نفسه وقال واحضرت الانفس الشح وقال عليه السلام لا
يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابدا

باب فضيلة الجود وذم البخل

الجود على السنة الورى محمود ولذلك قيل كفى بالجود مدحا ومدحا ان
الله مطلق لا يتبع الاي في حمد وكفى بالبخل ذما ان الله مطلق
لا يتبع الاي في ذم وقيل لحكيم اي شيء ابرأ شبها بفعل
الباري تعالى فقال الجود وقال عليه السلام الجود شجرة من
اشجار الجنة تأخذ بغصن من اغصانها ادناه الى الجنة والبخل
شجرة من اشجار النار تأخذ بغصن من اغصانها ادناه الى النار ومن
شرفه ان الله عز وجل قرنه بالايمان ووصف اهله بالفلاح والفلاح
اشهر لسعادة الدارين فقال الذين يؤمنون بالغيب الى قوله
هم المفلحون وحق الجود ان يقترن بالايمان فلا شخص اخص به
منه وعد محاسنه في صفة المؤمن انشراح الصدر فقال عز وجل
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للايمان ومما من صفات الجواد
والبخيل ان الجواد توصف بسعة الصدر للانفاق والبخيل بضيق
الصدر للامساك قال عليه السلام اي داء ادوى من البخل
وان البخل ملكه اضر يحمل الناس بماله ويحمله بمال غيره
على غيره ويحمله على نفقة بمال غيره وهو اقبح الاشياء الملكة
والباخل بما في يده باخل بما ان الله على نفقة فقد تقدم ان
المال عارية في يد الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا ينفق
نفقة من العتاد الذي هو بمال غيره سيما اذا لم يخف من صاحبه
تبعة ولا ملامة والكفاية بالاهبة محمدة بلوامع المنق فقد

قال عليه السلام اللهم أجعل لكل منفق خلفا ولكل ممسك تلفا وقال
ان الله عز وجل نزل المعونة بقدر المؤونة ومن وسع وسع عليه

باب انواع الجود والمجود به

الجود خمسة اضرب جود الاله تعالى وهو البذل لكل احد على
قدر استحقاقه وجود الملوك وهو بسط المال على العفاة
غنيهم وفقيرهم وجود السوقة وهم الذين دون الملوك وهو
بذل المال للسؤال وجود الصعاليك وهو البذل للندامى والمعاشرين
والشرب وجود عوام الناس وهو الاحسان الى الاقارب
من كل ذلك الجود الالهي هو بذل المجهود بقدر الطاقة لكل محتاج
بقدر استحقاق من غير استتار ولا تأدب به فالمعطى ما يحتاج
اليه لمن لا يحتاج اليه مسرف مضيع والمعطى غيره شيئا لرهبة
او رغبة والمعطى لرغبة لذة منشوبة منه او لمحمدة دنيوية
فتاجر قال البشار فتى شهرى حسن الثناء بما له
ويعلم انا لدار ان ندورها

فليس بغاية في الوصف بالجود التام بل وصف بجاد محمود
واحسن منه قول بن الرومي وتاجر البر لا يزال
له ربحان في كل مبتغى لجده
اجرا وحمدا وانما طلب المجهود لكن كلاهما اعتورها
وقد جاد بشار في قوله ليس يعطيك للرجا ولا الخوف ولكن

الفصل السابع
باب أنواع الأفعال

يلذ طعم العطاء في ذكر الافعال الافعال ضربان الهي وانساني فالالهي اربعة اضرب ابداع
وتكوين وتربية واحالة وجميع ذلك يسمى خلقا من حيث كان
وجود كل واحد بمقدار والخلق في الاصل التقدير المستقيم
فالاول الابداع وهو ايجاد الشيء دفعة واحدة لا عن وجود
ولا ترتيب ولا عن نقص الى كمال وليس ذلك الا للباري عز
وجل وان كانت العرب تستعمل الابداع في من يحفر بئرا في مكان
لم يحفر منه من قبل وفي من ينسج شعرا أو اورد كلاما لم ينسج عليه
منوالة قبل والثاني التكوين وهو ايجاد الشيء عن عدم بترتيب
ومن نقص الى كمال والمكونات قد يستعملون التكوين موضع الابداء
ولما سفي عن حقيقة التكوين استشهد قول من قال لسيما
ليست بكونة وقد روى انه يعالى ليست بمحدثة ولا مخلوقة وانما
اراد هذا القايل نيما ذكر أصحابه ودل عليه كلامه ان الله
ابدعها ابداعا كما قال بديع السموات والارض ولم يخلقها خلقة
ناقصة في ابتدائها ثم كملها شيئا فشيئا كالحيوان
والانسان والنبات والثالث تدبير الشيء وهو تغذيته
وذلك استجلاب ما تحلل منه واستجلاب وما وجد من كون لتبقى
المدة المضروبة له وبه قيل له تعالى رب العالمين والرابع احالة

ع

الشئ وهو التغاير الاحمة للكائنات من لون في بياضها
من لون وطعم ورايحة والفعل الانساني ثلثة اضرب نفساني
فقط وهو الافكار والعلوم وما يتسبب الى انفعال القلوب وبدني
وهو الحركات التي يفعلها الانسان في بدنه كالمشي والقيام
والقعود وصناعي وهو ما يفعله الانسان بمشاركة البدن
والنفس كالحراثة والصناعات

باب الفرق بين الفعل والعمل والصنع

الفعل لفظ عام يقال لما كان باجاية او غير اجاية ولما كان
بعلم او غير علم وقصد او غير قصد ولما كان من الانسان والحيوان
والجمادات واما العمل فانه لا يقال الا لما كان من الحيوان دون ما
كان من الجمادات ولما كان بقصد وعمد دون ما لم يكن بقصد وعلم
قال بعض الادباء العمل مقلوب عن العلم فان العلم فعل القلب
والعمل فعل الجارحة وهو يصدر عن فعل القلب الذي هو العلم وينفلب
عنه واما الحيوان فانه يكون من نباتات دون سائر الحيوا
ولا يقال الا لما كان باجاية ولهذا يقال للحاذق المجيد والحاذقة
المجيدة صنع وصناع والصنع قد يكون بلا فكر لشرف فاعله والفعل
قد يكون بلا فكر لنقص فاعله والعمل لا يكون الا بفكر لتوسط
فاعله والصنع اخص المعاني الثلثة والفعل اعمها والعمل اوسطها
فكل صنع عمل وليس كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس كل فعل

عملا وفارق بين هذه الالفاظ تبنى عن الفرق بينهما فانه قيل للفعل
كاره وللعمل كاردان وللصنع كنش

باب أنواع الصناعات

الصناعات ضربان علمي وعملي فالعلمي ما
يستغني فيه عن الاستعانة بالجوارح من اليد والرجل كالمعارف
الالهية والحساب والعملي ما يحتاج فيه الى الاستعانة بالجوارح
وذلك ضربان الاول شئ ينقضي بانقضاء حركة الصانع كالرقص والزمر
والمحاكاة والثاني شئ يبقى له اثر وذلك ضربان ضرب يبقى له
اثر معقول لا محسوس كالطب والبيطرة وضرب يبقى له اثر
محسوس كالبناء والكتابة

باب الافعال الارادية وغيرها

افعال التي تظهر من غير الله تعالى اما
اختيري واما غير اختياري فالاختياري هو الذي يظهر ممن يظهر
لا بقصد وارادة منه فقد يكون ذلك من الجماد والحيوان وذلك
نوعان نوع بتسخير الله تعالى الباري كاحراق النار للحديد
وتبريد الثلج للماء وضرب يكون من فاعله مبدأ الارادة وضرب
لا يكون منه مبدأ الارادة فالذي منه مبدأ الارادة ثلاثة
الاول كحسب المتعزكم من تناول الخيرون المشروبا له
والثاني كحسب الغضب كمن يبطش بمن يغضب عليه والثالث كحسب
الشهوة كمن تناول ما اشتهاه بشهوته والذي لا يكون منه
مبدأ الارادة كضربان ضرب لا يكون منه مبدأ الارادة و لا

منتهاها كمن رمى غرضا فاصاب رجلا وضرب لا يكون منه
مبدأ الارادة لكن يكون منه منتهاه كمن تحصل في سفينة
فخاف الغرق فكلف ان يلقي متاعه في الماء يتخلص فالافعال
من الجمادات تقع بالتسخير وبالنزاع الذي يقتضيه القوى الشهوية
ومن الحيوانات تقع بهما وبالفعلية التي تقتضيها القوى الغضبية
ومن الانسان يكون بكل ذلك وبالفكرية التي تقتضيها القوى العاقلة

باب ما يستحق به اللوم من الافعال وما لا يستحق به ذلك

الافعال ضربان ارادي وغير ارادي والارادي ضربان ضرب عن
رؤية وضرب لا عن رؤية فالذي عن رؤية ضربان احدهما الذي
بطن في غاية الشرف وهو ما يكون بحسب النفس الناطقة وتسمى
الاختيار وهو طلب ما موخيرا له ويستحق به ابدا الحمد اذا كان
على الحقيقة اختيارا والثاني عن رؤية فيما ليس هو في غاية
الشرف وذلك المحسب القوى الشهوية وكل واحد منهما اذا كان
بقدر ما يوجبه الفعل يستحق به الحمد واذا كان زايدا او ناقصا
عما يوجبه يستحق به الذم والارادي الذي عن غير رؤية واختيار
ضربان احدهما ما يفعله في نفسه والثاني ما يفعله بغيره وكل واحد
منهما ضربان نفع وضر فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد وما
قصد به نفع غيره فقد يستحق به الحمد والشكر معا وما قصد به ضر

نفسه فقد يستحق به الذم وما قصد به ضر غيره يستحق به الذم والعتب
عليه وغير الارادي كالضرب الاول ان يكون قسريا وهو ما
يكون من خارج فلا يكون فيه رأي به معونة بوجه كمن دفعته
ريح فسقط على آخر فكسرها فلا ملامة فيه بوجه والثاني ان
يكون اجتماعيا كمن اكرهه سلطان على ان يفعل فعلا ما
وهذا متى كان الملجأ اليه فيحاجة الى السبب الملجئ اليه حقيقيا
يستحق به الذم كمن ضرب بان يقتل انسانا ومتى كان الملجأ
اليه ليس بحد قبيح والسبب الملجئ اليه عظيما لا يستحق به الذم
كمن وضع على حلقه السيف وهدد بان يقتل ان لم يتكلم بكلام
قبيح وكلا هما يقال لهما الاكراه والثالث الخطأ وهو ما يكون مبدأه
من صاحبه وذلك نوعان احدهما ما يولد عن فعل وقع منه ولم أن
يفعله كمن رمى هدفا فاصاب انسانا فذلك لا يستحق به ملامة
ما لم يقع من صاحبه تقصير في الاحتراز والثاني ما يتولد عن
فعل ليس له ان يفعله كمن شرب فسكر فحمله سكره على ان كسر
انا او ضرب انسانا فان ذلك يستحق به الملامة وان لم يرد كسر
الاناء وضرب الانسان فعدان تكب محظورا ادى به الى وقوع
ذلك منه فالضرب الاول يقال الخطأ فيه محظئ والثاني يقال
له خطئ فيه خاطئ وهذا قال اهل اللغة خطأ ما كان على سبيل
الذنب وخطأ ما كان على سبيل السهو

باب الاسباب

التي يكون سببها الفعل لها ام لا الاشياء التي تحتاج اليها الفعل
في وجود عرض اشيا فانه يحتاج في حصوله الى فاعل يصدر عنه
الفعل كالنجار والى عنصر يعمل فيه كالخشب والى عمل كالنجر والى
زمان والى مكان قريب كاتخاذ النجار الباب والى عرض بعيد
كتحصيل البيت به والى مثال يعمل عليه ويحتذى به والى مرشد
يرشد وكل ذلك يحتاج اليها الفعل فيقول اعطاني زيد اذا باشر
الاعطاء واعطاني الله فما كان منه اليسر له ويجمع بين السبب
القريب والبعيد فيقول اعطاني الله وزيد قال الله تعالى وجدنا
والاله وضرب لنا خدم صانع فنسب الى السبب الاول وان الله
عز وجل والى السبب المتأخر وهو الضرب والى الملوسط وهو الخدم
وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال قل يتوفيكم
ملك الموت الآية فاسند الفعل الاول الى السبب والثاني الى
المباشر له وقال شاعر في صفة الرمح والبسيته لها كي
فقال كانهم محرق فنسب الفعل الى عاملها وفي الثاني الى
وقال في صفة ليال كسنها مضرجة فنسب كسوتها
الى الطاير الذي اتخذ ريشه فجعلها وقيل يداك اوكتا
وفوك نفخ فنسب الفعل الى الآله المنفصله وقيل ضربت فصيل
وفاصل وطعن جاين فنسب الى المحدث وقيل سركاتم بعينه
راضيه فنسب الى المفعول وقال ع انا فنسب الى المكان

وقيل يوم صايم وليل نايم قال وما ليل المطي بنايم
فنسبه الى الزمان فلما كان فاعلا على ذلك صح في الفعل الوجهان
ان يثبت لاحد الاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين
وعلى ذلك قال شاعر اعطيت من لم يعطه ولو انقضت حسنى
اللقاء مرتعز لم يحرم فاثبت له الفعل ونفاه عنه بنظرين مختلفين
ويقال هذا الخبز قطعه اتا الا السكين
ويقال قطعه البيع ولم اقطعه اتا ويقال فلان هداه
الله والى الصراط المستقيم وهدته القرآن وبهديه فنسب
الى كل ذلك فالواجب ان نعلم ان الله لما كان تعالى هو الذي نسب اول
في وجوده وجود سببه المضل ووجود الآية وان لم يكن منه
تعالى الداعي الى الضلال ويقال اضله الشيطان لما كان
هو الداعي له الى الضلال واصله نفسه لما كانت هي التي تركت
الاحتراز وهذا فصل من تصوره لم يعتمد في نسبة الافعال
على مثلها من الالفاظ فينظر من اللفظ الى المعنى بل ينظر
في نحو هذا الذي قدمنا قال قوم من المحصلين ان الشيء من
الافعال فاعله فاعل واحد على الحقيقة الا الله تعالى فان
فعله تعالى مستغنى عن الزمان والمكان وعن المادة والآلة
وعلى مثال يحتذى به ومرشد تعالى من الفاعلين لا بد له من كل ذلك
لان من يعجله وهذا ابعد ان ينسب الابداع الى غير الله تعالى

لا حقيقة ولا مجازا ويصح ان ينسب فعل غير الله الى كل ما تقدم
ذكره قال الشيخ ابو القاسم الراغب رحمه الله هذا آخر ما
قصدت تبيينه من هذا المعنى والحمد لله والثناء عليه والضرع
الى الله في ان ينفعني واخواني بما يرتضيه وان يجعلني ممن تذكر فذكر
وتبصر فبصر واتعظ فوعظ وتيقظ فاوقظ واعظر الهجمة
ان يأمر من لا يأتمر وتزجر من لا ينزجر وان يدعي الحكمة من
اذا لقنه المحاسن لا يحتبسه واذا لقنه المساوي لا يحتبه
هي القذاة في عيون اخوانه فينكرها ويزيل الجذع المعترض
في اجفانه فلا يغيرها بغض غيره وغبن نفسه كمن كسا الناس
من عري وعورته للناس بدو وجهاز الايوان بها وكالمس يشذ
ولا يقطع وكالصخرة الصلدة التي يمر به الماء الناقع فلا ينبع
نموه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث هذا الدين
بقوم لا خلاق لهم ورغب الى الله تعالى ان يجعلنا برحمته
ممن ايمر للنبي عليه السلم حيث قال بادروا قبل خمس
شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك
وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك فما اعظم هول القيامة
الجرد الذام ان لم يتغمدني الله برحمته التي وسعت كل شيء
فشد يا رب المجاز وبيرني الحواز فقد حان حصادي ولم
تصلح فسادي وصل على محمد خاتم النبيين وآله اجمعين وصحبه

المنتخبة واجله في مراشاهدتم كتاب
الذريعة الى مكارم الشريعة بحمد الله ومنه وصلوته على خير خلقه
محمد نبيه وآله الطاهرين
كاتبه الفقير الجاني حامد الله ومصليا
على رسوله محمد بن سلم